

# حَاجُعُ الْبَرَائِع

مجموعٌ يحتوي على رسائل في مراضع طبية إلهية، وجزئية طبيعية، وتعليمية رياضية، وكلامية اعتقادية، وتشريعية حكيمية، وأخلاقية تحذيرية، وتفسيرية تأويلية، وغير قادمة المباحث الرائقية

محتوى على رسائل للشيخ التبريزي ابن مسیما، وهي:

- ١- الكشف عن ماهية الرضا وحكمة تشريعه
- ٢- في تفسير الكلمية
- ٣- في تفسير الموزة المرسل
- ٤- في تفسير الموزة الثانية
- ٥- في سبب إحياء الرضا وكتيبة الزيارة
- ٦- في التفاوض على حرف الموت و معالجة داء الاغمام
- ٧- في المرض والقدر
- ٨- في العسر
- ٩- في بث يقطن
- ١٠- الطهارة
- ١١- علة قيام الأرض وقطع السموات

وعلى رسائل تحرير ابن ابراهيم الجزار، وهي:

- ١٢- حكمة الحال في خلق العالم
- ١٣- جواب على سلسلة رسائل
- ١٤- في النفي والمعنى في ضوء موضع العالم العظيم

وتحلى رسائل التبريزي الصدقة من حيث، وهذا:

- ١٥- في إيات الصالحة القديمة
- ١٦- في صغر القادر على حسنة العلم الإلهي

وعلى رسائل لأفضل الدين الموقر، وهي:

- ١٧- آيات الصحفة في الكشف عن مطالب بالفتحة بعده

تحفته  
محمد حسن محمد حسن أسماعيل

مستودعات  
كتاب وكتاب

دار الكتاب العلمية

سيفون - بيروت



# جَامِعُ الْبَلَاغِ

مجموع يحتوي على رسائل في موضع حلية إلهية، وجزئية طبيعية، وعلمية رياضية، وكلامية اعتقادية، وشرعية حكيمية، وأخلاقية تهذيبية، وتفسيرية تأويلية، وغيرها من المباحث الراقية

تحتوي على رسائل للشيخ البلاطى بن سينا، وهى:

- ١- الكشف عن ماهية الصدقة وحكمة نشرها
- ٢- في تفسير الصدرية
- ٣- في تفسير المؤودة الأولى
- ٤- في تفسير المؤودة الثانية
- ٥- في بسب إمامة النصارى وكيفية الزيارة
- ٦- في الشفاعة خوف الموت وعالجة داء الانفاس به
- ٧- في القضايا والقرارات
- ٨- في العشرين
- ٩- حجت بنت يقطان
- ١٠- الطهير
- ١١- علة قيام الأرض ووسط السماء

وتحت رسائل المهرج إبراهيم الحجام، وهى:

- ١٢- حكمة الماء في خلق العالم
- ١٣- جواب على ثلاثة مسائل
- ١٤- في الضياد العقلي في ضرورة موضع العالم العقلي

وتحت رسائل لصادق بن عليوت، وهى:

- ١٥- في إثبات الصانع القربي
- ١٦- في صفة القائم على صفة العالم الإلهي

وتحت رسالة لأفضل الدين الموقر، وهى:

- ١٧- آيات الصنة في الكشف عن طالب إلهية بعة

تحقيق  
محمد حسنه محمد حسنه اسماعيل

متناولات  
كتاب عليوت بن عليوت  
دار الكتاب العالمية  
بريزورت - بيروت

متنویات مکرر علیوی بیهوده



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved

Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة  
**لدار الكتب العلمية** بيروت - لبنان.  
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو  
جزءاً أو تسبيحه على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر  
أو ترجمته على أسطوانات صوتية إلا بموافقة الناشر خطياً

**Exclusive rights by**

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

#### Droits exclusifs à

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah - Beirut - Lebanon

Il est interdit à toute personne individuelle ou morale d'édition, de traduire, de photocopier, d'enregistrer sur cassette, disquette, C.D, ordinateur toute production écrite, entière ou partielle, sans l'autorisation signée de l'éditeur.

الطبعة الأولى

— 1270.2 + 8

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سکریپٹ - لشکار

رجل الظريف - شارع البحيري - بنية ملకارت  
ادارة العامة عمرو بن الخطاب - مبنى دار الكتب العلمية  
هاتف وفاكس: ٨٤٨٠١١٢١٢٣٦ - ٨٥٤٩٦١٥٩٦١٢٣٦  
صيغة برق: ٤٤٢١ - ١١ - سبوت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmivah

Beirut - Lebanon

Rami Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor  
**Head office**

Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.  
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13  
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

**Dar Al-Kutub Al-ilmiyah**  
Beirut - Lebanon

Beyrouth - Liban

#### **Administration général**

Administration générale  
amoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah  
& Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13  
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مُقَدَّمَةٌ

## ترجمة المصنف

هو الشيخ الرئيس الطبيب أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا البلاخي ثم البخاري ولد سنة (٣٧٠ هـ).

قرأ القرآن في صغره، وكثيراً من الأدب وهو في العاشرة من عمره، ورحب في الطب، وبرز فيه واختلف إلى الفقه وناظر وهو في السادسة عشرة من عمره، وقرأ جميع أجزاء الفلسفة، قال الشيخ الرئيس: وكنت كلما أتتني في مسألة أو لم أظفر بالحد الأوسط في قياس ترددت إلى الجامع وصلت وابتهلت إلى مبدع الكل حتى فتح لي المغلق منه، وكنت أسره فمهما غلبني النوم شربت قدحاً، قال: حتى استحكم معي جميع العلوم، قال: وسائلني جاري أبو بكر البرقي وكان مائلاً إلى الفقه والتفسير والزهد، فصنفت له الحاصل والمحصول في عشرين مجلدة، وكنت بزي الفقهاء، بطيلسان محنك، ثم انتقلت إلى نسا، ثم أبا ود، وطوس، وجاجرم، ثم إلى جرجان.

قال الحافظ الذهبي: صنف الرئيس بأرض الجبل كتبًا كثيرة منها: الإنصاف (عشرون مجلداً) وغيرها. اهـ.

وله في الطب: أرجوزة في التشريح، حفظ الصحة بتحقيق أخيه أحمد فريد، الشفاء، الطبيب، وغيرها.

وفاته: قال ابن خلكان: ثم اغتسل وتاب، وتصدق بما معه على القراء، ورد المظالم، وأعتق مماليكه، وجعل يختم القرآن في كل ثلات، ثم مات رحمه الله يوم الجمعة في شهر رمضان سنة (٤٢٨ هـ).

وُدُفِنَ عند سور همدان وقيل نقل تابوته إلى أصفهان<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: ترجمته في تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي (٥٢ - ٧٢)، سير أعلام النبلاء (٥٣١/١٧)، البداية والنهاية لابن كثير (٤٢/١٢، ٤٣)، مرآة الجنان للبياعي (٤٧، ٥١)، شذرات الذهب (٢٣٧-٢٣٤/٣).

**النسخة المعتمدة في  
تحقيق الكتاب**

لقد اعتمدنا بفضل الواحد الأحد الفرد الصمد في تحقيق هذه الرسائل على المطبوعة في مطبعة السعادة سنة (١٣٣٥هـ - ١٩١٧م)، وعليها تعليقات محيي الدين صيري الكردي، تركناها كما هي.

كتبه

محمد حسن محمد حسن إسماعيل

## جامع البدائع

مجموع كبير القدر جليل الشأن يحتوي على سبع عشرة رسالة أدبية لأمثال السلف وأركان العلم وأقطاب الإصلاح (كالشيخ الرئيس أبي علي ابن سينا) وفخر الحكماء (عمر الخيام) وغيرهما في مواضيع كلية إلهية، وجزئية ضئعية، وعلمية رياضية، وكلامية اعتقادية، وتشريعية حكمية، وأخلاقية تهذيبية، وتفسيرية تأويلية، إلى غير ذلك من المباحث الراقية، والنظريات العالية، بلهجة من الأدب وسحر البيان في المقام الأعلى، مما يجد فيه الأديب بغيته، والطالب لفن الكلام أمنيته، والراغب في اقتناء الحكمة رغبته، والناسد لعلم التفسير أنشودته، والباحث عن الآداب والأخلاق طلبه، والمنقب عن أسرار التشريع والأحكام قصيده.

فضلاً عن أنها من ثمرات المدينة العربية، ومصابيح أوقاتها النهضة الإسلامية الذهبية، وبالجملة لا يقف على فضائل هذه الرسائل إلا من تصفحها رسالة.

تبنيه: لما كان هذا المجموع البهي بهذا الفضل السنوي، انتخينا له اسمًا يليق به فسميناه «جامع البدائع» وحفظنا لنفسنا الحق في نشره.

## الرسالة الأولى

### الكشف عن ماهية الصلاة وحكمة تشرعيها

#### لابن سينا

الحمد لله الذي خص الإنسان بشرف الخطاب، وأهمه مدافعة الخطأ وملازمة الصواب، طهر قلوب أوليائه بتأييده وقدسه، وصفى سرائر خواصه بلذة كشفه وأنسه، جعل الإنسانية في عقد المخلوقات فصارت فاضلة وخاطب البشرية من بينهم فجعلها عاقلة، أبدع الأفلاك وخلق الأركان وأنشأ النبات وكمل الحيوان، ثم خص الإنسان من بينهم بشرف المنطق والفكر والبيان، حتى كان قد خلق من فضالة الإنسان سائر الأكونان فله الحمد الدائم لأن الحمد حقه، وله التعبد وإليه التضرع؛ لأنه مستحقه والصلاحة على خير البرية، المطهر عن كدورات البشرية، سيد الأولين والآخرين، محمد وآله وأصحابه الطاهرين. أما بعد،

لما التمست مني أيها الأخ الشقيق، والعاقل الصديق أن أكتب رسالة في سر الصلاة وأشرح حقيقتها المتعلقة بظاهرها المأمور وباطنها المطلوب الموفور، وأن أبين فيها وجوب إعداد الصلاة على الأشخاص ولزومها ومتابعة حقائقها الروحانية على قلوب ذوي القلوب وأرواحها فوجب على بذل فكري حسب قوتي في تأمل المأمور وإجابة المسئول فابتدرت إليها مجتهداً مستفيداً لا شارحاً مفيداً واستعنـت بالملك الوهاب، ليهدـينـي إلى مـسـبـيلـ الصـوابـ، واستعـدتـ بـرـبـيـ عـنـ الخـطاـ والـزلـلـ وـكـدـورـةـ الفـكـرـ بـالـعـلـلـ،ـ فإنـ أـتـعـبـنيـ فـكـرـيـ فالـعـجـزـ مـنـيـ مـعـتـادـ،ـ وإنـ فـاضـ وـجـادـ فـاجـلـودـ وـلـطـفـ مـنـهـ مـسـتـفـادـ،ـ وـالـلـهـ وـلـيـ التـوـفـيقـ،ـ وـمـنـهـ هـدـايـةـ الـطـرـيقـ،ـ وـقـسـمـتـ هـذـهـ الرـسـالـةـ إـلـىـ ثـلـاثـةـ أـقـسـامـ شـرـحـتـهاـ فـيـ ثـلـاثـةـ فـصـولـ،ـ الفـصـلـ الـأـوـلـ فـيـ مـاهـيـةـ الصـلاـةـ،ـ وـالفـصـلـ الـثـانـيـ فـيـ ظـاهـرـ الصـلاـةـ وـبـاطـنـهاـ،ـ وـالفـصـلـ الـثـالـثـ فـيـ أـيـ الـقـسـمـيـنـ عـلـىـ مـنـ يـجـبـ وـعـلـىـ مـنـ لـاـ يـجـبـ أـحـدـهـمـ دـوـنـ الـآـخـرـ،ـ وـمـنـ الـمـصـلـيـ الـمنـاجـيـ رـبـهـ وـهـنـاـ أـخـتـمـ الرـسـالـةـ.

## الفصل الأول

### في ماهية الصلة

ونحتاج في هذا الفصل إلى مقدمة فنقول، إن الله تعالى لما خلق الحيوان من بعد النبات والمعادن والأركان وبعد الأفلاك والكواكب والآفاق المجردة والعقول الكاملة بذاتها وفرغ من الإبداع والخلق أراد أن ينهي الخلق بأكمل نوع كما ابتدأه بأكمل جنس فميز من بين المخلوقات الإنسان ليكون الابتداء بالعقل والختم بالعقل فبدأ بأشرف الجواهر وهو العقل وختم بأشرف الموجودات وهو العاقل ففائدة الخلق هو الإنسان لا غيره وإذا عرفت هذا فاعلم أن الإنسان هو العالم الأكبر فكما أن الموجودات ترتب في عالمها كذلك الإنسان يترتب في فعله وشرفه، فمن الناس من يوافق فعله فعل الملك، ومنهم من وافق عمل الشيطان فهلك لأن الإنسان لم يحصل عن شيء واحد ليكون له حكم واحد بل رکبه الله تعالى من الأشياء المتفاوتة والأمزجة المختلفة، وقسم جوهريته بالبساطة والجسامية بدأً وروحًا، وعينه بالحس والعقل سرًا وعلنًا، ثم زين ظاهره وعلنه وبدنه بزينة الحواس الخمس في أوفي رتبة وأوفر نظام، واختار من باطنه وسره ما هو أشرف وأقوى فأسكن الطبيعي في الكبد لمصلحة الهضم والدفع والجذب والمنع وتسوية الأعضاء وتبدل الأجزاء المتحللة بالتغذية وقرن الحيواني بالقلب مربوطاً بقوتي الشهوة والغضب لموافقة الملائم ومخالفة ما ليس بملائم وجعله ينبوع الحواس الخمس، ونشأ الخيال والحركة ثم هي النفس الإنسانية الناطقة في الدماغ وأسكنه أعلى محل وأوفق رتبة وزينه بالفكر والحفظ والذكر، وسلط الجوهر العقلي عليه ليكون أميراً والقوى جنوده والحس المشترك بريده وهو واسطة بينه وبين الحواس وهي جواسيسه على باب المرتبة يسافرون بالأوقات إلى عالمهم ويلتقطون ما تساقط من

شكاهم، ويوصلونه إلى البريد الخاص ليرفع مختوماً مستوراً إلى قوة العقل فيميز ويختار ما يوافقه ويطرح ما ليس بخالص فالإنسان بهذه الأرواح من جملة العالم وبكل قوة يشارك صنفاً من الموجودات، وبالحيواني يشارك حيوانات وبالطبيعي يشارك النبات، وبالإنساني يوافق الملائكة، ولكل واحدة من هذه القوى أمرٌ خاصٌ و فعلٌ لازمٌ ومهما غالبٌ واحدٌ على الآخرين يجد الإنسان بذلك الأمر الغالب، ويتصل نسبه بحسب إدراكه إلى جنسه ولكل فعل أمر خاص وثواب خاص وفائدة خاصة، ففعل الطبيعي هو الأكل والشرب وإصلاح أعضاء البدن وتنقية البدن من الفضول فحسب ليس له في أمر غيره منازعة ولا مخاصمة، وفائدة فعله محظوظة في البدن والاستواء في الأعضاء والقوة في الجسم فإن دسومة اللحم وضخم الأعضاء وقوه الجسم نظام البدن وتحصل بالأكل والشرب، وثوابه لا يتوقع في العالم الروحاني ولا ينتظر في القيامة لأنه غير مبعوث بعد الموت فمثله مثل النبات إذا مات اندرس وفني لا يبعث أبداً، وأما الفعل الحيواني فهو الحركة والخيال وحفظ جميع البدن بحسن تدبيره وأمره اللازم وفعله الخاص الشهوة والغضب فحسب، والغضب شعبة من الشهوة لأنه طلب القمع والقهر والتغلب والظلم، وهذه فنون الرئاسة، والرئاسة شرة الشهوة والفعل الحيواني بالحيواني في الأصل هو الشهوة وفي الفرع هو الغضب، وفائده حفظ البدن بالقوة الغضبية وإبقاء النوع بالقوة الشهوانية، فإن النوع يبقى دائماً بالتواحد والتواحد ينتظم بقوة الشهوة والبدن يبقى محروساً عن الآفات بالحفظ وهو التغلب على الأعداء وسد باب الضرر ومنع أضرار الظلم، وهذه المعانى تحصر في القوة الغضبية وثوابه حصول آماله في العالم الأدنى ولا ينتظر بعد الموت لأنه يموت بموت البدن وليس له بعث في القيامة لأنه شبيه بسائر الحيوانات فليس له استعداد الخطاب، ومن ليس له استعداد الخطاب فليس له

انتظار الثواب، ومن عدم فيضه فلا يبعث بعد الموت فإذا مات فكينونته قد ماتت وسعادته قد فاتت، وأما فعل الإنسان الناطق فأشرف الأفعال لأنه أشرف الأرواح، وفعله هو التأمل في الصنائع والتفكير في البدائع فوجهه إلى العالم الأعلى لا يحب المنزل الأسفل والموقع الأدنى، فإنه من الجنة العليا والجواهر الأولى ليس من شأنه الأكل والشرب ولا من لوازمه التنعم والجماع بل فعله انتظار كشف الحقائق والرؤيا بحدسه التام وذهنه الصافي في إدراك معاني الدقائق يطالع عين البصيرة لوح السريرة، وينافي بجهد الحيل علل الأمل فيميز عن الأرواح بالنطق الكامل، والفكر البلغ الشامل همه في جميع عمره تصفية المحسوسات وإدراك المعقولات خصه الله تعالى بقوه لم ينزل أحد من سائر الأرواح مثلها وهي النطق، فإن النطق لسان الملائكة ليس لهم قول ولا لفظ بل النطق لهم خاصاً وهو إدراك بلا حس، وتفهيم بلا قول فانتظم نسبة الإنسان إلى الملائكة بالنطق، والقول يتبعه فمن لا يعرف النطق يعجز عن بيان الحق، ففعل النفس ما حصرناه في أوجز لفظ وهذا شروح كثيرة اختصرناها لأنه ليس مطلوبنا في هذه الرسالة شرح القوى الإنسانية وأفعالها، فما احتجنا إليه في هذه المقدمة وأوردهنا وأثبتناه وإن الفعل الخاص بالإنسان هو العلم والإدراك وفائده كثيرة، منها: التذكر والتضرع والتبعد فإن الإنسان إذا عرف ربه بفكره وأدرك عينه بعقله في علمه وأبصر لطفه بذهنه في نطقه يتأمل في حقيقة الخلق فيرى تمام الخلق في الأجرام السماوية والجواهر العلوية، فإنهم أتم المخلوقات لبعدهم عن الفساد والكدورات والتركيبات المختلفة، ويرى في نفسه الناطقة مشابهة بالبقاء والنطق الثابتين لتلك الأجرام ويتذكر في الخلق فيعرف أن الأمر مع الخلق له حيث قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٤٥]، ويعرف أن الفيض ينزل إلى الخلق من عالم لا مرأى تلك الجواهر الروحانية فيشتاق إلى إدراك مراتبهم

وينزعج إلى الاتصال ببنسبتهم والتشبه بهم في رتبتهم فيتضرع دائمًا ويذكر هائماً ويفي مصلياً صائمًا ويحصل على ثواب كثير، فإن للنفس الإنساني ثواباً، إذ يبقى بعد فناء البدن، ولا يبلِّى بطول الزمن، له بُثْ بعد الموت، وأعني بالموت مفارقته عن الجسم وبالبعث مواصلته لتلك الجواهر الروحانية وثوابه وسعادته بعدهما، ويكون ثوابه بحسب فعله فإن كان كامل الفعل نال جزيل الثواب وإن قصر فعله ونقص قصرت سعادته وانتقص ثوابه ويفي حزيناً مغموماً بل مخدولاً مذموماً، وإن غلت قواه الحيوانية والطبيعية قوته النطقية تغير بعد الموت وشقى بعد البعث، وإن نقصت قواه المذمومة، وتجردت نفسه عن الفكر الرديء، والعشق الدنيء وزين ذاته بحلية العقل وقلائد العلم، وتخلق بالأخلاق المحمودة بقي لطيفاً منزهاً باقياً مثاباً سعيداً في آخرته مع أقاربه وعشيرته، وإذا قد فرغنا من هذه المقدمة فنقول إن الصلاة هي تشبه النفس الإنساني الناطق بالأجرام الفلكية والتبعيد الدائم للحق المطلقاً طلباً للثواب السرمدي، قال رسول الله ﷺ: «الصلاحة عماد الدين»<sup>(١)</sup>، والدين هو تصفية النفس الإنساني عن الكدورات الشيطانية والهواجرس البشرية: والإعراض عن الأغراض الدنيوية الدنيا والصلاحة هي التبعيد للعلة الأولى والمعبد الأعظم الأعلى فعلى هذا لا يحتاج إلى تأويل قوله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةِ وَالإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» [الذاريات: ٥٦]، يعرفون لأن العبادة هي المعرفة أي عرفان واجب الوجود وعلمه بالسر الصافي، والقلب النقى والنفس الفارغة، فإذا حقيقة الصلاة علم الله سبحانه وتعالى بوحدانيته

(١) قال الشيخ العجلوني؛ قال في المقاصد: رواه البهقي في الشعب بسند ضعيف من حديث عكرمة عن عمر مرفوعاً، ونقل عن شيخه الحاكم أنه قال: لم يسمع عكرمة من عمر، ومثله في تخریج العراقي لأحاديث الإحياء، ثم قال: وقال الشيخ النووي في التنقیح منکر باطل، انظر: كشف المخفاء للعجلوني (٤٠-٣٩/٢).

ووجوب وجوده وتنزيه ذاته، وتقديس صفاته في سوانح الإخلاص في صلاته وأعني بالإخلاص أن نعلم صفات الله بوجه لا يقى للكثره فيه مشروع ولا لإضافه فيه منزع، فمن فعل هذا فقد أخلص وصلى، وما ضل وغوى، ومن لم يفعل فقد افترى وكذب وعصى، والله أجل وأعلى وأعز من ذلك وأقوى.

## الفصل الثاني

### في أنقسام الصلاة إلى ظاهر وباطن

فنقول لما علمت ما قدمته في هذه الرسالة وفهمت ما ضمنت شرح الصلاة وما هي، فاعلم أن الصلاة منقسمة إلى قسمين قسم منهما ظاهر وهو الرياضي ويتعلق بالظاهر، وقسم منها باطن وهو الحقيقى ويلزم الباطن، أما الظاهر فهو المأمور شرعاً والمعلوم وضععاً ألزم به الشارع وكلف الإنسان به وسماه صلاة وجعله قاعدة الإيمان قال ﷺ: «لا إيمان لمن لا صلاة له ولا إيمان لمن لا أمانة له»<sup>(١)</sup>، أعداده معلومة وأوقاته مرسومة جعلها أشرف الطاعات ورتبتها في أعلى درجات سائر العبادات وهذا القسم الظاهر الرياضي مربوط بالأجسام لأنه مؤلف من الهيئات والأركان كالقراءة والركوع والسجود، والجسم مركب من العناصر والأركان كالماء والأرض والهواء والنار وغيرها من الأمزجة وأشباهها وهو بدن الإنسان فالمؤلف مربوط بالمؤلف وهذه الهيئات المؤلفة من القراءة والركوع والسجود الطارئة في الأعداد المنظومة المعينة أثر من الصلاة الحقيقة المربوطة الملزمة بالنفوس الناطقة وهذا يجري بمحض السياسات للأبدان لانتظام العالم بهذه الأعداد من جملة السياسات الشرعية كلف بها الشارع إنساناً بالغاً عاقلاً ليشبه جسمه بما يخص به روحه من التضرع إلى جنسه العالي ليفارق البهائم بهذا الفعل فإن البهائم مهملة عن الخطاب مسلمة عن الحساب والعقاب والثواب، وأما الإنسان فمخاطب مثاب معاقب لامتثال الأوامر والنواهي الشرعية والعقلية والشرع يتبع أثر العقل فلما رأى الشارع أن العقل ألزم النفس الناطقة

(١) أخرجه الربيع في مسنده (٥٤/١) (ح ٩١)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤/٨٢٨) (ح ١٥٣٦)، والعدني في الإيمان (١٢٦/١) (ح ٦٢)، والمرزوقي في تعظيم قدر الصلاة (٩٤٥/٢) (ح ٩٠٣).

بالصلاحة الحقيقة المجردة وهي عرفان الله تعالى وعلمه كلفه الشارع صلاة على بدنه أثراً عن تلك الصلاة وركبها من أعداد ونظمها أبلغ نظام في أحسن صورة وأتم هيئة لি�تابع الأجسام الأرواح في التعبد وإن لم توافقها في الرتبة، وعلم الشارع أن جميع الناس لا يرتفون مدارج العقل فلابد لهم من سياسة ورياضة بدنية تكليفية تخالف أهواءهم الطبيعية فسلك طريقاً ومهد قاعدة من هذه الأعداد وهي أعم، وفي الحس أعظم لترتبط بظواهر الإنسان وتنميه من التشبه بالبهائم وسائر الحيوانات وأمر بهذا الأمر القاهر فقال ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»<sup>(١)</sup>، وفي هذا مصلحة كثيرة وفائدة عامة لا تخفي على العاقل وإن لم يقر بها الجاهل (وأما القسم الثاني) وهو الباطن الحقيقى فهو مشاهدة الحق بالقلب الصافى والنفس المجردة المطهرة عن الأمانى وهذا القسم لا يجري مجرى الأعداد البدنية والأركان الحسية وإنما يجري مجرى الخواطر الصافية والنفوس الباقية وربما كان الرسول ﷺ يشغله بهذا الإدراك الحقيقى فمنعه هذه الحالة عن النظام العددى فربما قصرت صلاته وربما طالت والمعول في العقل على هذه الصلاة واستند العقل فيما قلت بقوله عليه السلام «المصلى يناجي ربه»<sup>(٢)</sup> ولا يخفى على العاقل أن مناجاة

- (١) أخرجه البخاري (٢٢٦/١) (ح ٦٠٥)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٠٦/١) (ح ٣٩٧)، وأبو نعيم في مستخرجه على مسلم (٢٦٧/٢) (ح ١٥٠٨)، والدارمي (٣١٨/١) (ح ١٢٥٢)، والبيهقي في الكبرى (٣٤٥/٢) (ح ٣٦٧٢)، والدارقطني في سنته (٢٧٢/١) (ح ١)، والإمام الشافعى في مسنده (٥٥/١).
- (٢) أخرجه البخاري (١٩٨/١) (ح ٥٠٨)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٤١/١) (ح ٤٧٤)، وابن حبان في صحيحه (٨٣/٥) (ح ١٨٧٣)، والنسائى في الكبرى (٢٦٤/٢) (ح ٣٣٦٤)، والربيع في مسنده (٩٧/١) (ح ٢٢٧)، والإمام مالك في موته (٨٠/١) (ح ١٧٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨٥/٦) (ح ٢٩٦٦)، وعبد الرزاق في مصنفه (٤٩٨/٢) (ح ٤٢١)، والطبراني في الأوسط (٤١/٥) (ح ٤٦٢)، وابن أبي عاصم في الأحاديث والثانى (٦٠/٤) (ح ٢٠٦)، والطبراني

الرب لا تكون بالأعضاء الجسمانية ولا بالألسن الحسية لأن هذه المكالمة والمناجاة تصلح مع من يحييه مكان ويطرأ عليه زمان، أما الواحد المنزه الذي لا يحيط به مكان ولا يدركه زمان ولا يشار إليه بجهة من الجهات ولا يختلف حكمه في صفة من الصفات ولا تغير ذاته في وقت من الأوقات فكيف يعاينه الإنسان المشكل الجسم المحدود المتوجه المتمكن بحسه وقواه وجسمه وكيف ينادي من لا يعرف حدود جهاته ولا يرى جانب سمات وجهاته، فإن الوجود المطلق الحق في عالم المحسوسات غائب غير مرئي للحس ولا متمكن ومن عادة الجسم أن لا ينادي ولا يجالس إلا مع من يراه ويشير إليه ومن لم ينظر إليه يعده غائباً بعيداً والمناجاة مع الغائب محال، ومن الضروري أن واجب الوجود غائب بعيد عن هذه الأجسام لأن هذه الأجسام قابلة للتغيرات العرضية والأعراض البدنية وتحتاج إلى المكان والحافظ وبثقلها وكثافتها تسكن على وجه الأرض المظلمة (والجواهر) المفردة المنزهة التي لا يدركها زمان ولا توضع في موضع من المكان تفر من هذه الأجسام بعداوة التضاد غاية الفرار، وواجب الوجود أعلى من جميع الجواهر المفردة وأشد علواً وتنزها فكيف يصلح أن تخالطه المحسوسات والجسمات، وإذا تقرر أن إثباته وتعيينه بجهة من الجهات محال ظاهر لاح من هذا التقرير أن مناجاته بالظواهر بحسب المظنونات والموهومات لأ محل محال فإذا ذكر قوله ﷺ: «المصللي ينادي ربه»<sup>(١)</sup> محمول على عرفان النفوس المجردة الخالية الفارغة عن حوادث الزمان وجهات المكان فهم يشاهدون الحق مشاهدة عقلية ويصررون الإله بصيرة ربانية لا رؤية جسمانية، فتبين أن

في الكبير (٣٢/١١) (ح ١٠٩٤٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٤٢/٢) (ح

٢٦٥٦)، والبخاري في خلق الأفعال (١١١/١).

(١) سبق تخرجه.

الصلاحة الحقيقة هي المشاهدة الربانية، والتعبد المحسن هو الحبة الربانية الإلهية والرؤيا الروحانية فاتضح من هذا البيان أن الصلاة قسمان، فالآن نقول إن القسم الظاهر الرياضي المربوط بحركة الأشخاص في الهيئات المعدودة والأركان المحسورة تتضرع واشتياق وحنين من هذا الجسم الجزئي المركب المحدود السفلي إلى فلك القمر المتصرف بعقله الفعال في عالمنا هذا عن عالم الكون والفساد ومناجاة بلسان البشرية معه فإنه مربى الموجودات أمتصرف في المخلوقات واستعاذه به وسؤال منه أن يحفظ العقل الفعال ويراعي نظام الشخص المتضرع المصلي بتبعده وتشبيهه ليقى مصوّناً محروساً مدة بقائه في هذا العالم عن آفات الزمان (والقسم الباطن الحقيقى) المفرد عن الهيئات الجرد عن التغيرات تتضرع إلى ربه بالنفس الناطقة العالمية العارفة بوحدانية الإله الحق من غير إشارة بجهة ولا اختلاط بيدن واستدعاء من الوجود المطلق تكميل النفس بمشاهدته وإنعام السعادة بمعرفته وعلمه، والأمر العقلى والفيض القدسى ينزل من سماء القضاء إلى حيز النفس الناطقة بهذه الصلاة ويكلف بهذا التعبد من غير تعب بدنى ولا تكليف إنساني، ومن صلى هكذا فقد نجا من قواه الحيوانية وآثاره الطبيعية وارتقى المدارج العقلية وطالع مضمونات الأزلية، وإلى هذا أشار عز وعلا حيث قال: ﴿إِنَّ الْصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

### الفَصِيلُ الْثَالِثُ

#### في أن كل قسم من القسمين على أي صنف واجب

لما قررنا ماهية الصلاة وأوضحتها بقسميها وشرحنا كلا القسمين فيجب أن نقول إن كل قسم بأي صنف يتعلق ومن أي قوم يصح ويجري فنقول قد بان لك أن في الإنسان شيئاً من العالم الأسفل وشيئاً من العالم الأعلى وشرحناهما بطريق الاختصار واتضح لك أن الصلاة منقسمة إلى رياضية بدنية وحقيقة روحانية وأوفرت حظ كل قسم من الشرح حسبما يليق بهذه الرسالة والآن نقول: إن الإنسان متباوت حسب تأثير قوى الأرواح المركبة فيه فمن غالب عليه الطبيعي والحيواني فإنه عاشق للبدن محظوظاته وتربيته وصحته وأكله وشربه ولبسه وجذب منفعته ودفع مضره وهذا الطالب من عدد الحيوانات لا بل من زمرة البهائم أيامه مستغرقة في الاهتمام بتدبير بدنها وأوقاتها موقوفة على مصالح شخصه فهو غافل عن الخالق جاهل بالحق ولا يجوز له التهاون بهذا الأمر الشرعي اللازم له الواجب عليه وإن لم يتعد وبالسياسة يستحب ويكره حتى لا يفوته حق التضرع والاشتياق والفرز إلى العقل الفعال والفلك الدوار ليفيض عليه من جوده وينجيه من عذاب وجوده ويخلصه من أمانى بدنه ويوصله إلى منتهى أمله فإنه لو انقطع عنه قليل خير من فيضه لسارع إلى كثير شر ولصار أدنى من البهائم والسباع، وأما من غلت قواه الروحانية وسلط على هواه قوته الناطقة وتجردت نفسه عن أشغال الدنيا وعلاقة العالم الأدنى فهذا الأمر الحقيقي والبعد الروحاني والصلة المحسنة التي قررناها واجبة عليه أشد وجوب وأقوى إلزام لأنه استعد بطهارة نفسه لفيض ربه فلو أقبل بعشقه واجتهد في تعبده لسارعت إليه الخيرات العلوية والسعادات الأخرى حتى إذا انفصل عن الجسم وفارق الدنيا يشاهد ربه ويجاور حضرته ويلتذ بمجاورة جنسه وهم سكان الملوك وأجرام عوالم الجنبروت (وهذه

الصلاه) قد وجبت على سيدنا ومفید دیننا محمد المصطفیٰ ﷺ فی لیلہ تجرد عن بدنہ وتنزه عن امله فلم یق معہ من آثار الحیوانیة شہوہ ولا من لوازمه الطبیعیة قوہ فناجی ربہ بنفسہ وعقله فقال له يا رب لقد وجدت لذة غریبیة فی لیلیتی هذه فاعطنی سبیلاً إلی استدامتها ویسر لی طریقاً یوصلنی من کل وقت إلیها فامرہ اللہ تعالیٰ بالصلاۃ وقال يا محمد: «المصلی یناجی ربہ» ولأصحاب الظاهر من ذلك حظر ناقص وللمحققین حظر وافر ونصیب کامل ومن کان حظه أکمل فثوابه أجزل، فهذا ما أردت إیجاز القول فیه بهذه العجالۃ، بعدما مال إحجامی عن الخوض فی تفسیر الصلاۃ وتشریح ماهیتها وبيان قسمیها، فلما رأیت أن العقلاء متھاونون بظواهرها وما تأملوا فی بواطنها رأیت شرحها واجبًا وتقریرها لازمًا لیتأمل العاقل ویبحث عن هذا الفضل الكامل ویعلم أن الرياضی على من یجب والروحانی بمن یتعلق وعمن یصح ویسهل علی العاقل الفاضل الكامل سلوك طریق التعبد والمداومة علی الصلاۃ والتلذذ بمناجاة ربہ بروحه لا بشخصه وبنطقه لا بقوله ویصیر ته لا بصره وبحدسه لا بحسه فإن المغرور من یطلب ربہ بشخصه ویطبع فی رویته بعینه وفي تعبدہ ومناجاتہ بحسه، وجمیع الأوامر الشرعیة جاریة مجری ما شرحناه فی رسالتنا هذه، وإننا أردننا أن نشرح لك كل عبادة خاصة ولكن تعذر علينا الشروع فی أمور لا یصلح أن یطلع عليها كل واحد فمهدنا لهذا تقسیمًا واضحًا مستقیمًا والحر تکفیه الإشارة، وإنی أحرم عرض هذه الرسالة علی من غواه هوا وطبع علی قلبه طبعه فإن لذة الجماع لا یتصورها العین ولذة النظر لا یصدق بها الأکمه (کتبت هذه الرسالة) بعون الله وحمدہ و منه الوافر الجزیل فی مدة أقصی و أقل من نصف ساعۃ مع عوائق کثیرة، وفراغة یسیرۃ فأعتذر إلى مطالعیها، وألتمس من کل من أسبغ عليه فیض العقل ونور العدل أن لا ینشروا سری وإن أمنوا شری فإن الأمر مع الخالق وخالقی یعلم أمري ولا یعرفه غيری.

## الرسالة الثانية في تفسير الحمدية للشيخ الرئيس

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، أنزل على عبده الكتاب، وأودعه الحكمة وفصل الخطاب، وصلى الله على كل عبد مقرب أواب، لا سيما محمد المصطفى الذي خرق بنور الوحي كل ظلمة وحجاب، وعلى آله أولى الألباب، وأصحابه خير الأصحاب (وبعد) فإن العقل وإن كان باب النقل والمطبوع مفتاح المسموع، لكن كمال العقول وتمام هدایتها إنما يقد من ناحية الكتاب المنزلي على النبي المرسل فوجب على الأذهان والقرائح أن تخوض بحج التأمل في أرجائه استنزاً لماء الحياة من غمام سائمه، ولزم أبناء الفطنة والرجاحة أن يسارعوا إلى اغتنام معانيه والتقرب إلى فهم مغازييه، ولما كانت مسألة التوحيد هي أشهى الموارد، وغاية المراد ولباب المطالب والمقاصد، ولم يجيء فيها كسوره الإخلاص، وآيات الصمدية التي هي رأس النجاة والخلاص، حرر في نتفة من أسرارها ومعانيها ونقطة من قاموس نكستها ومراميها يراع الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا مقالة جمعت بين الإيجاز والإجاده، والتقريب والإفاده، وسلمت من التطويل العاري عن التحصيل، والخشو واللغو العاطل عن الطائل، إسعافاً للشيقين إلى الإسعاف، وأخذنا بيدهم إلى باب الحقيقة والتأنيل والإنصاف، وهكذا تلك المقالة المتضمنة لأبدع المداية والدلالة قال:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ۱]، المطلق هو الذي لا تكون  
هويته موقوفة على غيره فإن كل ما هو يته موقوفة على غيره فهي مستفادة  
منه فمتي لم يعتبر غيره لم يكن هو هو وكل ما كان هو يته لذاته فسواء اعتبر  
غيره أو لم يعتبر هو هو لكن كل ممكناً موجوده من غيره وكل ما كان

وجوده من غيره فخصوصية وجوده من علته وذلك هو الهوية فإذاً كل ممكן فهوته من غيره فالذى يكون هوته لذاته هو واجب الوجود، وأيضاً كل شيء ماهيته مغايرة لوجوده كان وجوده من غيره فلا يكون هوية ماهيته لنفس ماهيته فلا يكون هو هو لذاته لكن المبدأ الأول هو هو لذاته فإذاً وجوده عين ماهيته فإن واجب الوجود هو الذي لا هو إلا هو أي كل ما عداه فلا هوية له من حيث هو هو بل هوته من غيره وواجب الوجود هو الذي لذاته هو هو بل ذاته أنه هو لا غير وتلك الهوية والخصوصية معنى عدم الاسم لا يمكن شرحه إلا بلوازمه واللوازم منها إضافية ومنها سلبية واللوازم الإضافية أشد تعريفاً من الأمور السلبية والأكمel في التعريف هو اللازم الجامع لنوعي الإضافة والسلب وذلك هو كون تلك الهوية إلهاً فإن الإله هو الذي ينسب إليه غيره ولا ينسب هو إلى غيره والإله المطلق هو الذي يكون كذلك مع جميع الموجودات فانتساب غيره إليه إضافي وكونه غير منتسب إلى غيره سلبي، ولما كانت الهوية الإلهية مما لا يمكن أن يعبر عنها بخلافها وعظمتها إلا بأنه هو هو ثم شرح تلك الهوية إنما يكون بلوازمها وقد بينما أن اللوازم منها الإضافية ومنها السلبية وبينما أن الأكمel في التعريف والشرح لتلك الهوية ذكر الأمرين وبينما أن اسم الله تعالى متناول لها جميعاً لا جرم عقب قوله (هو) بذكر الله ليكون الله كالكافش عمما دل عليه لفظ هو والشرح لذلك وفيه لطائف أخرى، منها أنه لما عرف تلك الهوية بلوازمها وهي الإلهية أشعر ذلك بأنه ليس له شيء من المقومات وإلا لكان العدول عنها إلى اللوازم قاصراً، ومنها أنه لما شرح تلك الهوية بلازم الإلهية وعقب ذلك بأنه أحد وهو الغاية في الوحدانية كان فيه تنبئه على أنه لما كان في أقصى غايات الوحدة ولم يكن له شيء من المقومات تعذر تعريف تلك الهوية إلا بذكر اللوازم ويصير تقدير الكلام الهوية التي لا شرح لها إنما ترك

في تعريفها ذكر المقومات واقتصر على ذكر اللوازم وهي الإلهية لغاية وحدتها وكمال بساطتها التي تتقاصر العقول عن اكتناها والوقوف دون مبادئ إشراق أنوارها، ومنها أن هوية المبدأ الأول لها لوازم كثيرة وكل تلك اللوازم متربة فإن اللوازم معلومات والشيء الواحد الحق البسيط من كل وجه لا يصدر عنه أكثر من واحد إلا على الترتيب النازل من عنده طولاً وعرضًا وأن اللازم القريب أشد تعريفاً من اللازم البعيد فكون الإنسان متعجباً أعرف من كونه ضاحكاً ولهذا من أراد تعريف ماهية شيء بشيء من لوازمه فمهما كان اللازم أقرب كان التعريف أشد بل فلنذكر هذا الكلام من نمط آخر أشد تحقيقاً وهو أن اللازم البعيد عن الشيء لا يكون معلولاً للشيء حقيقة بل يكون معلولاً لمعلوله والشيء الذي له سبب لا يعرف بالحقيقة إلا من جهة العلم بأسبابه، فلهذا التحقيق لو ذكر في تعريف الماهية شيء من لوازمه البعيدة لم يكن ذلك التعريف تعريفاً حقيقياً بل التعريف الحقيقي هو أن يذكر في التعريف اللازم القريب للشيء الذي يقتضيه الشيء لذاته لا لغيره والمبدئ الأول لا يلزمه لازم أقدم من وجوب الوجود فإنه هو واجب الوجود وبواسطة وجوب وجوده يلزم أنه مبدئ لكل ما عداه، ومجموع هذين الأمرين هو الإلهية، فلهذا لما أشار بقوله إلى الهوية المختصة البسيطة حقاً التي لا يمكن أن يعبر عنها بشيء سوى أنه هو وكان لابد من تعريفها بشيء من اللوازم عقب ذلك بذكر أقرب الأشياء لزوماً له وهو الإلهية الجامعة للازمي السلب والإيجاب، فسبحانه ما أعظم شأنه وما أقهر سلطانه فهو الذي هو متى الحاجات من عنده نيل الطلبات ولا يبلغ أدنى ما استأثر به من الجلال والعظمة والغبطة والبهجة أقصى نعوت الناعتين وأعظم وصف الواصفين بل القدر الممكن ذكر ما يمتنع أزيد منه هو الذي ذكره في كتابه العزيز وأودعه في وحيه المقدس والرموز الطاهرة الجليلة الرفيعة، وه هنا قد

يعن سؤال وهو أن ماهيته تعالى وإن كان لا يمكن لغيره معرفتها إلا بوساطة الإضافات والسلوب إلا إنه جل جلاله عالم بها وأن هناك العقل والعاقل والمعقول واحد، فلم يذكر ذلك واقتصر على اللوازم، فنقول ليس للمبدأ الأول شيء من المقومات أصلًا فإنه وحدة مجردة وبساطة محضة ولا كثرة فيه ولا الثنائية هناك أصلًا فعقله لذاته ليس لأنه يعقل من ذاته مقومات بل لا يعقل من ذاته إلا الهوية المحضة الصرفة المنزهة عن الكثرة من جميع الوجوه ولذلك الوحدة لوازם فلذا ذكر تلك الهوية وشرحها باللوازم القرية وأشار إلى وجوده المخصوص بأن وجوده عينه، وهذا أصل في الحكمة وهو أن تعريف البسيط باللوازم القرية في الكمال كتعريف المركبات بذكر مقوماتها فإن التعريف البالغ هو ما يحصل في النفس حاق الحقيقة فلو كان المطلوب بسيطًا وعرف باللوازم القرية حصل في النفس ذلك فيكون التعريف باللوازم القرية موصلًا للذهن إلى حاق الحقيقة ويصير في هذا الباب كتعريف المركبات بالمقومات وقوله تعالى: «أَحَدٌ» مبالغة في الوحدة، والمبالغة التامة في الوحدة لا تتحقق إلا إذا كانت الواحدية بحيث لا يمكن أن يكون أشد وأكمل منها فإن الواحد مقول على ما تحته بالتشكيك والذي لا ينقسم بوجه أصلًا أولى بالواحدية مما ينقسم من بعض الوجوه، والذي ينقسم انقسامًا عقليًا أولى مما ينقسم بالحس والذي ينقسم بالحس انقسامًا بالقوة أولى بالواحدية مما ينقسم بالفعل وله وحدة جامعة وهو أولى بالواحدية مما ينقسم بالفعل وليس له وحدة جامعة بل وحدته بسبب الانتساب إلى المبدأ وإذا ثبت أن الوحدة قابلة للأشد والأضعف وأن الواحد مقول على ما تحته بالتشكيك فالأكمل في الوحدة هو الذي لا يمكن شيء آخر أقوى منه في الوحدة وإلا لم يكن في غاية المبالغة في الوحدة فلا يكون أحدًا مطلقاً بل أحد بالقياس إلى شيء دون شيء، فقوله تعالى: «أَحَدٌ» دال على أنه

واحد من جميع الوجوه وأنه لا كثرة هناك أصلاً لا كثرة معنوية عن كثرة المقومات كالجنس والفصول أو كثرة الأجزاء الفعلية كالمادة والصورة في الجسم ولا كثرة حسية بالقوة أو بالفعل وذلك لكونه منزهاً عن الجنس والفصل والمادة والصورة والأعراض والأبعاض والأعضاء والأشكال والألوان وسائر أنواع القسمة التي تلزم الوحدة الكاملة والبساطة الحقة الثابتة لله جل جلاله وتعالى عن أن يشبهه شيء أو يساويه أمرٌ.

فإن قيل: هب أن دعوى هذه المسألة قد جاءت مندرجة تحت هذه اللفظة فain البرهان عليها في هذه السورة فقول، برهان ذلك إن كل ما كان هويته إنما يحصل من اجتماع أجزاء كان هويته موقوفة على حصول تلك الأجزاء فلا يكون هو هو لذاته بل لغيره لكن المبدأ الأول هو هو لذاته لما دل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢]، للصمد في اللغة تفسيران، أحدهما: الذي لا جوف له، والثاني: السيد فعلى التفسير الأول معناه سلبي وهو إشارة إلى نفي الماهية فإن كل ما له ماهية فله جوف وباطن وهو تلك الماهية وما لا بطن له وهو موجود فلا جهة ولا اعتبار في ذاته إلا الوجود والذي لا اعتبار له إلا الوجود فهو غير قابل للعدم، فإن الشيء من حيث هو هو موجود غير قابل للعدم إذا الصمد الحق واجب الوجود مطلقاً من جميع الوجوه، وعلى التفسير الثاني معناه إضافي وهو كونه سيداً للكل أي مبدأ للكل ويتحمل أن يكون كلاماً مراداً من الآية وكان معناه أن الإله هو الذي يكون كذلك أي الإلهية عبارة عن مجموع هذين الأمرين السلب والإيجاب.

قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوَلَّدْ﴾ [الإخلاص: ٣]، لما بين سبحانه وتعالى أن الكل مستند إليه ومحاج إليه وأنه هو معطي الوجود لجميع الموجودات

والفياض للوجود بالجحود على كل الماهيات بين سبحانه أنه يمتنع عنه صدور مثله فإنه مهما سبق إلى الأوهام أنه لما كانت هويته تقتضي الإلهية التي معناها الإفاضة على الكل وإيجاد الكل فلعله يفيض عن وجوده وجود مثله حتى يكون ولدًا له بين سبحانه أنه لا يتولد عنه مثله فإن كل ما يتولد عنه مثله فما هيته مشتركة بينه وبين غيره فلا يتشخص إلا بواسطة مادة وعلاقتها وكل ما كان ماديًّا أو له علاقة بالمادة كان متولدًا عن غيره فيصير تقدير الكلام هكذا لم يلد لأنَّه لم يتولد.

فإن قيل: فأي إشارة في هذه السورة تدل على أنه تعالى غير متولد. قيل: لأنَّه لما لم يكن له ماهية واعتبار سوى أنه هو الذي ابتدأ في أول السورة بذكره وكان هويته لذاته وجب ألا يكون متولدًا عن غيره وإلا لكانَتْ هويته مستفادة فلا يكون هو لذاته، وفي هذا تبيه على سر عظيم وهو أن التحديد الوارد في القرآن بالولد والزوجة يعود إلى هذا الشرح وهو أن التولد أن ينفصل عن الشيء مثله فإن ما لا يكون له مثل لا يقال إن له ولدًا وإنما لم ينفصل عنه مثله لأن الانفصال يقتضي الأفعال والشيء إنما ينفعل لو تكررت ماهيته النوعية وذلك بسبب المادة كما تبين وكل ما كان ماديًّا لا يكون ماهيته هويته لكن واجب الوجود ماهيته هويته فإذاً لا يتولد عنه غيره ولا يتولد هو عن غيره.

قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] لما تبين أنه غير متولد عن مثله وأن مثله غير متولد عنه بين أن ما هذا شأنه لا يكون له كفاءً أي ليس يمكن ما يكافئه ويساويه في قوة الوجود، والمساوي في قوة الوجود يتحمل وجهين: الأول: أن يكون مساوياً في الماهية النوعية.

والثاني: المساوي في وجوب الوجود، فإذاً أن يكون له مساو في الماهية النوعية فذلك يبطله قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ فإن كل ما كان

ماهيتها مشتركة بينه وبين غيره كان وجوده مادياً وكان متولداً عن غيره لكنه غير متولد عن غيره، وإنما أن يكون له ما يساويه في الماهية الجنسية وهو وجوب الوجود فذلك يبطله هذه الآية لأنه حينئذ يكون ذا جنس وفصل ويكون وجوده متولداً عن الأزدواج الحاصل من جنسه الذي يكون كالأم وفصله الذي يكون كالأب لكنه غير متولد وأيضاً يبطله أول السورة فإن كل ما كانت ماهيتها ملائمة من جنس وفصل لم تكن هويته لذاته لكنه هو هو.

### **خاتمة لهذا التفسير**

انظر إلى كمال حقائق هذه السورة أشار أولاً إلى الهوية المضمة التي لا اسم لها إلا أنه هو، ثم عقب بذكر الإلهية التي هي أقرب اللوازم لتلك الحقيقة وأشدتها تعريفاً كما بינה، ثم عقبه بلفظ أحد لفائدتين، الأولى: أنه لما كان التعريف الكامل بذكر المقومات وعدل إلى ذكر اللوازم البينة دل ذلك على أنه في ذاته واحد من جميع الوجوه، الثانية: أنه رتب الأحادية على الإلهية ولم يرتب الإلهية على الأحادية فإن الإلهية عبارة عن استغنائه عن الكل واحتياج الكل إليه وما كان كذلك كان واحداً مطلقاً وإنما كان محتاجاً إلى أجزائه فإن الإلهية من حيث هي هي تقتضي الوحدة والوحدة لا تقتضي الإلهية، ثم عقب ذلك بقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ودل على تحقيق معنى الإلهية بالصمدية التي معناها وجوب الوجود والمبدئية لوجود كل ما عداه من الموجودات، ثم عقب بيان ذلك بأنه لا يتولد عنه مثله لأنه غير متولد عن غيره، وبين أنه وإن كان إلهاً لجميع الموجودات فياضاً للوجود عليها فلا يجوز أن يفيض الوجود على مثله كما لم يكن وجوده من فيض غيره، ثم عقب ذلك ببيان أنه ليس في الوجود ما يساويه في قوة الوجود، فمن أول السورة إلى قوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ في بيان ماهيته ولوازم ماهيته ووحدة حقيقته وأنه غير مركب أصلاً ومن قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ رَكُوفًا﴾

أَحَدٌ) في بيان أنه ليس له ما يساويه في نوعه ولا في جنسه لا بأن يكون متولداً ولا بأن يكون متولداً عنه ولا بأن يكون موازياً له في الوجود - وهذا المبلغ يحصل تمام معرفة ذاته ولو كان المقصود الأقصى من طلب العلوم بأسرها معرفة ذات الله تعالى وصفاته وكيفية صدور أفعاله عنه- وهذه السورة دالة على سبيل التعریض والإيماء على جميع ما يتعلق بالبحث عن ذات الله لا جرم هذه السورة معادلة لثلث القرآن فهذا ما وفقت إلى أن وفقت عليه من أسرار هذه السورة الكريمة العظيمة والله الحمد من قبل ومن بعد وله الثناء في الابتداء والانتهاء والحمد لله واهب العقل ومبدع الكل والصلاحة على واسطة عقد العدل وقلادة حيد الفضل آمين.

## الرسالة الثالثة

### في تفسير المهدودة الأولى

#### للشيخ الرئيس

الحمد لله الذي فلق ظلمة العدم بنور الوجود وأفاض على قوابل نماهيات وقوالب الممكناًت صنائع الخير بمحض التفضل والجود، والصلة على شموس الدلالة وبدور الهدایة، وأعلام الدعوة إلى ينبوع الخير والسعادة في البداية والنهاية من أنبيائه، ورسله، وأوليائه، وأصفيائه، وأواديه، خصوصاً محمد الحامل لواء الحمد، وعلى آلـه أهل الثناء والمجد، وأصحابه وأبناء وده، ملاح سفينـة الرشد (وبعد) فهـذا ما أفادـه وجـاد به قـلم شـيخ السـادة الحـكمـاء وعمـدة الملـوك العـظـماء، أـساطـين المـعـرـفة وـالـعبـادـة، بل سـلاـطـين الـهـدـى، وـالـسـيـادـة فيـ الإـبـانـة وـالـكـشـف عنـ غـرـرـ أـسـرـارـ سورـتـيـ المـعـوذـتـينـ، وـدرـرـ جـواـهـرـ لـطـائـفـ هـاتـيـنـ الـحـكـمـتـيـنـ، الـبـاهـرـتـيـنـ الـبـدـيـعـتـيـنـ، هـدـاـيـةـ لـطـلـابـ النـجـاةـ منـ شـبـاكـ الجـهـلـ وـالـوـهـمـ وـهـوـاهـ، بلـ عـنـيـةـ بـنـشـادـ الـبـصـيرـةـ وـرـصـادـ حـقـيقـةـ الـحـيـاةـ وـقـيـاماـ بـحـقـوقـ الـتـعـلـيمـ وـالـتـلـقـيـنـ وـالـإـرـشـادـ، وـكـانـ حـقـاـ ذلكـ عـلـىـ ذـكـرـ ذـوـيـ الـبـصـائـرـ وـإـخـوانـ الـبـلـوغـ وـالـسـدـادـ.

قال قدس سره وأجاد ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ [الفلق: ١] ، فالق ظلمة العدم بنور الوجود وهو المبدئ الأول الواجب الوجود لذاته وذلك من لوازم خيريته المطلقة الفائضة عن هويته المقصودة بالقصد الأول، وأول الموجودات الصادرة عنه هو قضاوه وليس فيه شر أصلاً إلا ما صار مخفياً تحت سطوع النور الأول وهو الكدرة الالزامـة لـماـهـيـتـهـ المـنـشـأـةـ منـ هـوـيـتـهـ ثمـ بـعـدـ ذـكـرـ تـنـادـىـ الأـسـبـابـ بـمـصـادـمـاتـهـ إـلـىـ شـرـورـ لـازـمـةـ عـنـهـ بـعـدـ قـضـائـهـ وـالـسـبـبـ الـأـوـلـ منـ مـعـلـوـلـاتـهـ فـيـهـ هوـ قـدـرـهـ وـهـوـ خـلـقـهـ فـلـذـلـكـ قـالـ: ﴿ مـنـ شـرـ مـاـ خـلـقـ ﴾ [الفلق: ٢] ، جـعلـ الشـرـ فـيـ نـاحـيـةـ الـخـلـقـ وـالـتـقـدـيرـ، فـإـنـ ذـكـ الشـرـ

لا ينشأ إلا من الأجسام ذات التقدير، وأيضاً فلما كانت الأجسام من قدره لا من قضائه وهي منبع الشر من حيث إن المادة لا تحصل إلا هناك - لا جرم - جعل الشر مضافاً إلى ما خلق، ثم إنه سبحانه قدم الانفلاق، وهو إفاضة نور الوجود على الماهيات الممكنة على الشر اللازم مما خلق من حيث إن الانفلاق سابق على الشرور الالزمة عن بعضها ولذلك فإن الخير مقصود بالقصد الأول والشر عارض بقصد ثانوي، والخلاصة أن الفالق لظلمة العدم بنور الوجود هو واجب الوجود والشروع غير لازمة عنه أولاً في قضائه، بل ثانياً في قدره فأمر بالاستعاذه برب الفلق من الشرور الالزمة عن الخلق، فإن قيل: لماذا قال برب الفلق ولم يقل بإله الفلق أو نحو ذلك؟

قيل: إن فيه سراً لطيفاً من حقائق العلم وذلك لأن رب رب للمربيوب، والمربيوب هو الذي لا يستغني في شيء من حالاته عن الرب، انظر إلى الطفل الذي يربيه والده فما دام مربوباً هل يستغني عن المربى، ولما كانت الماهيات الممكنة لا تستغني في شيء من أوقات وجودها ولا من أحوال ثبوتها عن إفاضة المبدئ الأول - لا جرم - عبر عنه بلفظ الرب والإله أيضاً كذلك فإن الأفعال محتاجة إلى الإله لا من حيث هو إله لأن الإله من حيث هو إله هو المستحق للعبادة والمربيوب ولا يكون معقولاً بالقياس إلى المستحق للعبادة فالفلق لابد له من فالق ورب ومؤثر ولا يحتاج إلى المعبد من حيث هو كذلك، واعلم أن فيه إشارة أخرى من خفيات الأمور والعلوم وهو أن الاستعاذه والعوذ والعياذ في اللغة عبارة عن الالتجاء إلى الغير<sup>(١)</sup>، فلما أمر بمجرد الالتجاء إلى الغير دل ذلك على أن عدم حصول الكمالات ليس لأمر يرجع إلى المفهوم للخيرات بل لأمر يرجع إلى قابلها وذلك يتحقق الكلام المقرر من أنه ليس شيء من الكمالات بمتحصل به من عند المبدئ

(١) انظر: لسان العرب (٣٥٠٠) مادة عوز.

الأول بل الكل حاصلٌ موقوفٌ على أن يصرف المستعد وجه قبوله إليها وهو المعنى بالإشارة النبوية على قائلها الصلاة والسلام: «إِن لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دِهْرِكُمْ نَفَحَاتٌ مِنْ رَحْمَتِهِ أَلَا فَتَعْرَضُوا لَهُ»<sup>(١)</sup> بين أن نفحات الألطاف دائمة وإنما الخلل من المستعد وتحت ذلك تنبیهات عظيمة جليلة وقواعد خطيرة يمكن للمتأمل الوقوف عليها من غير تصريح.

«وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ» [الفلق: ٣]، المستعيد هو النفس الجزئية للإنسان الجزئي من الشرور اللازمـة في الأشياء ذوات التقدير الواقعة في صـعـقـ الـقـدـرـ، ثم إن أعظم تلك الأمـرـ تـأـثـيرـاً في الإـضـرـارـ بـجـوـهـرـ النـفـسـ الإـنـسـانـيةـ الأـشـيـاءـ الدـاخـلـةـ معـهـاـ فيـ إـهـابـ الـبـدـنـ وـهـيـ الـتـيـ تـكـوـنـ آـلـةـ لـهـاـ مـنـ وـجـهـ وـوـبـالـاـ عـلـيـهـاـ مـنـ وـجـهـ، فـمـنـ وـجـهـ كـلـهـ عـلـيـهـ وـمـنـ وـجـهـ كـلـهـ لـهـ وـهـيـ الـقـوـىـ الـحـيـوـانـيـةـ وـالـقـوـىـ الـنـبـاتـيـةـ، أـمـاـ الـقـوـىـ الـحـيـوـانـيـةـ فـهـيـ ظـلـمـةـ غـاسـقـةـ مـتـكـدـرـةـ وـقـدـ عـلـمـتـ أـنـ الـمـادـةـ هـيـ مـنـبـعـ الـظـلـمـةـ وـالـشـرـ وـالـعـدـمـ. وـالـنـفـسـ النـاطـقـةـ الـمـسـتـعـيـدـةـ خـلـقـتـ فـيـ جـوـهـرـهـاـ نـقـيـةـ صـافـيـةـ مـنـزـهـةـ عـنـ كـدـورـاتـ الـمـادـةـ وـعـلـائـقـهـاـ قـابـلـةـ لـجـمـيعـ الـصـورـ وـالـحـقـائـقـ، ثـمـ تـلـكـ الـلـطـافـةـ وـالـأـنـوارـ لـاـ تـرـوـلـ عـنـهـاـ إـلـاـ بـهـيـئـاتـ تـرـسـمـ فـيـهـاـ مـنـ الـقـوـىـ الـحـيـوـانـيـةـ التـخـيـلـيـةـ وـالـوـهـمـيـةـ وـغـيـرـ ذـلـكـ مـنـ الشـهـوـةـ وـالـغـضـبـ وـالـأـمـرـاتـ الـتـيـ تـحـصـلـ فـيـ الشـيـءـ مـنـ الـخـارـجـ تـكـوـنـ مـتـجـدـدـةـ إـذـاـ تـلـكـ الـظـلـمـةـ مـتـجـدـدـةـ، وـلـمـ كـانـ جـوـهـرـ الـنـفـسـ النـاطـقـةـ تـكـدـرـ بـتـلـكـ الـهـيـئـاتـ الـغـاسـقـةـ عـنـدـمـاـ تـقـبـ أـيـ تـدـهـمـ وـتـقـبـلـ<sup>(٢)</sup> أـوـرـدـهـاـ عـقـيـبـ ماـ هـوـ أـعـمـ مـنـهـاـ فـإـنـ الـشـرـورـ الـخـاصـةـ مـنـ وـقـبـ الـغـاسـقـ مـشـارـكـةـ لـشـرـ ماـ خـلـقـ اـشـتـراكـ الـأـخـصـ وـالـأـعـمـ لـكـنـهـ لـمـ كـانـ لـهـذـاـ الـخـاصـ مـزـيـةـ فـيـ صـيـرـوـرـةـ الـنـفـسـ مـظـلـمـةـ لـاـ جـرـمـ أـخـرـ ذـكـرـهـاـ لـيـقـرـرـ فـيـ

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/٢٣١) (ح ٣٤٥٩)، والطبراني في الكبير (١/٢٥٠) (ح ٧٢٠)، والقضاءي في مسنـد الشهـابـ (١/٤٠٧) (ح ٧٠١)، والبيهـيـ في شـعـبـ الإـيمـانـ (٢/٤٢) (ح ١١٢١)، وأـبـوـ نـعـيمـ فيـ الـخـلـيـةـ (١/٢٢١).

(٢) انظر: لـسانـ الـعـربـ (١/٨٠١) مـادـةـ وـقـبـ.

النفس هيئة كونها من أعظم الرذائل فيعظم باعث الاجتناب ويقوى الصارف عن مخالطتها.

قوله تعالى: «وَمِنْ شَرِّ النَّفَثَاتِ فِي الْعُقَدِ» [الفلق: ٤] إشارة إلى القوة النباتية فإن النباتية موكلة بتدبير البدن ونشوء ونموه والبدن عقد حصلت من عقد بين العناصر الأربع المختلفة المتنازعة المتداعية إلى الانفكاك لكنها من شدة انفعال بعضها عن بعض صارت بدئاً حيوانياً، والنفاثات فيها هي القوى النباتية فإن النفث سبب لأن يصير جوهر الشيء زائداً في المقدار من جميع جهاته أي الطول والعرض والعمق وهذه القوى هي التي تؤثر في زيادة الجسم المعتذى والنامي من جميع الجهات المذكورة وليس يمكن أن يكون شيء من الصناعات يفيد الزيادة من جانب واحد ولا يوجب النقصان من جانب آخر، مثلاً الحداد إذا أخذ قطعة من الحديد وأراد أن يزيد في طولها فلابد أن ينتقص ثخنها وعرضها أو يحتاج إلى أن يضم إليها قطعة أخرى أجنبية من خارج، فاما القوى النباتية فهي التي تنفذ أجزاء الغذاء في باطن الجسم وتجعلها شبيهة به وتزيد في جوهر الأعضاء من الجهات الثلاث فأشبه الأشياء بتأثير القوى النباتية النفث لأن النفث سبب لأن يتتفتح الشيء ويصير بحسب المقدار أزيد مما كان في جميع الجهات فالنفاثات في العقد هي القوى النباتية، ولما كانت العلاقة بين النفس الإنسانية والقوى النباتية بواسطة القوى الحيوانية - لا جرم - قدم ذكر القوى الحيوانية على ذكر القوى النباتية، وبالجملة فالضر اللازم من هاتين القوتين في جوهر النفس استحکام علاقت النفس وامتناع تغذيتها بالغذاء الموافق لها اللائق بجوهرها وهو الإحاطة بملکوت السموات والأرض والانتقام بنقوش الباقيات.

قوله عز وجل: «وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ» [الفلق: ٥]، يعني به التزاع الحاصل بين البدن وقواه كلها وبين النفس فإنه لما أشار أولاً إلى

ـ شرور الالزمة عن التقدير ثم أشار إلى التفصيل وبدأ من الشرور الالزمة عن غوى الحيوانية ثم التي عن القوى النباتية ثم التي عن البدن من حيث له القوتان، وبينه وبين النفس نزاع آخر وذلك النزاع هو الحسد المنشأ بين آدم وإبليس وهو الداء العضال أمره بالاستعاذه بالمبدئ الأول منه أيضًا فهذه السورة دالة على كيفية دخول الشر في القضاء الإلهي فإنه مقصود بالعرض لا بالذات وإن المنبع للشرور بالإضافة إلى النفس الإنسانية هو القوى الحيوانية والنباتية وعلاقة البدن وإذا كان ذلك وبالاً وكلاً عليها فما أحسن حالها عند الإعراض عن ذلك وما أعظم لذتها بمقارنته إن كانت تفارقه بالذات وبالعلاقة بجميع الحالات رزقنا الله التجرد النام والتائه الكامل، ثم تفسير هذه المعوذة الأولى والحمد لواهب العقل والكمال والصلة على محمد وآلـه خير آلـ.

## الرسالة الرابعة

### في تفسير المعاودة الثانية

#### للشيخ الرئيس

قال الله عز وجل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١-٣]، قد ذكرنا أن الربوبية عبارة عن التربية والتربيـة عبارة عن تسوية المزاج فإن الإنسان لا يوجد ما لم يستعد البدن له وذلك أن الاستعداد لا يحصل إلا ب التربية لطيفة وتمزيـج لطيف يقصر العقل عنه وهو المراد بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ [الحجر: ٢٩] فأول الدرجات التربية بتسوية المزاج فأول نعم الله على الإنسان المعين أن رباء بواسطـة أن سـوى مزاجـه ثم بعدها التربية بالقهر والغلبة وذلك بأن أفضـل عليه نفسـاً ناطـقة وجعل أعضـاء البدن بما فيها من القوى الحسـية والخيـالية والوهـمية والفكـر والذكر والسمع والبصر والشم والذوق واللمس والشهـوة والغضب والإـجماع والقوى الحـركة للعـضلات والقوى النـباتية من الغـاذية وشعبـها من المـاسـكة والجـاذـبة والـهـاضـمة والـدـافـعـة والـمـنـمـيـة والـمـولـدـة وبـالـجـملـة القـوى النـباتـية والـحـيوـانـية مع اختـلاف أحـواـلـها وتبـاـين مـتـعـلـقاـتها وتشـعـبـ ماـخـذـها مـقـهـورـة تحت تـدبـيرـ النـفـسـ النـاطـقةـ الروـحـانـيةـ الشـرـيفـةـ الكـامـلـةـ فـلـماـ سـوىـ المـزـاجـ أـولاـ جـعلـهـ مـقـهـورـاـ لـلـنـفـسـ ثـانـياـ وـهـ بـحـسـبـ ذـلـكـ مـلـكـ مـطـلـقـ إـذـ يـمـلـكـ تـفـويـضـ تـدبـيرـ الـبـدـنـ إـلـىـ النـفـسـ إـنـ الـمـالـكـ يـمـلـكـ ثـمـ بـعـدـ ذـلـكـ يـصـيـرـ النـفـسـ مـشـتـاقـةـ بـجـوـهـرـهـاـ إـلـىـ الـاتـصالـ بـتـلـكـ الـمـبـادـئـ الـمـفـارـقـةـ وـالـعـكـوفـ عـلـىـ بـسـاطـ قـرـبـهـاـ وـمـلـازـمـهـ حـضـرـهـاـ وـالـابـهـاجـ بـمـشـاهـدـهـاـ وـالـاستـئـنـاسـ بـالـقـرـبـ مـنـهـاـ وـذـلـكـ الشـوـقـ الثـابـتـ فـيـ جـبـلـةـ إـلـاـنـسـانـ الـحاـصـلـ فـيـ غـرـيزـتـهـ يـحـمـلـهـ فـيـ الـطـلـبـ وـالـبـحـثـ عـلـىـ أـنـ يـكـونـ دـائـمـ التـضـرـعـ إـلـىـ الـمـبـادـئـ فـيـ أـنـ تـفـيـضـ عـلـيـهـ شـيـئـاـ مـنـ تـلـكـ الـجـلـالـيـاـ الـمـقـدـسـةـ إـمـاـ بـوـاسـطـةـ حـركـاتـ عـقـلـيـةـ اـنـتـقـالـيـةـ إـنـ كـانـ نـفـسـهـ عـقـلـاـ

بالمملكة أو عند الاستعانة بالقوى الباطنة وتمزيج صورها ومعانيها وتحريكها نِيَاعاً من الحركات بحسبها يستعد لقبول الفيض وكل ذلك عبادات صارت منها لتلك المبادئ فتصير النفس في هذه الدرجة متباعدة وتلك المبادئ معبودة والإله هو المعبد فإذاً لتلك المبادئ أسمى بحسب الوقت، فالاسم لأول: بحسب تكون المزاج هو الرب، والاسم الثاني: بحسب فيض النفس هو الملك، والاسم الثالث: بحسب شوق النفس هو الإله وهنها انتهى درجات أصناف التعلقات بين المبادئ والآنفوس، وهذا المبدئ هو المبدئ الواهب للصور المدببة لما تحت كرفة القمر ولما تبين كيفية الاستعادة بالمبدئ الأول في السورة الأولى وهو مبدأ الانفلاق أي المبدئ للوجود وبين كيفية دخول الشر في تقديره هناك ففي هذه السورة بين كيفية الاستعادة بالمبدئ القريب الواهب للصور وبين تلك الدرجات.

قوله تعالى: «مِنْ شَرِّ الْوَسُوْسِ الْخَنَاسِ» [الناس: ٤] هذه القوة التي توقع الوسوسة هي القوة المتخيلة بحسب صيرورتها مستعملة للنفس الحيوانية ثم إن حركتها تكون بالعكس فإن النفس وجهها إلى المبادئ المفارقة، فالقوة المتخيلة إذا جذبتها إلى الاشتغال بالمادة وعلاقتها فتلتقط القوة تخنس أي تحرك بالعكس وتجذب النفس الإنسانية إلى العكس، فلهذا سمى خناساً.

قوله تعالى: «الَّذِي يُوَسِّعُ فِي صُدُورِ النَّاسِ» [الناس: ٥] معناه أن الخناس هو القوة المتخيلة إنما يوسع في الصدور التي هي المطية الأولى للنفس لما قد ثبت أن المتعلق الأول للنفس الإنسانية هو القلب وب بواسطته تثبت القوى في سائر الأعضاء فتأثير الوسوسة أولاً في الصدور. ثم قال عز وجل: «مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ» [الناس: ٦] الجن هو الاستمار والأنس هو الاستئناس فالآمور المستترة هي الحواس الباطنة

والمسئلة هي الحواس الظاهرة انتهى، فهذا ما يبلغ العقل إليه في معاني هاتين السورتين المجيدتين، والله تعالى أعلم بأسرار آياته وحقائق كلماته.

تم تفسير المعوذتين من كلام رجل التوحيد والتقديس جناب الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن سينا سقت سحائب رحمة ربه العميمة شريف تربته الكريمة ونفع بمعارفه العظيمة الفخيمة آمين.

## الرسالة الخامسة

### في سبب إجابة الدعاء وكيفية الزيارة

تتضمن سؤال الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير قدس الله سره من الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا يستكشفه عن رأيه في سبب إجابة الدعاء وكيفية الزيارة وحقيقة وتأثيرها وجواب الشيخ الرئيس له عن ذلك.

باسمك اللهم وبحمدك، سلام عليك وبركاته وتحياته، يا أفضل المتأخرین مدّ الله تعالى في عمرک وزاد في الخیرات لذتك وأفاض حکمته عليك ورزقك بجاورته، وعصمنا وإياك عن الخلل والزلل والخطأ والخطل، إنه واهب العقل، ومفيض العدل فله الحمد، والصلوة والسلام على رسوله المصطفى محمد، وآلہ الطیبین الطاھرین.

أما بعد، فأسائل مولاي ورئيسی جدد الله تعالى له أنواع السعادات وحقق له نهاية المنی والإرادات عن سبب إجابة الدعاء، وكيفية الزيارة وحقيقة وتأثيرها في النفوس والأبدان ليكون تذكرة عندي ورأي الشيخ أعلى وأصوب.

### جواب الشيخ الرئيس

بعد الحمد لله حمدًا يباهي به حمد الحامدين وأفضل التحيات منه على أکمل البرية سيد المرسلين، والغرة الغراء للم منتخبین، إنك سألت بلغك الله السعادة القصوى ورشحك للعروج إلى الذروة العليا عن كيفية الزيارة وحقيقة الدعاء وتأثيرها في النفوس والأبدان فأوضحتها بقدر الطاقة والخوض في العلوم ليكشف لك هذا السر مؤثراً الإيجاز والتحقيق مستعيناً بالله عز وجل. اعلم أن هذه المسألة مقدمات ينبغي لك أن تعرفها أولاً حتى تستنتج منها هذه المطالب وهي معرفة الموجودات الآخذة من المبدئ الأول وهي

العلة الأولى المسماة عند الحكماء بواجب الوجود أعني به الذي يكون وجوده من ذاته لا من غيره ووجود غيره منه فيكون كل ما سواه ممكناً الوجود وهو الذي صار منه جميع الموجودات وهو المنبع لفيضان النور على ما سواه المؤثر فيه على حسب إرادته ومشيئته ثم معرفة الجوادر الثمانية المفارقة عن المواد وهي الملائكة المقربون المسمون عند الحكماء بالعقل الفعالة ثم معرفة النفوس السماوية المتصلة بالمواد ثم الأركان الأربع وامتزاجاتها وما يحدث فيه من الآثار العلوية ثم المعادن ثم النبات ثم الحيوان ثم الإنسان وهو أشرف الموجودات في هذا العالم بحسب حدوث النفس الناطقة فيه فإنها ما بلغت نهاية في الكمال إلا لتصير مضاهية للجوادر الثابتة وفيه كلام طويل جداً لا تحتمل شرحه هذه الرسالة فنعود إلى الكلام ونقول إن المبدأ الأول مؤثر في جميع الموجودات على الإطلاق وإحاطة علمه بها سبب لوجودها حتى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وأما التقسيم الذي نبين في هذه الرسالة فهو أن الواجب يؤثر في العقول والعقول تؤثر في النفوس والنفوس في الأجرام السماوية حتى تحرکها دائمًا بالحركة الدورية الاختيارية تشبهًا بتلك العقول واشتياقًا لها إليها على سبيل العشق والاستكمال ثم الأجرام السماوية تؤثر في هذا العالم الذي تحت فلك القمر والعقل المختص بفلك القمر يفيض النور والإنسان يهتدى به في ظلمات طلب المعقولات مثل إفادة الشمس النور على الموجودات الجسمانية لتدركها العين ولو لم يكن التناصب الذي وجد بين النفوس السماوية والأرضية في الجوهرية والدراكية وتماثل العالم الكبير بالعالم الصغير لما عرف الباري عز شأنه، والشارع الحق ناطق به حيث يقول ﷺ: «من

عرف نفسه فقد عرف ربه<sup>(١)</sup> فقد اتضح لك نظام سلسلة الموجودات الآنحدة من المبدأ الأول جل ثناؤه وتأثير بعضها في بعض وعود الأثر إلى المؤثر لا بتأثير وهو الأحد الحق سبحانه، ثم اعلم أن النفوس البشرية تتفاوت بالعلم والشرف والكمال فإنه ربما ظهرت نفس من النفوس في هذا العالم نبوية كانت أو غيرها وبلغت الكمال في العلم والأعمال بالفطرة أو بالاكتساب حتى تصير مضاهية للعقل الفعال وإن كانت دونه في الشرف والعلم والرتبة العقلية لأنه علة وهي معلولة والعلة أشرف من المعلول ثم إذا فارقت نفس من النفوس بدمها بقيت في عالمها سعيدة أبد الآبدين مع أشباهها من العقول والنفوس المؤثرة في هذا العالم تأثير النفوس السماوية (ثم الغرض من الدعاء والزيارة) أن النفوس الزائرة المتصلة بالبدن الغير المفارقة تستمد من تلك النفوس المزورة جلب خير أو دفع ضر وأذى فينخرط كلها في سلك الاستعداد والاستمداد لتلك الصور المطلوبة فلا بد أن النفوس المزورة لمشابهتها العقول ومحاورتها لها تؤثر تأثيراً عظيماً وتمد إمداداً تاماً بحسب اختلاف الأحوال وهي إما جسمانية أو نفسانية، أما الجسمانية فمثل مزاج البدن فإنه إذا كان على حالة معتدلة في الطبيعة والفطرة فإنه يحدث فيه الروح الذي يؤثر في تجاويف الدماغ وهو آلة النفس الناطقة فحيثئذ يكون الاستعداد والاستمداد على أحسن ما يمكن أن يكون لا سيما إذا أضيف إليها قوة النفس وشرفها وأيضاً مثل المواقع التي تجتمع فيها أبدان الزوار

(١) لا يثبت: قال الشيخ ابن تيمية: موضوع وقال أبو المظفر بن السمعاني في القواطع (بحقيقنا) إنه لا يعرف مرفوعاً، وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازى يعني من قوله، وانظر كشف الخفاء للعجلونى (٣٤٣/٢) (برقم ٢٥٣٢)، المصنوع (١/١٨٩).

والمزورين فإن فيها تكون الأذهان أكثر صفاء والخواطر أشد جمعاً والنفوس أحسن استعداداً كزيارة بيت الله تعالى واجتماع العقائد على أنه الموضع الذي يزدلف به إلى الحضرة الربوبية ويتقرب به إلى الجهة المعدة للإلهية وفيه حكم عجيبة في خلاص النفوس من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر وأما النفسانية فمثل الإعراض عن متاع الدنيا وطيباتها واجتناب الشواغل والعوائق وانصراف الفكر إلى قدس الجنبروت والاستدامة بشروق نور الله تعالى في السر لانكشاف الغم المتصل بالنفس الناطقة فهداها الله وإياك إلى تخلص النفس من شوائب هذا العالم المعرض للزوال فإنه لما يريد قدير حبير.

## الرسالة السادسة

### في الشفاء من خوف الموت ومعالجة داء الافتتمام به للشيخ الرئيس

الحمد لله رب العالمين، وصلاته على سيدنا محمد وآلـه الطيبين الطاهرين، أما بعد فلما كان أعظم ما يلحق الإنسان من الخوف هو الخوف من الموت وكان هذا الخوف عاماً وهو مع عمومه أشد وأبلغ من جميع المخاوف وجب أن أقول إن الخوف من الموت ليس يعرض إلا لمن لا يدرى ما الموت على الحقيقة أولاً يعلم إلى أين تصير نفسه أو لأنـه يظن أنه إذا انحل وبطل تركيه فقد انحلـ ذاته وبطلـت نفسه بطلان عدم ودثور وإن العالم سيقى بعده سواء كان هو موجوداً أو ليس موجوداً كما يظنه من جهل بقاء النفس وكيفية معادها أو لأنـه يظن أنـ للموت ألمـاً عظيماً غير ألمـ الأمراض التي ربما تقدمـه وأدتـ إليه وكانت سبـب حلولـه أو لأنـه يعتقد عقوبة تـحلـ به بعد الموت أو لأنـه متحـير لا يدرـى على أيـ شيء يـقدمـ بعد الموت أو لأنـه يـأسـف على ما يـخلفـه من المال والقنيـان، وهذه كلـها ظنـون باطلـة لا حـقيقة لها، أما من جـهلـ الموت ولم يـدرـ ما هو فـأنا أـبينـ له أنـ الموت ليس شيئاً أكثرـ من تركـ النفس استـعمالـ آلاتـها وهي الأـعضـاءـ التي مـجموعـها يـسمـى بـدـنـاـ كما يـتركـ الصـانـعـ آلاتـهـ فإنـ النفسـ جـوـهـرـ غيرـ جـسـمـانيـ ليـسـ عـرـضاـ ولاـ قـابـلـةـ لـالـفـسـادـ وهذاـ البـيـانـ يـحـتـاجـ إـلـىـ عـلـومـ تـقـدـمـهـ وـذـكـرـ مـبـيـنـ مـشـروـحـ فيـ مـوـضـعـهـ فـإـذـاـ فـارـقـ هـذـاـ الجـوـهـرـ الـبـدـنـ بـقـىـ الـبـقـاءـ الـذـيـ يـخـصـهـ وـصـفـاـ مـنـ كـدـرـ الطـبـيـعـةـ وـسـعـدـ السـعـادـةـ التـامـةـ وـلـاـ سـبـيلـ إـلـىـ فـنـائـهـ وـعـدـمـهـ فـإـنـ الجـوـهـرـ لـاـ يـفـنـىـ مـنـ حـيـثـ هـوـ جـوـهـرـ وـلـاـ تـبـطـلـ ذـاتـهـ وـإـنـماـ تـبـطـلـ الـأـعـرـاضـ وـالـخـواـصـ وـالـنـسـبـ وـالـإـضـافـاتـ الـتـيـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ الـأـجـسـامـ بـأـضـادـهـ، فـأـمـاـ الجـوـهـرـ فـلـاـ ضـدـ لـهـ وـكـلـ شـيـءـ يـفـسـدـ فـإـنـماـ يـفـسـدـ مـنـ ضـدـهـ وـأـنـتـ إـذـ تـأـمـلـ

الجوهر الجسماني الذي هو أحسن من ذلك الجوهر الكريم وجدته غير فان ولا متلاشياً من حيث ما هو جوهر وإنما يستحيل بعضه إلى بعض فبتطل خواص شيء منه وإعراضه، فأما الجوهر نفسه فهو باق لا سبيل إلى عدمه وبطحانه، وأما الجوهر الروحاني الذي لا يقبل استحالة ولا تغيراً في ذاته وإنما يقبل كمالاته وتمامات صورته فكيف يتصور فيه العدم والتلاشي وأما من يخاف الموت لأنه لا يعلم إلى أين تصير نفسه أو لأنه يظن أن بدنه إذا انحل وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت نفسه وجهلبقاء النفس وكيفية المعاد فليس يخاف الموت على الحقيقة وإنما يجهل ما ينبغي أن يعلمه فالجهل إذاً هو المخوف الذي هو سبب الخوف وهذا الجهل هو الذي حمل العلماء على طلب العلم والتعب فيه وتركوا لأجله لذات الجسم وراحات البدن واختاروا عليها النصب والسهر ورأوا أن الراحة التي يستراح بها من الجهل هي الراحة الحقيقية وأن التعب الحقيقي هو تعب الجهل لأنه مرض في النفس والبرء منه خلاص وراحة سرمدية ولذة أبدية فلما تيقن الحكماء ذلك واستبصروا فيه وهجموا على حقيقته ووصلوا إلى الروح والراحة هانت عليهم أمور الدنيا كلها واستحقروا جميع ما يستعظم الجمhour من المال والثروة واللذات الحسية والمطالب التي تؤدي إليها إذ كانت قليلة الثبات والبقاء سريعة الزوال والفناء كثيرة الهموم إذا وجدت، عظيمة الغموم إذا فقدت فاقتصروا منها على المقدار الضروري في الحياة الدنيا وتسلوا عن فضول العيش التي فيها ما ذكرت من العيوب وما لم أذكره ولأنها مع ذلك بلا نهاية وذلك لأن الإنسان إذا بلغ منها إلى غاية تداعت إلى غاية أخرى من غير وقوف على حد ولا انتهاء إلى أمد وهذا هو الموت الذي لا مخافة منه والحرص عليه هو الحرث على الزائل والشغل به هو الشغل بالباطل ولذلك جزم الحكماء بأن الموت موتان موت إرادي وموت طبيعي، وكذلك الحياة حياتان حياة إرادية وحياة

طبيعة وعنوا بالموت الإرادي إماته الشهوات وترك التعرض لها وعنوا بالحياة الإرادية ما يسعى له الإنسان في الحياة الدنيا من المأكل والمشاب والشهوات وبالحياة الطبيعية بقاء النفس السرمدية في الغبطة الأبدية بما تستفيده من العلوم وتبرأ به من الجهل، ولذلك وصى أفلاطون الحكيم روح الله رمسه طالب الحكمة بأن قال: (مت بالإرادة تحيا بالطبيعة) على أن من خاف الموت الطبيعي من الناس فقد خاف ما ينبغي أن يرجوه وذلك أن هذا الموت هو تمام حد الإنسان لأنه حي ناطق مائة فالموت تمامه وكماله وبه يصير إلى أفقه الأعلى، ومن علم أن كل شيء هو مركب من حده وحده مركب من جنسه وفصوله وأن جنس الإنسان هو الحي وفصوله هو الناطق والمائة علم أنه يستحيل إلى جنسه وفصوله لأن كل مركب لا محالة يستحيل إلى شيء الذي منه تركب فمن أحجمل من يخاف تمام ذاته ومن أسوأ حالاً من يظن أن فناءه بحياته ونقصانه بتمامه وذلك أن الناقص إذا خاف أن يتم فقد جهل نفسه غاية الجهل فإذا ذهب على العاقل أن يتتوحش من النقصان ويأنس بالتمام ويطلب كل ما يتممه ويكمله ويشرفه ويعلي منزلته ويحل رباطه من الوجه الذي يؤمن به الواقع في المخاوف لا من الوجه الذي يشد وثاقه ويزيده تركيباً وتعقيداً، ويتحقق بأن الجوهر الشريف الإلهي إذا تخلص من الجوهر الكثيف الجسماني خلاص نقاء وصفاء لا خلاص مزاج وكدر فقد صعد العالم الأعلى وسعد وعاد إلى ملكته وقرب من بارئه وفاز بجوار رب العالمين وخالطته الأرواح الطيبة من أشكاله وأشباهه ونجا من أضداده وأغياره، ومن هنا نعلم أن من فارقت نفسه بدنها وهي مشتاقة إليه مشفقة عليه خائفة من فراقه فهي في غاية الشقاء والألم من ذاتها وجوهرها سالكة إلى أبعد جهاتها من مستقرها طالبة قرارها والاستقرار به، وأما من يظن أن للموت ألمًا عظيماً غير ألم الأمراض التي ربما تقدمته

وأدت إليه فقد ظن ظناً كاذباً لأن الألم إنما يكون بالإدراك والإدراك إنما يكون للحي والحي هو القابل أثر النفس وأما الجسم الذي ليس فيه أثر النفس فإنه لا يألم ولا يحس فإذاً الموت الذي هو مفارقة النفس للبدن لا ألم له لأن البدن إنما كان يألم ويحس بالنفس وحصول أثراً لها فيه فإذاً صار جسماً لا أثر فيه للنفس فلا حس ولا ألم له فقد تبين أن الموت حال للبدن يكون بمفارقة النفس له فلا يكون محسوساً عند مفارقتها له ولا مؤلماً فإنه إنما يحس ويألم بها، وأما من يخاف الموت لأجل العقاب فليس يخاف الموت بل يخاف العقاب والعقاب إنما يكون على شيء باق معه بعد الموت فهو لا محالة يعترف بذنوب وأفعال سيئة له يستحق عليها العقاب وهو مع ذلك معترف بحاكم عدل يعاقب على السيئات لا على الحسنات فهو إذن خائف من ذنبه لا من الموت ومن خاف عقوبته على ذنب وجب عليه أن يحتذر من ذلك الذنب ويتجنبه والأفعال الرديئة التي تسمى ذنوباً إنما تصدر عن هيئات ردية، والهيئات الردية التي في النفس هي الرذائل التي أحصيناها وذكرنا أضدادها من الفضائل فإن الخائف من الموت على هذا الوجه وهذه الجهة هو جاهل بما ينبغي أن يخاف منه، وخائف مما لا أثر له ولا خوف منه، وعلاج الجهل العلم ومن علم فقد وثق ومن وثق فقد عرف سبيل السعادة فهو يسلكها ومن يسلك طريقاً مستقيماً إلى غرض أفضى إليه لا محالة وهذه الثقة التي تكون بالعلم هي اليقين وهو حال المستبصر في دينه المستمسك بحكمته، وأما من زعم أنه ليس يخاف الموت وإنما يحزن على ما يخلفه من أهل وولد ومال ويأسف على ما يفوته من ملاذ الدنيا وشهواتها فينبغي أن يبين له أن الحزن لأجل ما لابد من وقوعه لا يجدي عليه طائلاً والإنسان من جملة الأمور الكائنة الفاسدة وكل كائن لا محالة فاسد فمن أحب أن لا يفسد فقد أحب أن لا يكون ومن أحب أن لا يكون فقد أحب فساد نفسه وكأنه

يحب أن يفسد ويحب أن لا يفسد ويحب أن يكون ويحب أن لا يكون وهذا محال ولا يخطر ببال عاقل وأيضاً فلو جاز أن يبقى الإنسان لبقي من كان قبلنا ولو بقى الناس على ما هم عليه من التناسل ولم يموتوا لما وسعتهم الأرض وأنت تتبين ذلك مما نقول، قدر أن رجلاً واحداً من كأن منذ أربعمائة سنة موجوداً الآن ول يكن من مشاهير الناس حتى يمكن أن تحصي أولاده الموجودون كأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رض وله أولاد وأولاده أولاد وبقوا كذلك يتناследون ولا يموت منهم أحد ثم احسب مقدار من يجتمع منهم في وقتنا هذا فإنك تجده أكثر من عشرة آلاف رجل واحسب كل من في ذلك العصر عائشًا على بسيط الأرض شرقها وغربها مثل هذا الحساب فإنهم إذا تضاعفوا هذا التضاعف لم تضبطهم كثرة ولم تحصهم عدداً ثم امسح بسيط الأرض فإنه محدود معروف المساحة لتعلم أن الأرض حينئذ لا تسعهم قياماً ومتراصين فكيف قعوداً متصرفين ولا يبقى موضع لعمارة يفضل عنهم ولا مكان لزراعة ولا مسیر لأحد ولا حركة فضلاً عن غيرها وهذا في مدة يسيرة من الزمان فكيف إذا امتد الزمان وتضاعف الناس على هذه النسبة وهذه حالة من يشتهي الحياة الأبدية ويكره الموت ويظن أن ذلك ممکن، من الجهل والغباء فإذا الحكمة الإلهية البالغة والعدل المبسوط بالتدبر الحكم هو الصواب الذي لا معدل عنه وهو غاية الجود الذي ليس وراءه غاية، فالخائف من الموت هو الخائف من عدل الله وحكمته بل هو الخائف من جوده وعطائه فالموت إذن ليس بردي وإنما الردي هو الخوف منه فإن الذي يخاف منه هو الجاهل به وبذاته، وحقيقة الموت هي مفارقة النفس للبدن وليس في هذه المفارقة فساد للنفس وإنما هي فساد التركيب فاما جوهر النفس الذي هو ذات الإنسان ولبه وخلاصته فهو باق وليس بجسم فيلزم فيه ما يلزم في الأجسام بل لا يلزم فيه شيء من

الأعراض التي في الأجسام من التزاحم في المكان لأنه يحتاج إلى مكان ولا يحرض على البقاء الزماني لاستغنائه عن الزمان وإنما استفاد هذا الجوهر بالحواس والأجسام كمالاً فإذا كمل بها ثم تخلص منها سار إلى عالمه الشريف القريب من بارئه ومنشئه عز وجل والرجل الذي يتصدق عن أخيه الميت أو يقضى عنه الدين يسعد بسعادة ذلك الميت - وذلك أن النفس إن كانت واحدة فالمتصدق نفسه وتلك النفس الأخرى وسائر النفوس شيء واحد وإن كانت متشتتة فلا يتفضل المتصدق ذلك التفضيل عن تلك النفس إلا لمشاكلته لها، وهذه النفوس المتمشاكلة شبه شيء واحد.

تمت هذه الرسالة الأخلاقية العجيبة الشأن الباهرة البرهان الساطعة التبيان التي هي من فرائد فوائد الفلسفة النظرية والعملية وحسبها إنها تورث الطمأنينة لمتأملها وتشمر السكينة لقارئها فهي مفتاح النجاح وباب الفوز والسعادة والفلاح.

## الرسالة السابعة

### فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ

#### لِلشِّيخِ الرَّئِيسِ

ناظر فيها أحد القدرية المنكرين للقدر وأجاد في دحض شبههم بيلغ  
كلام وقواطع البرهان وضممنها حظاً عظيماً من الأدب السامي والحكم  
نعالية وألمع إلى كثير من الأسرار والحقائق مما هو زبد الشريعة وخلاصتها.  
إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت  
وإليه أنيب.

حاطكم الله جماعة الأصدقاء وأسبغ عليكم جسائم الآلاء إنه لما تيسر  
عودي من شلمبه راكباً جدد<sup>(١)</sup> أصفهان عرست<sup>(٢)</sup> بعض القلاع المعقدة  
على الجادة فإذا أنا برفيقي الذي شغفه الجدال حجاً ونشأ فيه اللداد طبعاً  
وحسب أن طريقه إلى الحق من الخصام والحرفة المسماة بالكلام مهيع<sup>(٣)</sup> وأن  
سبيله إليه من المشاجرة والشغب في المخواورة مئتا<sup>(٤)</sup> فطارحنا الحديث  
وخلجتنا خواجه<sup>(٥)</sup> إلى أمر القدر ورفيقي كما تعرفونه من تجافيه عن أفعالنا  
وببرزخ بينه<sup>(٦)</sup> وبين أعمالنا وبقصر ما يفعله ويؤثره عن اختيارنا لا يضر布  
عروقه<sup>(٧)</sup> في بقعة القضاء ولا يسقيها من شراب القدر وتآدت محاورتنا به إلى  
صحب وبي إلى مداراة رخيصة رجاء أن أرفق بداعه وأحط من غلوائه فتبين

(١) الجدد: الطريق.

(٢) عرست: نزلت.

(٣) مهيع أي بين وهو خبر أن.

(٤) مئتا بالكسر عامر واضح وهو مجتمع الطريق أيضاً.

(٥) خلجتنا خواجه: جذبتنا جوازبه.

(٦) البرزخ: الحاجز بين الشيئين.

(٧) أشار إلى أنه ينكر خلق الله لأفعال العبد الاختيارية وإلى إنكار إضافة الشرور إلى  
الله وهو مذهب المعتزلة وينسب إلى الشيعة.

شيخ من بعيد اجتهرت<sup>(١)</sup> وقلت لله من شيخ شبيه بحبي بن يقطان<sup>(٢)</sup> ولا أبعد  
أن يكونه<sup>(٣)</sup> ولعل الذي بيده ملکوت كل شيء أن يمتعني بقاء ثنيّ يعود  
جزعاً<sup>(٤)</sup> بعد تناه طال طوله وتمادت مدة إِن الغيب جونة<sup>(٥)</sup> للعجبائب  
مطبة يفكها فاجئ من قدر غير مرقوب عن عبر غير محسوبة وكأين من  
بعيد قربه القدر أي قرب وقرب قذفه إلى أعمق شعب<sup>(٦)</sup> وأعظم العبر  
والقدر وأنت يا أخي دفع لما أتلوه من آياته بالراح أفوف في وجهه لا  
تبسط روبيه ما بين حاجبيك له مستبعداً أن يكون القدر<sup>(٧)</sup> ذا سلطان  
مبسوط إلا على عدد من الأسباب مضبوط ومعتقداً أن المعروف من أفعالك  
والمنكر والجد من تسخطك واللعب والحق من أقوالك والباطل بمعزل عن  
عصمة القدر وبمحيد من مجازه وبجنبة من مشيته وبخلاص من شركه وبمنأى  
عن سهامه إنما هي منك لك أو عليك ولو كانت<sup>(٨)</sup> أقيمت عليك من  
حوش<sup>(٩)</sup> القدر لما أرصدت لوعيد عقاب ولا وعد ثواب هذا غاية ما

(١) جهر الرجل رآه بلا حجاب أو نظر إليه وعظم في عينه ورائعه جماله وهبته كاجتهره.

(٢) حبي بن يقطان من رموز القدماء يرمزون به إلى العقل الفعال المدعى في لسان الشرائع بروح القدس.

(٣) أي أن يكون هو إياه.

(٤) الجذع بفتحتين قبل الثناء، والثبي الذي يلقى ثبتيه ويكون ذلك في الظل والحافر في السنة الثالثة وفي الحرف في السنة السادسة، ويقال: أحذع لولد الشاة في السنة الثانية ولو لولد البقرة والحافرة في السنة الثالثة وللإبل في السنة الخامسة، والجذع اسم له في زمن ليس بسن تنبت ولا تسقط.

(٥) في القاموس المحيط الجونة بالضم سليلة مغشاة أدمًا تكون مع العطارين.

(٦) الشعب هنا البعد.

(٧) فإن المعتزلة يقتصرنون القدر على غير الشرور وغير الأفعال الاختيارية للعبد.

(٨) قوله لو كانت لـخ إشارة إلى قول المعتزلة لو كان العبد غير الخالق لأفعاله الاختيارية لكان القول بالثواب والعقاب لغواً.

(٩) الحوش شبه الحظيرة.

ستهدف لوقع فكرك ووقف عنده خبب<sup>(١)</sup> خاطرك وسمح به رشح لدك<sup>(٢)</sup> وعرست فيه رجاك لعدك وإن صدقتي فراستي في هذا الآل<sup>(٣)</sup> الم قبل استعنته بصيراً عليك وشريكاً في استنقاذك مما سُول لك فلياته صاحب لي يتلطف بين يديه لتعرف إليه فلما أتاه القاه من ابتغائه فإذا هو هو وإذا نحن بداري إليه حيناً ورفهناه قدر نقض الحشمة<sup>(٤)</sup> ومزج أسباب المباطة وأخذ الحديث في شجونه فأقبل على يقول مالي أراك<sup>(٥)</sup> غير ذي العهد الذي عهده وغير ذي الإلف الذي عرفته أراك زمر النشاط<sup>(٦)</sup> ذابل الورق مخصوص النقى معقول الأصلة<sup>(٧)</sup> رائب النفس<sup>(٨)</sup> واجم السحنة<sup>(٩)</sup> بعد عهدي بك ضرمة<sup>(١٠)</sup> تنهب ونبأً تموج وإعصاراً تعصف وشفرة<sup>(١١)</sup> هداة الغرب وجواباً غير مكبوح الجماح فكإنما بلى غليانك يفتأ<sup>(١٢)</sup> وعنود عرقك يرقأ<sup>(١٣)</sup> فقلت

(١) الخبب ضرب من العدو.

(٢) لدك بالفتح والتضييف خصامك.

(٣) الآل يريد به الشبح ويريد أن يقول إن كان الشبح الذي رأيته هو حي بن يقطان كان لي أكبر عون عليك.

(٤) الحشمة الاستيحاش.

(٥) قوله مالي أراك إخ رآه حي بن يقطان منقبضًا وكان ذلك من حزن على صاحبه المنكر للقدر فأراد أن يعرف سبب انقباضه.

(٦) زمر النشاط قليله.

(٧) النقا عظم العضد أو كل عظم ذي مخ والنقي المخ والأصلة من اللسان طرفه.

(٨) رائب النفس فاترها ضعيفها.

(٩) واجم السحنة عبوس الهيئة منقبض.

(١٠) الضرمة بالتحريك الجمرة.

(١١) الشفرة بالفتح السكين العظيم والغرب الحد والمداة القطاعة.

(١٢) فتاً الغضب كجمع سكنه وكره.

(١٣) رقاء الدمع والدم سكن وبابه قطع عن العرق سال.

كذلك للدهر ضربات أحياف<sup>(١)</sup> والمرء في تصارييفه فإنه ليكسو ثم ينضو<sup>(٢)</sup> ويخلع ثم يخلع والتغيير دينه والتبدل هجيراه ولقد كنت على بينة من ثبوت القدر بقياس معتبر فتلقق إليه<sup>(٣)</sup> من التجارب ما رفده وعضده وإذا شهد القياس للحق وشهدت التجربة للقياس تأكد الإيمان وعقدت النفس على سرده<sup>(٤)</sup> وأعرض الوهم عن همز الشبهة ولمزها ولم ينحهما الإصغاء ولم يؤلفهما البال وانشر عنهما الذهن وهذا رفيقي لقد أطاع نزغات الشيطان في جحد القدر وهو زلوق عن القبضة لا تملكه الحجة لقد غرى بشبهة ترين على قلب من لم يعجم<sup>(٥)</sup> الخلقة بناجذ الحلم واجتلى وجه الحق<sup>(٦)</sup> من وراء سحق<sup>(٧)</sup> رفيف فما باح له الطياع بسره ولا هش وجه الحق في وجهه وإنما يضرب لله من عادات برؤية أمثala ويجري عليه من مذاهبهم أحکاماً ولقد بردت عين عقله بكل برود<sup>(٨)</sup> فلحظه لحظة القذى وعرضت عليه كل آية فتولت عنه بركتها فكان الذي نلتة من لقائك عفو أمنية أعلل بها النفس تبيناها مقلبة الأحوال غير مرتصدة ولقد كان الاستصرار عليك والاستنصار بك من مثله واستدناه تطوفك وامتراء شطرك واستجراء لسانك ببيانك والإصاحة لنيل موعظتك من غرر الأغراض المقصودة بتيسير الله

(١) أحياف شتى.

(٢) نضا ثوبه خلعه من باب حذا يخلع الأول من خلع عليه خلعة والثاني من خلع ثوبه نزعه.

(٣) تلقق إليه انضم.

(٤) السرد النسج ولعل الضمير يرجع إلى القياس فانظر.

(٥) عجم العود من باب نصر إذا عشه ليعلم صلابته من خوره.

(٦) قوله واجتلى وجه الحق لخ إشارة إلى أنه أراد أن يتعرف إلى الحقيقة من مرآة الجدال أعني الحجج الجدلية وهي لا توصل إلى المطلوب.

(٧) السحق بالفتح الشوب البالي.

(٨) بُرُّ عينه بالبرود كحلها به والبرود كحل.

لقاءك ومنه بقربك وأجسام الصنع بأدناه والإدناء منك ولقد تيسر فانعم ببيان لعله يشحد منه بصيرة غشيتها كلول ولبسها طبع واستحوذ عليها هو وثارت عنها السكينة واستوحشت منها الهدایة ولعله ليس بجاهل في الله مخلصاً ولا يلوى على عصبية كلما أسفر له<sup>(١)</sup> وجه الحق لفته عنه فإن المجاهدين فيه حق الجھاد مهتدون منه سبيل الرشاد ولعله بموعد من میقات مكتوب تنفق فيه أکمام ذهنه ويمنع جامس فهمه<sup>(٢)</sup> ويرکد تيار لجاجه فإن کل أحد كتاباً وإن ابتلائي<sup>(٣)</sup> بأصدقائي تعصبني چم المشاکلة في النوع والمصادقة في الوطن والمشاركة في الحاجة وعوذ<sup>(٤)</sup> الغنى عن التعاون والتعاون وكل ذلك مما يحدث الألفة ثم تزرع الحبة ثم تحصد الشفقة والشفقة بیضة تنفع عن النصيحة والنصيحة لقمة قلما تساغ ولقد يغص بها من لو ساغها استهناها فإذا عافها مستطعهما فمجها كان فتا في عضد النشاط وردمًا لباب شر جاء وغمًا مضروباً على النفس لواضح إخفاها فيما حاولت من إشفاقها ولما أعضل من دائه الصديق كل إعطال وأیس من منظور الإبلال حتى حل طبيب شرب الشهوة ورفع عنه قلم الحمية لا جرم أراکني أيها الشيخ كثيـب نفس سلیـب الأنس وله أخوات بل أمهات ترق على الغر الغبـي وتتجـد<sup>(٥)</sup> على المـتحـتـنـقـ الآـبـيـ فقالـ ليـ هـونـ عـلـيـكـ<sup>(٦)</sup> إـنـ الـمـلـكـ لـغـيرـكـ ولـقـدـ عـلـمـ قـبـلـ

(١) قوله كلما أسفر له لاخ نعت للعصبية.

(٢) جامس فهمه جامده يابسه.

(٣) قوله وأن ابتلائي إشارة إلى سبب حزنه على القاصر من أصدقائه وهنا يكشف اللثام عن سبب رأفة الأساتذة وكبار القادة بالأمم والتلامذة ولقد بلغ البيان هنا مبلغاً هائلاً مما يندر في غير هذا الكتاب.

(٤) تعاوذوا عاذ بعضهم بعض فالتعاون بمعنى التناصر.

(٥) تجد تحزن من وجد وجدى بالفتح.

(٦) هنا عاجـ حـيـ بنـ يـقطـانـ حـكـيـمـاـ بـانـجـعـ عـلـاجـ وـالـمـلـمـ بـأـفـانـ الـعـلـومـ يـعـلـمـ أـنـ ماـ أـتـىـ بـهـ حـيـ بنـ يـقطـانـ فـيـ إـرـشـادـ هـذـينـ الـمـتـاظـرـينـ هـوـ التـعـلـيمـ الشـرـعـيـ الصـحـيـ.

أن خلق ما خلق وفلق ما فلق ونظم من الأسباب ما نظم وخلط من الأصداد  
 ما خلط وضرب من الأساليب ما ضرب ورافق من الحار والقار والبلة  
 والصلة ما رافق وزاوج بين مسكة من عقل كريه الاحناء عارية الملامح قليلة  
 الأعوان وبين شهوة واقفة النجاة حاضرة القنص وغضب ذي تدراً ببطوش  
 وأمل ذاهب في سنن الامتداد لا على مهل عابر لموقف الأجل بعجل  
 وحرص أصم عن الذم أعمى عن العبرة ما زاوج إن هدى وضلالا وإن  
 تقوى وإنهما كأوان استقامة وأودا وإن عصيائنا وطاعة وإن إنصائنا ولجاجة  
 وإن سعادة وشقاوة بل علم أي العدوين الأغلب وأي الحزبين الأقوى  
 والأثر لا تخفي عليه خافية فيجوز أن يمضي أمره ويقضي قدره وينفذ  
 حكمه ما صرفه عن ذلك وكيف يصرف ولا وقفه وكيف يوقف فاسلم  
 واستمر مع المقدور وإما تكرهن شيئاً فكرهاة لا تأخذ بيده إلى رعوب  
 النفس وانحلال الأزر وحرج الصدر بل قف عند الاستكثار والإنكار وعبر  
 برفق وعظ بلطف فإن العنف مصرفه عن المساعدة محصنة على اللجاج  
 وعليك بالرحمة فإنها لأولى بستقيم الحواء منها بستقيم الأعضاء وإذا رمت  
 أمثالهم بعين الرحمة وألقيت عليهم الرأفة بورك لك ولهم فيما تنحلهم وما كل  
 يعصم عصمة يوسف حين رأى برهان ربه وكانت همت به وهم بها ولا  
 عصمة أبسال حين نشا عليه كنهورة من حيث شب سلالة فأرته وجهها  
 فاما أنت أيها الكليم فقد ذهبت في أمر الوعد المرغوب والوعيد المرهوب  
 وإنهما للكاسب دون المدبر ومن يجري مجرى الخبر وللكادح دون المقصور  
 ومن يجري مجرى المحروم مذهباً، لو كان عقد المصلحة والعادة لجج بنا كما  
 لجتنا ونقضي عليه كما يقضى علينا وكان لشيء نسميه عقلاً أو حكمة  
 عليه سلطان بإباحة أو حظر وكان جناب القدس عرضة لعدل وعدر وكان  
 إنشاؤه ما أنشأه وإنداوته ما أبدأه وتقديره ما قدره لغرض أجاب داعيه وأبغى

عليه باغيه أو لعنة سمعته فسام وبسبب أقام عزمه فقام كلا إنه لا يسأل عما يفعل يعلم ذلك من يعلمه من رسم في سواء العلم رسوخاً وشرب منه ريا نميرأ، وألقيت إليه مقاليد الأسرار إلقاء وجليت له شبهات الحكمة جلاء ثم أنفقت عليه كنوز من عمره وذخائر من زمانه وقد سئلت إرشادك ولمثله في مثلك مهلة وأنت على خوف من مخالفتي لاتسع الريث ولا ينبغى بحر طلبتك وكشف هذا المعتاصل عليك إلا الريث بعد أن يناسبه طبع ويساعده من الله صبح وتكون عبر أسفار ذلك المنهج قد بلغته ذلك المخط وشرحت صدره فإن تفرضه المجاهدة في تلك السبيل ولا يغشى بصره ذلك النساء فعد عن ذلك إلى نهج آخر مما ألفته فإن ذلك النهج مضنوں بأعلاوه معجوز عن حاقه لا يخرقه إلا الخزيت المشبع والمهدى الموفق في زمان ممطول فهم بنا إلى الطريق أفرغ من طريقك فرغاً وتحمّيل أخف على كاهلك عيناً وسييل إن لم ينفذك إلى حري الحق ومعاينة طرفك فيه طيفه وفيه عليك ظله فلنضرب الآن إلى أرض أخرى هي أخرى واعلم أن جناب القدس منيع أن نطأه أقدام الأوهام وأحكام الجبروت عجيبة عن هذه الأحكام وأن خالقك ليس إنما يفعل ويذر ويقدم ويؤخر لمثل ما تفعل وتذر وتقدم وتؤخر وأنك إن استحببت مقاييس صنيع رب العزة بصنعيها اختلفت اللعنان وتفاوت المفظان وهجمت عليك شبه مدحمة هي أدجى من شبهك المثاره في باب الوعد والوعيد المطاردة من وكر الثواب والعقاب ويلزمك في كل شبهة منها ترجو محقها وضلاله تحرى أزهاقها من كلفة التحسين والاعتذار والتخلص من رقبة خالق الاستنكار أكثر مما يلزم خصمك القائل بالقدر فإن كنت تضرب من أفعالك لأفعال الله أمثالاً وتحاذيها بها قياساً فثبت لأمثال تضرب لك رجالن كل منهما سمت همه إلى عقد بنية في برية عطشى فل لا يغاث ولا يسب فيها فجرة من ينبع ولا ينحط إليها مد من أتى ولا يضي أديمها

بشرح وهي ملصمة مسبعة لا يعتسفها الأشرطة مغوار بنفسه وهي مع ذلك سهلية أقصر جدًا إلى فرض البحر ومرافق التجر وبلاد الفلاح في الكسب من غيرها وقد هجرت إلى سبل وعرة حزون هضبات ومتون في أهضام وبطون وعقبات كثيرة وثنايا محصورة وشعوب حرجة لا يكاد الركوبة والحمولة تجدها إلا عن إنبات فقال كل واحد منها سأشيد فيها بنية مكورة مسورة ذات مسالح وفراديس ومحال ومساجد وحمامات ودور قور لها قياطين فيع وآزاج وأروفة وأزوج ومصائف ومشابات وأنابير وجرن وأبتئر فيها آبارًا وأحرق إليها قنياً استنزها الماء من سواعد الأرض استنزاها وأسترشحه من قصبه استرشاحاً ثم أعينه وأسيله وأسيحه جداول في حوايا الأرض أذيب سريانها وأوديها إلى وجنات الbrah واديًا غمر الماء عبابًا أسبق به صفحات الرياض وعروق الأغراض والزروع ويكون للمارة شرباً وظهوراً وكل من هذين غنيٌ عن رادة ترتد إليه مما أزمع عليه ليس يتغير به عوضاً عن الإملاق ولا يغشاه من الشاء أريحية وهزة ولا يحبوه الشكر بهجة ولا يذيقه الذكر لذة ولا يتغير منه بسبب ما يفقده حال راهنة إلى حال طارفة واحدهما ابن نجدة ما يئوب عليه عمله وما يستغنيه صنعه ويعلم علمًا يقيناً لا يخدش جبينه ريب ولا يطعن في حرمه شك إنه وإن انتهى صلاحًا وتحري نفعًا فلا يتفق في الغالب الذي هو أكثر إحصاءً وأمد مدة إلا ضد ما اشرأب إليه قصده وخلاف ماولي شطره رضاه وإن استظهر على أهلها بكل مصفع يسمع الوعظ الأربع ويهد وزاجر يفرى في التهديد ويقد فإن عقدته لتكون زربية لمن يستعرض القوافل ويغشى السبيل ويساب المارة ويغير في السبيل الأجدى المسلاوكة بعدو منها إليها ويروح إليها ويروح إلى مأمنة منها وإنها تكون مصطبة للفجور ومسباة للخمور ومضنة للفواحش وإنما يسلم فيها العدد القليل شاذًا بعد شاذ وفذا بعد فذ، وأما الثاني فقد حسن الظن بعقبي

أجمعه وحال أن ما سمت بطويته سنته ولفت بنيته لفته من صلاح قدره وخيرهم إليه ومعونة حرد حردها واهتمام شام فضله وإحسان أم صوبه أما تيسير ثم إن كلاً منها لم يعرج إلى تنفيذ مشيئته وتشييد البنية على الصورة الحكمة فصدق علم الأول وأخلف ظن الثاني فأخبرني أيها الكليم هداك الله ماذا يفتني به إمامك من المعاني التي تعرف بالعقل ذلك الذي سلمت حكمه في باب الجزاء على القدر إذا استفتته عن صنعيهما فعله ينحل ثانٍ برأجلين قبولاً للعذر ويعزوه إلى حسن نية عارضتها دون تمام العمل يد حاجزة أو لعله يشح عليه بتمهيد عذرها ويفيض في تأنيب وتبليم رأيه قائلاً له ما كان بك افتياق إلى عمل شاه وجه مغبته وعمت الفتنة بسيبه وهلا فكرت ثم قضيت ونظرت ثم أمضيت ولم لم تفكر في نفسك لا أكون قد أحنا لزنان فتنة أو ماهذاً مهاد آفة وعرضة لنديم، وأما الأول ففتواه فيه جزم حتم وهو أنه المعموم في مغاط العدل لا متنفس له إلى العذر ثم إن كنت أيها الكليم تضرب الله أمثلاً مما خلق وتجري عليه أحكام الجميل والقبيح والمباح والمحظور فائي الرجال تضرب له مثلاً وتشبه به عملاً لا سيما إذا ذكرت رأيك أن الناجي زمرة زمرة ومن يهوى هواك ويأتي الحق من مأتك لو جمعت لم يشع جوف قربة ولا اسودت لمعة بقعة والآخرون مردودون عندك في وحدة الهالك أليس فتواه أن الأول منها هو المثل تعالى الله عن أن تضرب له الأمثال وتعرض عليه الأحكام أو يكون له فيما يقتضيه غرض أو أرب أو علة أو سبب علا مكانه وجل شأنه وسفلت الأوهام عن كنهه وكل شيء هالك غير وجهه لا يسأل عما يفعل ولا يعلل ولا يشبه ولا يمثل هذا والقدر من نية الرجل وعمله هذا القدر فكيف إذا كان هذا المظلوم قد حشر على من أسكنه عقدته وجزم عليه أن يخدمه ويخلى واردة الفساد عنه من مرابطين عدة دينهم السعي بالفساد في البلاد والعباد وتجنب كـ من ~

يصح صفوهم ولم يضلع ضلudem وحد عنهم وعاف شرعتهم بكل حيلة ووسيلة إلى تضليله وأقعد أيضًا بإزائهم وزعة، فاما أولئك المرابطون فقد ملكهم من المضاء والرواح واللسن والحن وخلابة المنطق ورشاقة الولي ووقوع الإشارة ووشك القبول ما هو رداء عظيم وأداة عاملة وآلة معينة، وأما الوزعة فحاملة النفوذ خافية النغم شاسعة المبادئ نائمة الإشارات لا جنبية المناسبة واستيحاش العادة وبعد المصلحة ونزوح المقامات فلا يكاد يؤبه لها ولا تروح بنيات الخواطر منها إلا إذا تسنى من الأسباب ومن الدواعي ما يطير الوسن من عين المعتبر فيحدق إلى الوزعة تحديق متبصر ويكشف الغشاوة عن قلبه فيفكير معتبر وينفتح التوفيق في خمدة ذهنه فتعود وقدة في فحمته فتعود جمرة ويسلم مع ذلك من معارضه نشاء آخر من أعضاد المرابطين فحينئذ ربما رجيت سلامته، وأما إن وازن الدواعي أيضًا من الصوارف ما يزتمها فإنه يبوء به إلى النادي الجنبي والمجمع الأثيم والمستغنى بقربان اليد للمرابطين ولمن يتائب معهم على الساكن المسكين فإن الساكن المسكين مخلوب بأمرور عليه مغلوب يصبو إلى أولئك الغاشة المتحدين المحبين فإن الوزعة في العام غالب لا توصل أحنتهم بمؤازرين واعلم أنار الله قلبك وسن غرار ذهنك أنه لا تنتهي إرادتك إلا وقد تمثل قبلها في وهك صورة شخصت بسببها منك همة توجهت بك إلى قبلة وربما كان الذي ضرب يده إلى منكب وهك فهرة عقلًا رصيناً وظناً مستحوذاً وتخيلاً لازماً وربما لم يكن كذلك بل كان سenna غير مضبوطة ونفثة في روحك غير واصبة وخلجة غير محصلة وآخذة من الخواطر المضمحة إلى غايات نافرة باردة خداع لا يتلقى منقوشها قوابيل الذكر واعمل ما تكون هذه السنحات إذا شيعها من العادة أذعان أو كانت من أفنان شرخ اللذة فوافاها من الشهوة استيقاظ أو كانت من شرر سعير الغضب فقادها من السخط ابتهاج إلى

صابقات من معان أخرى في سينحات أخرى ربما أعيها عدها وآذى التذكر  
ستحضرها وهنالك إذا أومض من السينحات برق فكأنما أوقع ودقاً  
وتهض إرادة لائزة بالأرض تحكي نهضة الطلاء الرا婢ض رتعا ولو لا تلك  
معاون المزعجة لجسم منها الواقع ونام الواقف ولو كان بدل ذلك الوميض  
ودق وبدل ذلك البرق صعق وما تذهب إليه من أن فعل العايث والنائم غير  
موصول بغاية ولا مسند إلى غرض ولا متزوج إليه عن طارق ببال ولا  
معقود عليه قصد وهم بل إن العايث لفعل غير موصول بغاية عقلية أو غرض  
فكري إنما له من لمعان التخييل مبدأ ومن غياته متنه فالنائم المنقوص في  
سبات الغرق هو أيضاً في سباته متوهماً وبوتهمه حاس نازع وبنزاعه متحرك  
وإن كان نزاعاً غير مخروط في سلك رأى قار أو ظن معقود إنما هو تلويع  
مجتاز المشير محلول المغزى والنائم قد يحس بالأذى إحساساً محله من  
لا إحساس محل التلويع من المنكر وإن لم يكن علنًا أو راسخاً مرکوزاً، ثم إن  
ظن النائم يقطان وتوهمه عامل وغريزة التوقان فيه رصد إثنا نام من عدده  
ظاهرة دون أدواته الباطنة وقوة الشوق من داخله قائمة وكامنة منتباً لا  
بنائم عنه ولا لاهٍ فيه وسنهاته تحرك من شوقة تحريكها منه وهو مفصول ما  
 بين شفتين مفتوح العين كانت السينحات إلهام رأي أو إيهام ظن أو كانت  
براعة من خيال وشوق شفيع إلى قوة العزم وهي ربة السلطان على قوة  
حركة فإذا راودها الشوق واستنجد عنها أسعفته بتحريك العضو وإتمام  
ال فعل فاجتمع من هذا أن كل فعل مصدره أية إرادة كانت فهو طاعة الشق  
ـ اعلم أن كل إرادة و اختيار مبتدأ مستأنف وكل مبتدأ مستأنف فله سبب  
وكل ما له سبب فإنه ينبع عنده من حيث هو بالفعل سبب وهو من حيث  
هو بالفعل سبب فهو موجب وما لم يعقد عقدة الإيجاب انحلت عنه مسكة  
نسبية وربما استرخص في إلباشه بزة الشرطية فالإرادات منشؤها أسباب

مؤاخذة بالإيجاب متزحزح عن سبيلها التجويز وهذه هي الدواعي فإذا استطالت بسلطانها على الحواجز وتوقفت من كل مأوى وتحوشت إلى قوة العزم من كل أوب وأخذته بين قود حاد وسوق داع لا ريشة فيها ولا تعريج خضعت لها رقاب الإرادات صاغرة إليها منفذة أعمالها وكأين من خطة كنت خبيراً بآجلها قديراً على الدفع في صدر عاجلتها فوقعت في وجهها فكأنما التقم ساقيك حزام القيود وضبط كفيك وثاق المكتوف وكأنما حد لسانك عن الاستصراخ فلم ترحل ولم تقل ولم تفعل حتى لحقتك الخطة فغطتك في الورطة وكتف مع الرعب ملكك وإمكان النقض عنها ملكته كالمتضرر لها وهل ذلك إلا من أسباب رها القدر والصوارف عنها تلك دقيقة الأشباح قليلة الآثار فائمة عن الذكر لو أنشدتها في ضوال الحفظ قلت كسل أو ظن حسن ولم (.....)<sup>(١)</sup> خانك فيه الوهم ولم ينفتح دونها قفل الذكر فإن نشط ناشط لمعارضتنا بإرادة الخالق جلت قدرته فليعلم أن تحصيل إرادته خطب أغضى ليلاً وأنئى معنى وأغلى ثمناً مما نحن فيه ومن الذي ساعد على أنها من قبيل إرادتنا إلا بالاسم ومن الذي أنعم بأنها حادثة من العدم وكيف ما كان فإن الأمور التي يسلك إليها النهج المتضخم ويسافر نحوها من جواد الطرق لا يضلل عنها بالخفيات التي الطريق إليها أو عر والإحاطة بها أصعب وما أنصف من جعل الجهل بمجهول دليلاً على الجهل بمعلوم ولعل الذين ناجتهم الحكمة ببيان أنجتهم عن أخذه هذه المعارضة وعرفت إليهم الإرادة الإلهية تعريفاً نزهها عن ملامة هذه المناقضة ولقد ضل من خام عن مسايرة العقل في كتم الحق تقية أن يحط رحاله بمطرح من الإلف وإنما الرشد من الحر مع موضوع العقل ومرفووعه إلى أي معرض اتفق ومن استأثر صحابة رفقة لم ينص على الرحلة ومن تعرفت إليه الوجهة كان

(١) بياض بالأصل.

بن الرفاق على حرف فلنرجع إلى ما انحرفنا عنه في شجن منه ونقول تسمع بذلك الله أن هذه الدواعي لا تتناول النفوس كلها ببطش واحد وإنما بينها وبين النفوس مناسبات شتى ولربما خشعت لعدة منها نفس لا تتعمق إلا ضعافها فئات أخرى كالمشرفة تعمل في ضريبة وتبعد عن أخرى والساعده واحد وذلك إذا صلت الضريبة ولا المعمول فيه ورجعت كفه متأثرة ولأسباب في ذلك تفاوت النفوس في السجايا والأخلاق والتربية والعادات والنقطانة والغباء والهيبة والجسارة فإن الدواعي الدارجة عن عش الشهوة لا تسيي المعشعش كما تسيي الغر الشارخ ولا تسيي العزهاة كما تسيي الزير ولا تسيي المتنسك كما تسيي المنهمك المتهتك والدواعي التي تفسو بها أو ذى الغضب لا تستهوي المبرود كما تستهوي المحرور ولا تسور المبت Hwy كما تسور المبتيس ولا تستخف الطاعن في ذنابة العمر كما تستخف من ذى عصاه في روق الشباب، وأعلم أن الأسباب موصولة بأسباب والدواعي مقابلة بالحواجز ولخيل الدهر ركض في مشوار طويل وحلبة مديدة وقد تحصل مصادمات أسباب تحرف عن مقاصد وجهات إلى مقاصد وجهات وربما وجهت صدمة إلى أخرى وربما كانت الصدمة حبسة وربما كانت صرفة بها وربما كانت همزة بشد فخذ من هذا كله أن إرادتك موجبة وأفعالك نتائج وأقرب ما يساعد عليه من هو أك أنها إن لم تكن موجبة فهي كالموجة ولو لا أن اسم الإجبار ينطبق على معنى من الحمل المستكره تقضيتك عليك بأنك محبر فإن لم تكن محبراً فكم محبر ولا يفيد فرق عند اعتداد عظمة الصانع جلت قدرته بما دونه بين السابق وبين ما هو مصلني سابقه وتالي عاته وضيف ضيفه فإن ما بين كفتين كعين لا كثير بين فكيف إذا كان السبب ألح من هذا والشبه أجمع وكان الانحدار عن تسليم المساواة إلى المدانة وعن المحسنة إلى المشا بهة وعن فرض الإرادة موجبة إلى

قبولها كموجبة مؤاتاة لا التزاماً وتطوعاً لا استيجاباً هذا ثم لا كثير فرق بين إزهاق ما تنفيه من القدر وإزهاق ما تثبته من الدواعي المتسلطة على الصوارف فإن كان المنهمج على الخطيئة إذعاناً للقدر معذوراً فالمقدود إليها بأزمة الدواعي معذوراً أو في تخوم المعذور وإن كان صنيعنا قياساً لصنع ذي الملوك الأعلى فالكريم منا لا يمهل عذرته في مؤاخذة المعذور حقاً أو من له شنثنة منه فكيف إذا كاد أن يكون فهل يقضي عليه عزت قدرته فيما تنسبه إليه من الوعيد والتخليد بهذه القضية وإن كنت تنزه جبروته عن المقايسة بعملك فمن عزلك عن الأرجاء خائباً رسول لك القول بالتخليد واجباً، وأعلم أن قولك بحسن التكليف أو بوجوبه شيء عويص بميزانك ولو رجعت فيه إلى فتيا عقلك كان لوكة لك لا تسيفها ولا ضرب لك مثلاً من رجل ثالث حشر زمرة وجمع عصابة وقال: كل من أقل حصاة من هذه الحصى قيد شبر أبنته طوداً من نضار وهضبة من ياقوت وزبرجد ومن خالف جدعته وسلته ثم صلبته وقتلتة وهو رجل غني عما سام الزمرة وندب إليه العصابة سواء له أنعم أو حرم لا يدخله أحدهم شيئاً يدخل عنه الآخر لأنه في نفسه محول كل شر ونائل كل خير ومزدرى كل بهاء ومجبر بكل سناء لا تكسبه الكلفة مزية لو وضعها خسرها ولا به خصاصة يسدّها باقتبال صنع واعتناق سعي بإنعم أو غيره وليس كالواحد منا ينعم لقضاء حق أو جزاء ولا لسان صدق وثناء يسرانه والمسرة ربح مفاد ولا شيوخ ذكر وذيع صيت يشرفانه والشرف نعم اللباس، ولا إتيان بالأجمل في الفعل فتكون حاله وقد أتى به أسعد من حاله لو تركه لكنه غير مثلكما غني لا يؤتى إليه آت يمدّه مجدًا لولاه لحرز عنه وارث دونه ما ينهيه، ثم لا يؤذيه خلاف ما كلفه ولا يؤسيه ولا ينكى بوجه من الوجوه فيه سواء أنت الزمرة أمره طائعين أو صدوا عنه أجمعين، ومع ذلك فقد أعزى بهم مكسلين عما أمرهم،

أصحابهم من المنشطين نفرًا قريباً من تكون سورتهم على المرابطين لا  
نجد في بتنشيطهم من الموقع ما تجدي تكسيل الآخرين وقبل ذلك كله فإنك  
ذا حفقت ذلك لم تجد الكلفة تقوم بذلك الجزاء إلا جعالة تلك الإقلالة جبل  
من عسجد وهضبة من ياقوت وزبرجد وإلاغرامة ترك الإقلالة جدع وسمل  
يغنى على إثرهما صلب وقتل ثم إنه وفي بما وعد وأوعد فقيل له هلا سمحت  
ما أثبتت عفوًا وصفحت عن عاقبت تكرماً فقال لقد أدققت في ذلك نظراً  
ـ أعمقت فكرًا وأردت أن أزيد من أنعمت عليه غبطة وأضاعف له بهجة فإنه  
ـ ذكر الذي صار إليه من النعيم، وناله من البلاء الجسيم كسب كسبه  
ـ سعي أجمله، وأثير أحمده، وغناء أبدائه هب نشاطه عن هجنته وقام طربه  
ـ على ساقه وغشته أريحية تقابل الحسرة وجذل يقابل الندم، وكما لم أجد  
ـ من التحرير والتحرير بالوعد والتأميم لم أجد بدأ من الترهيب  
ـ تحذير بالوعيد والتهديد وأن آخذ فيما إلى أطوار المبالغة، ثم أزمني  
ـ تدين بالصدق والنفور من الخلف الوفاء بالأمرتين إثابة للأقلين عدا، وهم  
ـ سمحاء بالطاعة ومعاقبة للأكثرین حداً، وهم الأشحة بها فكل علمته قبل ما  
ـ كفته، أليس مفتلك الذي سميته عقلاً وجعلته أصلًا يقول لك ليتك توافت  
ـ فنيلاً وتأملت تأملاً ولم تجل على مطاييا العجلة فلعله كان يسرك أن تعتبر في  
ـ غسلك فتقول ما عسى أن تبلغ العبارة عن نائل هذا الثواب مبلغًا يعتد بعمله  
ـ عملاً تكون أجرته من الياقوت جبالاً فإن يفترق الحال عنده بين أفضال عليه  
ـ عرف ابتداءً وإيصاله إليه جزاءً فإن افترق فيما يحمل من أن يسف بعين  
ـ عتدال أو لحظ كفه اعتباراً أو يكون لقدره عنده قدر الامتنان بالجزاء  
ـ نذكر والجائزة الموصوفة أشاه أو يكون لإحلال النعمة بالنائل الذي  
ـ عظمته والنوفل الذي أجسمته من هذه العلاوة في ترقيق قدر المنة أثير، وإن  
ـ كان قصداك في هذه العلاوة تحويل مزيد غبطة فهل حرية تعذر ذلك نعمة

آخرى أو أضخم منها حجمًا وأنعم بالا وأوزن الوعيد عائده، وأبعد من أن يكون في واجباته الوعيد بالجدع والسمل والصلب والقتل والتصديق لذلك الوعيد المبier عند الخلاف في ذلك الأمر الحقير، وقد علمت أن من سيرج به وعيتك ويلمسه سوط عذابك ويقضى عليه سخطك ويفسد مكافأتك هم الجم الغفير والدهم الكثير والقبيل الأعد والسود الأعم فلقد بذرت لربع وتيه بذرًا احصد ما شئت من وبال، واربع ما شئت من خسران، فإن كنت تضرب لله الأمثال فهل موقع طاعتنا في هذه الدنيا عند ما نجازى به عنها في الأخرى إلا دون موقع نقل الحصاة عند الجبلين بل دون دونه أو هل موضعها من اعتداد أن الغنى بها إلا دون موضعها من اعتداد الرجل ودون دونه أفترض الله الإذن ما عرضت له ذلك المفند في صنعه الموبخ على أحواله، العابت في أفعاله المسفة في أعماله لا تضرب لله الأمثال ولا تجعله غرض الأوهام ومحط الظنون ومعتقد القياس ثم تأمل، واعلم أنه لو كان أمر الله تعالى كأمرك وصوابك وجميله كجميلك وقيبحه كقيبحك لما خلق أبا الأشبال أعنص الأنابيب أحجن البرائن لا يغدوه العشب ولا يعيشه الحب إنما يقيمه الأبيض والخض العريض الذي لم تطفأ غريزته ولم تبرد حرارته ثم لا يطعم إياه إلا الفرس والوقص والبقر والنقع والنهر والنهر وقد آتاه من الشدق الهرير والناب الصليب والكف اللطومة والأرض الأبوة والعصب المدمج والعظم الصم والرقبة الغلباء والكافل المشرف واللبان الربب والجنب المحرر والأطلل اللاحق والمن الأزل والزن الدلائل أدوات أشددها معاون على لحاق الشارد وجدل المجاهد وفرس القنص ولما خلق العقاب العنقاء ذات مخالب عقف ومنسر أشعفي وجناح أفتح ومنكب شبح وقوادم جثلة وخوافي مطارقة ومناكب لبدة وكلى وأباهر كثة وشكير أتى إلى هامة فطحاء ومقلة غائرة وحدقة سحراه وحوصلة مسجورة وعنق أتلع وفخذ

أعصل محظوظ وساق مجندلة مفتولة ما خلقها لاقطة لحب ولا قاصلة لعشب ولا لاسة ولا حاسة إنما خلقها خارقة مازقة فاتكة هاتكة قادة فارية قاطعة بارية، ما كان بالعزيز القدير جلت قدرته عن ذلك رقة كرقتك أو رقبة كرقبتك لا يراعي ما تراعي في مثله ما سميه عقلاً إذا صدقت عنه روایة ولم تأثر منه على وفاق هوak الآن شهادة من كف الأذى وإطفاء نار الهرج، بل جوز وأمضى بحکم أدق سراطاً وأشد توارياً من أن تلحظه عين ما سميه عقلاً وجعلته إماماً وإليك عن الاعتذار بالأعراض المذكورة عن آلام البطون الممزوجة والفرائص المفصولة والأعناق المفروسة بعد زمان ينسى المضيض ويزهق الترة ويفثأ الغيظ ويسل السخيمة وينزع الغضب ويكون فيه ما كان كأن لم يكن وما فجع كأن لم يفجع وما أوجع كأن لم يوجع لا يفرق فيه بين التعويض والحباء وبين الابتداء والجزاء فإن المهل إذا طالت والأدوار إذا دارت والخطوب إذا تحلت أنسنت العدو عداوة الشيء ولو ابتدأ منعم لا يعلم ثم عزاه إلى أنه عوض عن شجة أو لكمة أو لطمة أو سبة أو إهانة أو زرية أو روعة أو إقناط أو إصابة أو كتم نصيحة ما عهدها خمسون سنة ما وقع موقع العوض وكيف والمهلة أشد تراخيًا وبعداً وبين حداته خفوت طويل وهمدة متمنادية يعقبها نشور جديد واستئناف أمر يجري واديه على الذكر كلا إنه تعالى يثيب فضلاً وابتداء لا إسقاط فرض وأداء إذ لا فرض عليه ولا حق يعلم ذلك من رزق علمه وعرف حكمه، هذا ولعلك تحلني محل من يعقل عن نابغ من أهل طاعة عقلك ربما بنفع فشام على كلامي من غمد ذلك العقل سيفاً وأرسل إليه من جعبته رشقاً وحاول نكث ما غزلته وفصل ما وصلته أو محل من يجهل، إن على كل كلام كلاماً وزمم كل قول قولهً وإن السنة لن تفهمها إلا غزاره بصدق الكلام وشفاها بالحاجة وجاهها وإن الأجراء في الخلاء مبذول وكل في البراح هاتف فلا تحلني هذا المحل ولا

تبعدن أن أكون أخبرهم بما على هذا الكلام بحسب عقلهم وأرماتهم لفرايضه عن قوس وأهداهم إلى الزوغان عنه إلى عقل الشغزية ومماشة العرصة والمحاربة والمحاورة على عناد أصلهم ولعلني أجرى لساناً وأشفى بياناً وأضحى بها حجة واظماً بحر قريحة وأمضى ذباب خصومة لكن كل سعي من هذا الشجار في ذلك خائب وكل اضطراب فيه استئثار وكل إيماء مخطئ لأن الفيصل في هذا الشجار إلى عقل غير هذا العقل والمعبر إليه من طريق غير هذا الطريق وبفad زهر غير هذا العقار وأسوة غير هذا اللطوخ وغيضة غير هذا الخم فإن اسم العقل مشترك فيه وما كل من استعار اسم العقل رشح لهذا الفضل وإن كان كل منه له متتصدياً وعليه متهاوناً وبه مترائياً وإنما المعنى المميز له عما ييوشه في هذا الاسم واحد إذا دبره برد الفؤاد وجلب السكينة وجلا عنه السدفة وأنشدته الضالة وأقامه عن تردد واجلسه عن قيامه ومداراته إلى أن يصرح المحس عن الزبدة غير مضبور عليها إلا من هم عالية ونفوس أبية وقرائح ذكية وتوفق حاضر وطبع مشاكل وزمان غير مشغول الفرصة برجاء غير خاطئة على عجز الفكر وسائل النظر وإماماً أتكلفه أنا أو غيري على قاعدة العقل السوقي فملحق من قوى لا تمر إلا على عجز ومن درر لا تخوض إلا إلى ارتجان وربما خدعت نفس نفسها فاشتبهت تلبيساً يكاد يخنق الندامة عنه ينبع، وما لم توطئ نفسه العشرة لم تقبض الخير يده عن لسانه فإذا أفض فيه أفض ووجهه خافر وقاحة أو أفض ووجهه في قبائح نومه أو أفض وهو على اللسان متوكلاً وعلى اللفظ معول أو أفض وهو مألوس الغريزة أذل للأوهام مغفل ولعمرى أن قرنه الذي ينطحه وخصمه الذي يقاوله ويطاوله إذا لده العقل السوقي إلى ما في الوعد والوعيد على المقدور والمورود وجد المجال ضنكًا والقلادة خانقة والقيد حابساً والتخلص صعباً لكنه أسوأ حالاً من قرنه وأطلب للهرب من

خصمه وذلك إذا استرسلت عليه بعض هذه الضواري وعلقته بعض هذه الشرك وطبق يتقى بيد مرتعشة ويرتكب عين عمشة وهو يرتعش تحت لدع ماسة ويتشيم رجوماً من ظنه غير شهب لعله يغتاث منها غيثاً أو غوثاً فإذا خير جويره وروزه وأسداه وأحمه كان قد رفرق آلا وأفرخ خيالاً واستطاب خبيثاً ورفع وضيعاً ما أجدى ولا أغنی عنا وكيف وما هو بناسج بردہ ولا قادر زنده ولا بار قوسه ولا حابس حبسه وقد عوزه مفتاح رتاجه وسلط سراجه وتقلص عنه من الحق ظله ولم ينده ظله إذ ليست وجهته إلى قبلته ولا مجده في حصده ولا دلاؤه في قليبه إنما يحرش ضبا من غير جحده ويعرف باجأاً من غير قدره فهو كحاطب ليل أو حالب طير أو ناتج عير وقادف بعطب أو داعس بسيير واعلم أن لكل درك تيسيراً ولو كفت الفطرة والجد لكتب كل ما يكتبه ابن مقله وللعبة كل ما يلعبه النابغة ولربما فضلهما بعضهم جهداً وبعضهم جداً ونسيت أسباب وكذا يراوغه التيسير إلى مصلحة وكأنما حبسه على شاؤهما فخ ضبوط، وأضرب عن الكتابة واللعب مثلاً لغيرهما من الأسباب وقف عند حدرك واعترف وما أصدق ما قيل: «اعملوا بكل ميسر لما خلق له» وهذا ما جرى وأنا شاهد والله على ما نقول وكيل، تمت رسالة القدر والحمد لواهب العقل ومفيض العدل بلا نهاية كما هو أهله والصلاوة والسلام على خيرته وصفوته من بريته محمد النبي وآله وصحبه أجمعين.

## الرسالة الثامنة

### في العشق

#### للشيخ الرئيس

قال في الكشكول رسالة العشق للشيخ الرئيس أطرب فيها المقال وذكر فيها أن العشق لا يختص بنوع الإنسان بل هو سار في جميع الموجودات من الفلكيات والعنصرات والمواليد الثلاث (المعدنيات والنباتات والحيوان).

باسمك اللهم وبحمدك سأله أسعدهك الله يا عبد الله الفقيه المعصري،  
أن أجمع لك رسالة تتضمن إيضاح القول في العشق على سبيل الإيجاز  
فأجتبك لازلت طالباً للخيرات توخيًا لمرضاتك وقضاءً لمرامك وجعلت  
رسالتي إليك متضمنة فصولاً سبعة:

**الفصل الأول:** في ذكر سريان قوة العشق في كل واحد من الهويات.

**الفصل الثاني:** في ذكر وجود العشق في الجواهر البسيطة الغير الحية.

**الفصل الثالث:** في ذكر وجود العشق في الموجودات ذات القوة  
المغذية من جهة قواها المغذية.

**الفصل الرابع:** في ذكر وجود العشق في الجواهر الحيوانية من حيث لها  
القوة الحيوانية.

**الفصل الخامس:** في ذكر عشق الظرفاء والفتیان للأوجه الحسان.

**الفصل السادس:** في ذكر عشق النفوس الإلهية.

**الفصل السابع:** خاتمة الفصول.

## الفصل الأول

### في ذكر سريان قوة العشق في كل واحد من الهويات

كل واحد من الهويات المدبرة لما كان بطبعه نازعاً إلى كماله الذي هو خيرية هويته المنبعث عن هوية الخير الحض نافراً عن النقص الخاص به الذي هو شريته الهيولانية والعدمية لأن كل شر من علائق الهيولي والعدم فين أن بكل واحد من الموجودات المدبرة شوقاً طبيعياً وعشقاً غريزياً ويلزم ضرورة أن يكون العشق في هذه الأشياء سبباً للوجود لها لأن كل واحد مما يعبر عنه مرتب تحت أمور ثلاثة إما أن يكون فائقاً بخالص الكمال أو ممنونا بغایة النقص أو متعددًا بين الحالتين حاصل الذات على مرتبة التوسط بين أمرین ثم إن البالغ في النقص غايته فهو المنتهي إلى مطلق العدم والمستوفي لجميع علائقه فالحرى أن يطلق عليه معنى العدم المطلق ثم الحقيق بإطلاق العدمية عليه وإن استحق أن يعد في عداد الموجودات عند تقسيم أو توهم فلن يعد وجوده وجوداً ذاتياً بل أن يستجاز عليه إطلاق الوجود إلا بالجهاز ولن يتعرض لاعتداه من جملة الموجودات إلا بالعرض فإذاً الموجودات الحقيقة إما أن تكون موجودات مستعدة لنهاية الكمال أو موصوفة بالتردد بين نقص عارض من جهة ما وكمال موجود بالطبع فإذاً جملة الموجودات لا تعرى عن ملابسة كمال ما وملابستها له بعشق ونروع في طبيعتها إلى ما توجد متأحدة بكمالها ملازمة لها وما يوضح ذلك من جهة العلة واللمبة أن كل واحد من الهويات المدبرة لما لا يخلو عن كمال خاص به ولم يكن مكتفياً بذلك لوجود كمالاته إذ كمالات الهويات المدبرة مستفاضة عن فيض الكامل بالذات ولم يجز أن يتوهم أن هذا المبدأ المفيد للكمال يقصد بالإفاده واحداً واحداً من جزئيات الهويات على ما أوضحته الفلاسفة فمن الواجب في

حكمته وحسن تدبيره أن يغرس فيه عشقًا كليًّا حتى يصير بذلك مستحفظًا لما نال من فيض الكلمات الكلية وناظرًا إلى الإيجاد لها عند فقدانها ليجري به أمر السياسة على النظام الحكمي فواجب إذن وجود هذا العشق في جميع الموجودات المدببة وجودًا غير مفارق البتة وإن لاحتاجت إلى عشق آخر يستحفظ هذا العشق الكلي عند وجوده إشغالًا من عدمه ويسترده عند فوته قلقًا لبعده ولصار أحد العشقين معطلاً لا طائل له ووجود المعطل في الطبيعة أعني الوضع الإلهي باطل على أنه لا عشق له خارجًا من العشق المطلق الكلي فإذاً وجود كل واحد من الموجودين وعشق غريزي، ولنجعل مهمتنا في هذا المرام مرقي أعلى مما قدمناه ويتمحص عن الموجود العالى عن التصرف تحت تدبير مدبر لعظم شأنه فنقول إن الخير بذاته معشوق ولو لا ذلك لما نصب كل واحد من يشتهرى أو يتونخى أو يعمل عملاً غرضًا أمامه يتصور خيريته فلولا أن الخيرية بذاتها معشوقة لما اقتصرت الهمم على إثارة الخير في جميع التصرفات وذلك الخير عاشق للخير لأن العشق ليس في الحقيقة إلا استحسان الحسن والملائم جدًا وهذا العشق هو مبدأ النزوع إليه عند غيبوبته إن كان مما يبادر والتآحد به عند وجوده ثم كل واحد من الموجودات يستحسن ما يلائمه وينزع إليه مفقودًا والخير الخاص هو الملائم للشيء في الحقيقة والحسنان فيما أظن هو الملائم لا بالحقيقة ثم الاستحسان والنزاع والاستقباح أو النفرة في الموجود من علائق خيريته لأنها لا تطلق على الوجود على وجه الاستصواب بالذات إلا من جهة خيريته لأن الصواب إذا وجد عن الشيء بالذات فهو لسداده وخيريته وبين أن الخير يعشق بما هو خير إما الخاص به وإما المشترك وكل العشق هو لما قد نيل أو لما سينال منه أي من جملة المعشوق وكلما زادت الخيرية زاد استحقاق المعشوقية وزادت العاشقة للخير وإذا تقرر هذا فنقول: إن الموجود

مقدس عن الواقع تحت التدبير إذ هو الغاية في الخيرية هو الغاية في معشوقية والغاية في عاشقته الغاية في معشوقيته أعني بذلك ذاته العالى مقدس تعالى إذ الخير يعيش الخير بما يتوصل به إليه من نيله وإدراكه والخير لأول المدرك لذاته بالفعل أبد الدهر في الدهر فإذاً عشقه له أكمل عشق وأوفاه فإذاً الصفات الإلهية لا تمایز بينها بالذات في الذات فإذاً العشق هو صريح الذات والوجود أعني في الخير فإذاً الموجودات إما أن يكون وجودها بسبب عشق فيها وإما أن يكون وجودها والعشق هو هو بعينه فتبين أن الهويات لا تخلو عن العشق وذلك ما أردنا أن نبين.

## الفصل الثاني

### في ذكر وجود العشق في البساطة الغير الحية

البساطة الغير الحية على ثلاثة أقسام أحدها: الهيولي الحقيقة، والثاني: الصورة التي لا يمكن لها القوام بالانفراد بذاتها، والثالث: الأعراض والفرق بين الأعراض وهذه الصورة أن هذه الصورة مقومة للجواهر ولذلك استحسن الأوائل من الإلهيين أن يجعلوها من أقسام الجواهر لكونها جزءاً للجواهر القائمة بذواتها ولم يحرموها عن سمة الجوهرية لأجل امتناع وجودها منفردة الذات إذ الجوهر الهيولي هذا حاله ومع ذلك لا ينكر اعتقاده من جملة الجواهر لكونه في ذاته جزءاً للجواهر القائمة بذواتها بل وأن يخصوها أعني الصورة بمزية في الجوهرية على الهيولي إذ هذه الصورة الجوهرية بها يقوم الجوهر بالفعل جوهراً ومهما وجد أوجب وجود جوهر بالفعل وأجل ذلك قيل إن الصورة جوهر بنوع فعل، وأما الهيولي فهي معدودة مما يقبل الجوهرية بالقوة إذ لا يلزم لوجود كل هيولي جوهرياً وجوده باللة.

ذلك قيل إنه جوهر بنوع قوة، فقد تقرر في هذا القول حقيقة الصورة ولا يحل إطلاق هذه الحقيقة على العرض إذ ليس هو بمقوم للجوهر ولا معدود بوجه من الوجوه جوهراً فإذا تقرر هذا فنقول إن كل واحد من هذه الهويات البسيطة الغير الحية قرين عشق غريزي لا يخلو عنه أبنته وهو سبب له في وجوده، فأما الهيولي فلديه مومة نزاعها إلى الصورة مفقودة ولو لوعها بها موجودة ولذلك تلقاها متى عريت عن صورة بادرت إلى الاستبدال عنها بصورة أخرى إشفاقاً من ملازمة العدم المطلقاً إذ من الحق أن كل واحد من الهويات نافر بطبيعه عن العدم المطلقاً والهيولي مقر العدم فمهما كانت ذات صورة لم يقم فيها سوى العدم الإضافي ولو لواها لابسها العدم المطلقاً ولا حاجة هنا إلى الخوض في إيضاح لمية ذلك فإن الهيولي كالمرأة اللائمة

الذميمة المشفقة من استعلان قبحها فمهما انكشف قناعها غطت ذمائها بالكم فقد تقرر أن في الهيولى عشقًا غريزياً، فأما هذه الصورة فالعشق الغريزي فيها ظاهر بوجهين، أحدهما: ما نجد من ملازمتها موضوعها ومنافاتها لما يستحبها عنه، والثاني: ما نجد من ملازمتها كمالاتها ومواضعها الطبيعية متى حصلت فيها وحركتها الشوقية إليها متى بايتها كصور الأجسام البسيطة الخمسة، والمركبات عن الأربعة ولا صورة ملزمة غير هذه الأقسام ألتة، وأما الأعراض فعشيقها ظاهر بالجلد في ملزمة الموضوع أيضًا وذلك عند ملابستها الأصداد في الاستبدال بالموضع فإذاً ليس يعرى شيء من هذه البسائط عن عشق غريزي في طباعه.

### الفَضْلُ لِلثَّالِثِ

## في وجود العشق في الصور النباتية أعني النفوس النباتية

فنختصر هنا القول فنقول كما إن النفوس النباتية تنقسم إلى ثلاثة

أقسام:

أحدها: قوة التغذية.

والثاني: قوة التنمية.

والثالث: قوة التوليد، كذلك العشق الخاص بالقوة النباتية على أقسام

ثلاثة:

أحدها: يختص بالقوى المغذية وهو مبدأ شوقه إلى حضور الغذاء عند حاجة المادة إليه وبقائه في المغتذى بعد استحالته إلى طبيعته.

والثاني: يختص بالقوة المنمية وهو مبدأ شوقه إلى تحصيل الزيادة المناسبة في أقطار المغتذى.

والثالث: يختص بالقوة المولدة وهو مبدأ شوقه إلى تهيئه مبدأ كائن مثل الذي هو منه، ومن بين أن هذه القوى مهما وجدت لزمنتها هذه الطبائع العشقية فإذا هي في طبائعها عاشقة أيضاً.

## الفَصْلُ الْيَاعِدُ

### في ذكر عشق النفوس الحيوانية

لا شك أن كل واحد من القوى والنفوس الحيوانية يختص بتصريف يحثها عليه عشق غريزي وإلا لما كان وجودها في البدن الحيواني إلا معدودة في جملة المعطلات إن لم يكن لها نفور طبيعي مبدأه بغصة غريزية وتوقان طبيعي مبدأه عشق غريزي وذلك ظاهر في كل واحد من أقسامها، أما باقي الجزء الحاس منها خارجًا فالألفة بعض المحسوسات دون بعض واستكرياهه بعضًا دون بعض ولو لا ذلك لتساوت العوارض الحسية عند الحيوانات ولما تصونت عن مباشرة المضرارات بها ولتعطلت القوة الحسية في حقيقتها، وأما الجزء الحاس باطنًا فلاطمئنانه إلى الراحة المنبعثة عن التخييلات المروحة وما ضاحهاها إذا وجدت وتشوّقه إليها إذا فقدت، وأما في الجزء الغضي فإنزاعه إلى الانتقام والتغلب والفرار من الذل والاستكانة وما ضارع ذلك، وأما في الجزء الشهواني فلنقدم أمامه مقدمة ينتفع بها بذاته وفيما يبني عليها من القول في الفصول وهو أن العشق يتشعب قسمين، أحدهما: طبيعي وحامله لا ينتهي بذاته دون غرضه بحال من الأحوال ما لم يصادمه دونه قاصر خارجي كالحجر فإنه لا يمكن أبداً أن يقصر عن تحصيل غايته وهو الاتصال بموضعه الطبيعي والسكن فيه من ذاته اللهم إلا من جهة عارض قهرى وكالقوة المغذية وسائر القوى النباتية فإنه لا تزال من أول تجذب الغذاء وتلحمه بالبدن ما لم يتصدرا عنه مانع غريب، والثاني: عشق اختياري وحامله قد يعرض بذاته عن معشوقه لتخيل استضمار بعارض أمامه يرجع قدر ضرره على أوزان نفع المعشوق مثل الحمار فإنه إذا لاح له شخص الذئب متوجهاً نحوه أقصر عن قضم الشعير وأمعن في الهرب لعرفناه أن ما يتصل به من ضرر العارض أرجح من منفعة المعرض عنه، ثم قد يكون معشوق واحد لعاشقين، أحدهما: طبيعي، والثاني: اختياري مثل الغرض بالتلويذ إذا تدبر

إضافته إلى القوة المولدة النباتية والقوة الشهوانية الحيوانية فإذا تحقق هذا فنقول: إن القوة الشهوانية من الحيوان أظهر الموجودات عند الجمهور باستطاع ولا حاجة بنا إلى إظهار ذلك وليس معشوقها في عامة الحيوان غير الناطق إلا معشوق القوة النباتية بعينها إلا أن عشق القوة النباتية لا تصدر عنه الأفاعيل إلا بنوع طبيعي وبنوع أدنى وأدون وعشق القوة الحيوانية إنما تصدر عنه بالاختيار وبنوع أعلى وأفضل وبماخذ الطف وأحسن حتى أن بعض الحيوان قد يستعين في ذلك بالقوة الحسية فلذلك ما توهם العامة إن ذلك العشق خاص بها وهو عند التحقيق الخاص بالشهوانية وإن وجد للحسية فيها شركة التوسط، وقد توافق القوة البهيمية الشهوانية النباتية في الغرض بأن يكون حصوله لا بقصد اختياري بائنة (وإن الشهوانية النباتية في الغرض بأن يكون حصوله بقصد اختياري) وإن وجد في صدور الفعل عنهما اختلاف في الاختيار وسلبه مثل توليد المثل فإن الحيوان الغير الناطق وإن تحرك بعشقه الطبيعي المتغرز فيه من العناية الإلهية تحركاً اختيارياً يتأدي به إلى توليد المثل فلن تكون الغاية فيه مقصودة بذاتها لأن هذا الضرب من العشق غايتها تقع نوعين أعني بهذا أن العناية الإلهية لما اقتضت استبقاء الحرف والنسل وامتنع المراد في مدة البقاء في الشخص الكائن لضرورة تعقب الفساد في موضع الكائن أو جبت الحكمة صرف العناية في استبقاءيهما إلى الأنواع والأجناس فطبعت في كل واحد من الأشخاص المعنى به في الأنواع شوقاً إلى تأثير ملازمته توليد المثل وهيأت لذلك فيه آلات موافقة، ثم إن الحيوان الغير الناطق لانحطاطه عن مرتبة الفوز بالقوة النطقية التي بها توقف على حقيقة الكليات لا يستفيد بإدراك الغرض الخاص بالأمور الكلية فلذلك صارت فيه القوة الشهوانية تشكل القوة النباتية في نزاعها إلى هذا الغرض، وتقرير هذا الفصل والفصل الذي تقدم نافع في كثير مما سيأتي إثباته في هذه

الرسالة بعون الله وحسن تدبيره.

## الفصل الخامس

### في عشق الظرفاء والفتیان للأوجه الحسان

يجب أن نقدم أمام غرضنا في هذا الفصل مقدمات أربع، أحدها: أن كل واحد من القوى النفسانية مهما انضم إليها قوة أعلى منها في الشرف احتازت بانضمامها إليها وسريان البهاء إليها زيادة صقوله وزينة حتى تصير بذلك أفاعيلها البارزة عنها زائدة على ما يكون لها بانفرادها إما بالعدد وإما بحسن الإتقان ولطف المأخذ والرجاء في الانتهاء إلى الغرض إذ كل واحدة من علاها لها قوة على تأييد السافل وتقويته وذبضرر عنه تأييدها وذبضريها من جهة قبولها زيادة بهاء وكمال وكذلك تصريفاتها إليها في وجوه الاستعانات مما يفيدها الحسن والسناء كتأييد الشهوانية من الحيوان للنباتية وذب الغضبية عنها في أمر نقص مادتها دون متها الغريزي في الذبول والإضرار لها وكتوفيق النطقية للحيوانية في مقاصدها كإفادتها لها اللطافة والبهاء في الاستعانة بها في أغراضها ولهذا ما توجد القوة الحسية والشوقية في الإنسان قد يتعدى طورها في أفعالها حتى أنها قد تتعاطى في أفاعيلها مقاصد لن يقوم بالوفاء بها إلا صريح القوة النطقية ومثل ذلك في القوة الوهمية فإن القوة النطقية قد تستصرفها في بعض وجوه درك مطلوبها بوجه استعانة فتستفيد من العطاف النطقية عليها زيادة قوة وجسور حتى أنها تتراءى بنيل المطلوب دونها بل تعصى عليها وتحلى بشيمها وعلامتها وتدعى دعواها وتوهم فوزها بتصور المعقولات ما يسكن إليه النفس ويطمئن إليه الذهن كعبد السوء يوعز إليه مولاه بإعانته في سانحة له مهمة عظيمة الفائدة عند سير فيرى أنه ظفر بالمطلوب دون مولاه وأن مولاه قاصر عن ذلك بل هو حسبي في الحقيقة من غير أن يكون ظفر ألبته بالمرام الذي تكلف مولاه تحصييه ولا يشعر به. وكذلك الحال في القوة الشوقية من الإنس وهذا أحد

عمل الفساد إلا أنه ضروري الوجود في الوضع المطلوب فيه الخير وليس له من الحكمة ترك كثير لأجل عادية شر يسير بالإضافة إليه، والثانية: أن الإنسان قد يصدر عن مفرد نفسه الحيوانية أفعال وتنفعل بمفردها انفعالات كالإحساس والتخيل والجماع والمواثبة والمحاربة إلا أن نفسه الحيوانية لما اكتسبت من البهاء بمجاورة الناطقة تفعل هذه الأفعال بنوع أشرف وألطف فتتأثر في المحسوسات ما كان على أحسن مزاج وأقوم تركيب ونسبة مما لا تتباهي الحيوانات الأخرى له فضلاً عن أن يستأثرها وكذلك يتصرف بقوه المتخيلاة في أمور لطيفة بدعة حتى يكاد يضاهي بذلك صريح العقل ويتخير لموافقة أهل الجمال والكمال والاعتدال والخيال في الأفعال الغضبية حيلاً متنوعة يسهل لها إحراز التغلب والظفر وقد يظهر أيضًا من ذاته آثار الأفعال بحسب اشتراك النطقية والحيوانية كتصريف قوته النطقية قوته الحسية لتذزع من الجزئيات بطريق الاستقراء أمورًا كلية وكاستعانته بالقوة المتخيلاة في تفكره حتى يتوصل بذلك إلى إدراك غرضه في الأمور العقلية وكتكليفه القوة الشهوانية المبايعة من غير قصد ذاتي إلى مفرد اللذة بل للتشبه بالعلة الأولى في استبقاء الأنواع وخصوصًا أفضلها أعني النوع الإنساني وكتكليفه إياهم المطعم والمشرب لا بكيف ما اتفق بل على الوجه الأصوب من غير قصد إلى مجرد اللذة لكن لإعانة الطبيعة المسخرة على استبقاء شخص أفضل الأنواع أعني الشخص الإنساني، وكتكليفه القوة الغضبية منازعة الأبطال واعتناق القتال لأجل ذب عن مدينة فضيلة أو أمة صالحة وقد تصدر منه أفعال عن صميم قوته النطقية مثل تصور المعقولات والنزاع إلى المهام وحب الدار الآخرة وجوار الرحمن، والثالثة: أن في كل واحد من الأوضاع الإلهية خيرية وكل واحدة من الخيرات مأثورة لكن في الأمور الخيرية الدنيوية ما ربما يضر إيثاره بما يعلوه في المرتبة، مثاله في

الأمور المتعارفة أن الاستلذاذ بالتوسيعة في الإنفاق وإن كان مأثوراً فإنه يجتب بالإضرار بمأثور فوقه وهو خصب ذات اليد ووفر المال، ومثال آخر من صالح الأبدان شرب أوقية من الأفيون وإن كان فيه مأثور وخير لتسكين الرعاف فإنه مطرح لأجل إضراره بمأثور فوقه وهو الصحة المطلقة والحياة وكذلك الأمور الخاصة بالنفس الحيوانية إذا اعتبرت في الحيوان الغير الناطق بنوع الإفراط وإن لم يعد من جملة الشر بل عد ذلك فضيلة في قواها فلإضراره بالقوة النطقية كما أشرنا إليه في رسالتنا الموسومة بالتحفة معدودة من جملة المثالب في الإنسان ويستحق الاجتناب والهرجان، والرابعة: أن النفس النطقية والحيوانية أيضاً جوارها للنطقية أبداً تعشقان كل شيء من حسن النظم والتأليف والاعتدال مثل المسموعات الموزونة وزنًا متناسباً والمذوقات المركبة من أطعمة مختلفة بحسب التناسب وما شابه ذلك، أما النفس الحيوانية فبنوع توليد طبيعي، وأما النفس الناطقة فإنها إذا استعدت بتصور المعاني العالية على الطبيعة وعرفت أن كلما قرب من المعشوق الأول فهو أقوم نظاماً وأحسن اعتدالاً وبالعكس أن ما يليه أفوز بالوحدة وتواعبها كالاعتدال والاتفاق وما يبعد عنه أقرب إلى الكثرة وتواعبها كالتفاوت والاختلاف على ما أوضحه الإلهيون فمهما ظفرت بشيء حسن التركيب لاحظته بعين المقة فإذا تقرر هذه المقدمات، فنقول: إن من شأن العاقل اللوع بالمنظر الحسن من الناس وقد يعد ذلك منه في بعض الأحيان تطرفاً وفتوة وهذا الشأن إما أن يختص بالقوة الحيوانية وإما أن يختص بحسب الشركة لكنه لو كان مختصاً بالقوة الحيوانية لما عده العقلاً تطرفاً وفتوة إذ من الحق أن الشهوات الحيوانية إذا تناولها الإنسان تناولاً حيوانياً فهو متعرض للنقيصة ومضر بالنفس النطقية ولا هو مما يختص بالنفس النطقية إذ مقتضيات شغلها هي الكليات العقلية الأبدية لا الجزئيات الحسية الفاسدة

إذن ذلك بحسب الشركة، وبيان ذلك بوجه آخر أن الإنسان إذا أحب الصورة المستحسنة لأجل لذة حيوانية فهو مستحق اللوم بل الملامات والإثم مثل الفرقة الزانية المتلوطة، وبالجملة الأمة الفاسقة ومهما أحب الصورة المليحة باعتبار عقلي على ما أوضحناه عن ذلك وسيلة إلى الرفعة والزيادة في الخيرية لولوعه بما هو أقرب في التأثير من المؤثر الأول والمعشوق المغض وأشبه بالأمور العالية الشريفة وذلك مما يؤهله لأن يكون ظريفاً وفتى لطيفاً ولذلك لا يكاد أهل الفطنة من الظرفاء والحكماء من لا يسلك طريقة المتعشقين والإنحاج يوجد حالياً عن شغل قلبه بصورة حسنة إنسانية وذلك أن الإنسان مع ما فيه من زيادة فضيلة الإنسانية إذا وجد فائزاً بفضيلة اعتدال الصورة التي هي مستفادة من تقويم الطبيعة واعتداها وظهور أثر إلهي فيها جداً استحق لأن يتحل من ثمرة الفؤاد مخزونها ومن صفي صفاء الوداد أطيشه مكنونه ولذلك قال النبي ﷺ: «اطلبو الحوائج عند حسان الوجوه»<sup>(١)</sup> نصا منه أن حسن الصورة لا يوجد إلا عند جودة التركيب الطبيعي وأن جودة الاعتدال والتركيب مما يفيد طيباً في الشمائل وعدوبه في السجایا وقد يوجد أيضاً واحد من الناس قبيح الصورة حسن الشمائل وذلك لا يخلو من عذرين إما أن يكون قبح الصورة لم يحصل بحصول قبح الاعتدال في أول التركيب داخلاً بل بفساد عارضاً خارجاً وإما أن يكون حسن الشمائل لا بحسب الطباع بل بحسب الاعتياد وكذلك قد يوجد حسن الصورة قبيح الشمائل وذلك أيضاً لا يخلو من عذرين إما أن يكون قبح الشمائل عارضاً بعوارض في الطباع بعد استحكام التركيب أو يكون ذلك لاعتياد قوى، وعشق

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٩٨/٥) (ح ٢٦٢٧٦)، والطبراني في الأوسط (١٢٩/٤) (ح ٣٧٨٧)، وإسحاق في مسنده (٩٤٦/٣) (ح ١٦٥٠)، والقضاعي في مسنده الشهاب (٣٨٤/١) (ح ٦٦١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٣٥/٧) (ح ١٠٨٧٦).

نَصْوَرَةُ الْحَسَنَةِ قَدْ تَبْعَهُ أَمْوَارُ ثَلَاثَةَ، أَحَدُهَا: حُبُّ مَعَانِقَتِهَا.  
وَالثَّانِي: حُبُّ تَقْبِيلِهَا.

وَالثَّالِثُ: حُبُّ مَبَاضِعَتِهَا فَأَمَا حُبُّ الْمَبَاضِعَةِ فَمِمَّا يَتَعَيَّنُ عَنْهُ أَنَّ هَذَا  
لِعْشَقِ لَيْسَ إِلَّا خَاصًا بِالنَّفْسِ الْحَيْوَانِيَّةِ وَإِنْ حَصَّتِهَا فِيهِ زَائِدَةٌ وَلِئَنَّهَا عَلَى مَقَامِ  
شَرِيكٍ بَلْ الْمُسْتَخْدِمِ لَا عَلَى مَقَامِ الْآلَةِ وَذَلِكَ قَبِيحٌ جَدًّا بَلْ لَنْ يَخْلُصَ  
لِعْشَقِ النَّطْقِيِّ مَا لَمْ تَنْقُمِ الْقُوَّةُ الْحَيْوَانِيَّةُ غَايَةُ الْانْقِمَاعِ وَلَذِلِكَ بِالْحَرَى أَنَّ  
يَتَهَمُّ الْعَاشِقُ إِذَا رَاوَدَ مَعْشُوقَهُ بِهَذِهِ الْحَاجَةِ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْحَاجَةُ  
مِنْهُ بِضَرْبِ نَطْقِيِّ أَعْنِي أَنَّ قَصْدَهُ بِهِ تَوْلِيدُ الْمِثْلِ وَذَلِكَ فِي الذِّكْرِ مُحَالٌ وَفِي  
الْأَنْتِي الْمُحْرَمَةِ بِالشَّرْعِ قَبِيحٌ بَلْ لَا يَنْسَاغُ وَلَا يَسْتَحْسِنُ إِلَّا لِرَجُلٍ فِي اِمْرَأَتِهِ أَوْ  
فِي مَمْلُوكَتِهِ، وَأَمَّا الْمَعَانِقَةُ وَالتَّقْبِيلُ فَإِذَا كَانَ الْغَرْضُ فِيهِمَا هُوَ التَّقَارِبُ  
وَالْإِتْحَادُ وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّفْسَ تَوَدُّ أَنْ تَنْالَ مَعْشُوقَهَا بِحَسْبِهَا الْلَّمْسِيِّ وَنِيلَهَا لَهُ  
بِحَسْبِهَا الْبَصْرِيِّ فَتَشْتَاقُ إِلَى مَعَانِقَتِهِ وَتَنْزَعُ إِلَى أَنْ يَخْتَلِطَ نَسِيمُهُ مُبِدًّا فَاعِلَيَّةً  
نَفْسَانِيَّةً وَهُوَ الْقَلْبُ بِنَسِيمِ مُثْلِهَا فِي الْمَعْشُوقِ فَتَشْتَاقُ إِلَى تَقْبِيلِهِ فَلَيْسَا  
بِمُنْكَرِيْنَ فِي ذَاتِهِمَا لَكِنَّ اسْتِبَاعَهُمَا بِالْعَرْضِ أَمْوَارًا شَهْوَانِيَّةً فَاحْشَاءً تَوْجِبُ  
الْتَّوْقِيُّ عَنْهُمَا إِلَّا إِذَا تَيَّقَنَّ مِنْ مَتَولِيهِمَا خَمْدُ الشَّهْوَةِ وَالْبَرَاءَةُ عَنِ التَّهْمَةِ  
لَذِلِكَ لَمْ يَسْتَكِرْ تَقْبِيلُ الْأَوْلَادِ وَإِنْ كَانَ مُبِدَأُهُ مَرْعِجًا لِتَلْكَ إِذَا كَانَ الْغَرْضُ  
فِيْهِ التَّدَانِيِّ وَالْإِتْحَادُ لَا يَهْمُ بِالْفَحْشِ وَالْفَسَادِ فَمَنْ عَشَقَ هَذَا الضَّرْبَ مِنْ  
الْعَشْقِ فَهُوَ فَتَىٰ ظَرِيفٌ وَهَذَا الْعَشْقُ تَظْرِفُ وَمَرْوَةً.

## إِلْفَضِيلُ لِلصَّادِرِينَ

### في ذكر عشق النّفوس الإلهية

كل واحد من الأشياء الحقيقة الوجود إذا أدرك أو نال نيلاً من الخيرات فإنه يعشقه بطباعه عشق النّفوس الحيوانية للصور الجميلة، وأيضاً كل واحد من الأشياء الحقيقة الوجود إذا أدرك إدراكاً حسياً أو عقلياً واهتدى اهتماء طبيعياً إلى شيء مما يفيده منفعة في وجوده فإنه يعشقه في طباعه لا سيما إذا كان الشيء مفيداً له خاص الوجود مثل عشق الحيوان للغذاء والوالدين للولد وأيضاً كل شيء إذا تحقق أن شيئاً من الموجودات يفيده التشبه به والتقارب والاختصاص به زيادة فضيلة ومزية فإنه يعشقه بطباعه عشق العامل لوليه ثم النّفوس الإلهية من البشرية والملكية لا يستحق إطلاق التأله عليها ما لم تكن فائزة بمعرفة الخير المطلق إذ من بين أن هذه النّفوس لن توصف بالكمال إلا بعد الإحاطة بالمعقولات المعلولة ولا طريق إلى تصور المعقولات المعلولة ما لم يتقدم عليها معرفة العلل الحقيقة وخاصة العلة الأولى على ما أوضحتنا في تفسيرنا صدر المقالة الأولى من كتاب السّماع الطبيعي كما لا سبيل إلى وجود المعقولات ما لم يتقدم عليها وجود ذوات العلل وخاصة العلة الأولى، والعلة الأولى الخير الحض المطلق بذاته وذلك لأنّه كما كان يطلق عليه الوجود الحقيقي وكل واحد مما له وجود فإنّ حقيقته لا تعرى عن خيرية، ثم الخيرية إما أن تكون مطلقة ذاتية أو مستفادة فالعلة الأولى خير وخريته إما أن تكون ذاتية مطلقة أو مستفادة لكنها إن كانت مستفادة لم تخل من قسمين إما أن يكون وجودها ضروريًا في قوامه فيكون مفيدها علة لقوام العلة الأولى والعلة الأولى علة لها وهذا خلف وإنما أن يكون غير ضروري في قوامه وهذا محال أيضاً على ما نوضحه

آنفًا لكننا إن أعرضنا عن إبطال هذا القسم فإن المطلوب قائم وذلك لأننا إذا رفعنا هذه الخيرية عن ذاته فمن الواضح أن ذاته تبقى موجودة وموصوفة بالخيرية وتلك الخيرية إما أن تكون واجبة ذاتية أو مستفادة فإن كانت مستفادة فقد تمادي الأمر إلى ما لا ينتهي وذلك محال وإن كانت ذاتية فهو المطلوب، وأقول أيضًا إنه من المحال أن تستفيد العلة الأولى خيرية غير ذاتية فيها، ولا ضرورية في قوامها، وذلك لأن العلة الأولى يجب أن يكون فائئرًا في ذاته بكمال الخيرية من أجل أن العلة الأولى إن لم يكن في ذاته مستوفياً لجميع الخيرات التي هي بالإضافة إليه حقيقة بإطلاق سمة الخيرية عليها ولها إمكان وجود فهو مستفيداً من غيره ولا غير له إلا معلولاتها فإذاً مفيده معلوله ومعلوله لا خير له وفيه ومنه إلا مستفادةً عنه، فإذاً معلوله إن أفاده خيرية فإنما يفيده خيرية مستفادة عنه لكن الخيرية المستفادة من العلة الأولى إنما هي من المستفيد فإذاً هذه الخيرية ليست في العلة الأولى بل في المستفيد، وقد قيل إنها في الأولى وذلك خلف، والعلة الأولى لا نقص فيها بوجه من الوجوه وذلك لأن الكمال الذي بإزاء ذلك النقص إما أن يكون وجوده غير ممكן فلا يكون إذن بإزائه نقص إذ النقص هو عدم الكمال الممكن الوجود وإما أن يكون وجوده ممكناً ثم الشيء الذي ليس في شيء ما إذا تصور إمكانه تصور معه علة تحصيله في الشيء الذي هو ممكн فيه وقد قلنا إنه لا علة للعلة الأولى في كماله ولا بوجه من الوجوه فإذاً هذا الكمال الممكن ليس بممكн فيه وإذاً ليس بإزائه نقص فإن العلة الأولى مستوفية لجميع ما هو خيرات بالإضافة إليها، وإن الخيرات العالية التي هي خيرات من جميع الوجوه لا بالإضافة وهي الخيرات التي بالإضافة إليها خيرات مستوفاة لها فقد اتضح أن العلة الأولى مستوفية لجميع الخيرية التي

هي بالإضافة إليها خيرية وليس لها إمكان وجود، فقد اتضح أن العلة الأولى خير في ذاتها وبالإضافة إلى سائر الموجودات أيضًا إذ هي السبب الأول لقوامها وبقائها على أخص وجوداتها واحتياقتها إلى كمالاتها فإذاً العلة الأولى خير مطلق في جميع الوجود، وقد كان اتضح أن من أدرك خيراً فإنه بطبعه يعشقه فقد اتضح أن العلة الأولى معشوقة للنفوس المتألهة، وأيضًا فإن النفوس البشرية والملكية لما كانت كمالاتها بأن تصور المقولات على ما هي عليها بحسب طاقتها تشبهًا بذات الخير المطلق وأن تصدر عنها أفاعيل هي عندها وبالإضافة إليها عادلة كالفضائل البشرية وتحريك النفوس الملكية للجواهر العلوية توخيًا لاستبقاء الكون والفساد تشبهًا بذات الخير المطلق وإنما تأتي هذه التشبهات لتحوز بهاقرب من الخير المطلق ولستفيد بالقرب منه الفضيلة والكمال وإن ذلك بتوفيقه وهي متصرفة لذلك منه وقد قلنا إن مثل هذا عاشق للمتقرب منه فواجع على ما أوضحتناه سالفًا أن يكون الخير المطلق معشوقًا لها يعني بجملة النفوس المتألهة.

وأيضًا فإن الخير المطلق لا شك أنه سبب لوجود ذات هذه الجواهر الشريفة ولكلماتها فيها إذ كمالها إنما هو بأن تكون صورًا عقلية قائمة بذواتها وإنما لن تكون كذلك إلا بمعرفته وهي متصرفة لهذه المعاني منه وقد قلنا إن مثل هذا عاشق لمثل هذا السبب وبين على ما أوضحتناه سابقًا أن الخير المطلق معشوق لها يعني بجملة النفوس المتألهة وهذا العشق فيها غير مزائل ألبتة وذلك لأنها لا تخلو من حالي الكمال والاستعداد وقد أوضحتنا ضرورة وجود هذا العشق فيها حالة كمالها، وأما حالة استعدادها فلن توجد إلا في النفوس البشرية دون الملكية لفوز الملكية بالكمال ما وجدت وقد وجدت وهي يعني النفوس البشرية بحالة الاستعداد لها شوق غريزي إلى معرفة المقولات التي هي كمالها وخاصة ما هو أفيد فيه للكمال عند تصوره

وأهدى إلى تصور ما سواه، وهذه صفة المعمول الأول هو علة لكون كل معمول سواه معقولاً في النفوس موجوداً في الأعيان ولا محالة أن لها عشقاً غريزياً في ذاتها للحق المطلق أولاً ولسائر المعمولات ثانياً وإنما فوجودها على استعدادها الخاص بكمالها مجعل فإذاً المعشوق الحق للنفوس البشرية والملكية هو الخير الحاضر.

## الفَصِيلُ السِّتَّانِيُّ

### في خاتمة الفصول

نريد أن نوضح في هذا الفصل أن كل واحد من الموجودات يعشق الخير المطلق عشقًا غريزياً وأن الخير المطلق يتجلى لعاشقه إلا أن قبولها لتجليه واتصالها به على التفاوت وأن غاية القربى منه هو قبول تجليه على الحقيقة أعني على أكمل ما في الإمكان وهو المعنى الذي يسميه الصوفية بالاتحاد وأنه بجوده عاشق أن ينال تجليه وأن وجود الأشياء بتجليه، فنقول لما كان في واحد من الموجودات عشق غريزى لكماله وإنما ذلك لأن كماله معنى به تحصل له خيريته وبين أن المعنى الذي به يحصل للشيء خيريته حيث ما توجد وكيف ما توجد أوجب أن يكون ذلك الشيء معشوقاً لمستفید الخيرية ثم لا يوجد شيء أكمل وأولى بذلك من العلة الأولى في جميع الأشياء فهو إذن معشوق لجميع الأشياء وبكون أكثر الأشياء غير عارف به لا ينفي وجود عشقه الغريزى في هذه الأشياء لكمالاتها، والخير الأول بذاته ظاهر متجل لجميع الموجودات ولو كان ذاته محتاجاً عن جميع الموجودات بذاته غير متجل لها لما عرف ولا نيل منه بنته ولو كان ذلك في ذاته بتأثير الغير لوجب أن يكون في ذاته المتعالية عن قبول الغير تأثير للغير وذلك خلف، بل ذاته بذاته متجل ولأجل قصور بعض الذوات عن قبول تجليه يحتجب فالحقيقة لا حجاب إلا في المحظوظين، والمحاجب هو القصور والضعف والنقص وليس تجليه إلا حقيقة ذاته إذا لا يتجلى بذاته في ذاته إلا هو صريح ذاته كما أوضحته الإلهيون فذاته الكريم متجل ولذلك ربما سماه فلاسفة صورة العقل فأول قابل لتجليه هو الملك الإلهي الموسوم بالعقل الكلى فإن جوهره ينال تجليه نحو الصورة الواقعية في المرأة لتجلى الشخص الذي هو مثاله ويقرب من هذا المعنى ما قيل إن العقل الفعال مثاله فاحتظر

أن تقول مثله وذلك هو الواجب الحق فإن كل منفعل عن سبب قريب وإنما ينفعل بتوسط مثال يقع منه فيه وذلك بين بالاستقراء فإن الحرارة النارية إنما تفعل في جرم من الأجرام بأن تضع فيه مثالها وهو السخونة، وكذلك سائر القوى من الكيفيات، فالنفس الناطقة إنما تفعل في نفس ناطقة مثالها بأن تضع فيها مثالها وهو الصورة المعقولة والسيف إنما يقطع بأن يضع في المنفعل عنه مثاله وهو شكله، والمسن إنما يحدد السكين بأن يضع في جوانب حده مثال ما ماسه وهو استواء الأجزاء وملامتها، وللائل أن يقول إن الشمس تسخن وتسود من غير أن تكون السخونة والسوداد مثالها لكنه نجيب عن ذلك بأن نقول إنما لم نقل أن كل أثر حصل في متأثر من مؤثر أن ذلك الأثر موجود في المؤثر فإنه مثال من المؤثر في المتأثر لكننا نقول أن تأثير المؤثر القريب إلى المتأثر يكون بتوسط مثال ما يقع منه فيه وكذلك الحال في الشمس فإنه تفعل في من فعلها القريب بوضع مثالها فيه وهو الضوء ويحدث من حصول الضوء فيها السخونة فيسخن المنفعل عنها منفعلاً آخر عنه بأن يضع فيه مثاله أيضاً وهو سخونته فيسخن بحصول السخونة ويسود، هذا من جهة الاستقراء فاما من جهة البرهان الكلي فليس هذا موضعه، ونرجع فنقول: إن العقل الفعال يقبل التجلي بغير توسط وهو بإدراكه لذاته ولسائر المعقولات فيه عن ذاته بالفعل والثبات وذلك أن الأشياء التي تتصور المعقولات بلا رؤية واستعانة بحس أو بتخيل إنما تعقل الأمور المتأخرة بالمقدمات والمعلمات بالعلل والرذيلة بالشريبة ثم تناه النفوس الإلهية بلا توسط أيضاً عند النيل وإن كان بتوسط إعانة العقل الفعال عند الإخراج من القوة إلى الفعل وإعطائه القوة على التصور وإمساك المتصور الطمأنينة إليه، ثم تناه القوة الحيوانية ثم النباتية ثم الطبيعية وكل واحد مما تناه فيشوّقها ما نالته منه إلى التشبيه به بطاقتها فإن الأجرام الطبيعية إنما

تتحرك حركاتها الطبيعية تشبهها به في غايتها وهو البقاء على أخص الأحوال يعني عند حصولها في الموضع الطبيعية وإن لم تتشبه في مبادئ هذه الغاية وهي الحركة وكذلك الجواهر الحيوانية والنباتية إنما تفعل أفعالها الخاصة بها تشبهها في غايتها وهي إبقاء نوع أو شخص أو إظهار قوة وقدرة وما يشاهدها وإن لم تتشبه به في مبدأ هذه الغايات كالجماع والتغذى، وكذلك النفوس البشرية إنما تفعل أفعالها العقلية والعملية الخيرية تشبهها في غايتها وهي كونها عادلة وإن لم يكن تشبه به أيضاً في مبادئ هذه الغايات كالتعلم وما شاكله، والنفوس الإلهية الملكية إنما تحرك تحركاتها وتفعل أفعالها تشبهها به أيضاً في إبقاء الكون والفساد والحرث والنسل، والعلة في كون القوى الحيوانية والنباتية والطبيعية والبشرية متتشبهة به في غايات أفعالها دون مبادئها لأن مبادئها إنما هي أحوال استعدادية قوية والخير المطلق منزه عن مخالطة الأحوال الاستعدادية القوية وغايتها كمالات فعلية والعلة الأولى هي الموصوف بالكمال الفعلي المطلق فجاز أن تتشبه في الكمالات الغائية وامتنع أن تتشبه بها في الاستعدادات المبدئية، وأما النفوس الملكية فإنها فائزة في صور ذاتها بالتشبه به فوزاً أبداً عريضاً عن القوة إذ هي عاقلة له أبداً وعاشرة له لما تعقله منه أبداً ومتتشبهة به لما تعشقه منه أبداً ولو عنها يادرake وتصوره اللذين هما أفضل إدراك وتصور يكاد يشغلها عن إدراك دونه وتصور ما سواه من المعقولات لا أن معرفته بالحقيقة تعود بمعرفةسائر الموجودات وكأنها تصوره قصداً ولو عما سواه تبعاً، وإذا كان لولا تجلي الخير المطلق لما نيل منه ولو لم ينل منه لم يكن موجود فلولا تجليه لم يكن وجود فتجليه علة كل وجود وإذا هو بوجوده عاشق لوجود معلوماته فهو عاشق لنيل تجليه وإذا عشقه الأفضل فنيله لفضله هو الأفضل فإذا معشوقه الحقيقي في أن ينال تجليه وهو حقيقة نيل النفوس

نمتلهة له ولذلك قد يجوز أنها معشوقاته وإليه يرجع ما روی في الأخبار «إن الله تعالى يقول إن العبد إذا كان كذا وكذا عشقني وعشقته»<sup>(١)</sup> وإذا حكمة لا تجوز إهمال ما هو فاضل في وجوده بوجه ما وإن لم يكن في غاية لفضل فإذا الخير المطلق قد يعشق حكمته أن تناول منه نيلاً وإن لم تبلغ كمال الدرجة فيه، فإذا الملك العظيم رضاه أن يشبه به والملوك الفانية سخطها على من يشبه بها لأن ما يرام من التشبيه من الملك الأعظم لا يؤتى على غايته وما يرام من التشبيه من الملوك الفانية قد يؤتى على مبلغه وإذا بلغنا هذا المبلغ فلنختتم الرسالة والحمد لله رب العالمين.

---

<sup>(١)</sup> أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦٥/٦).

## الرسالة التاسعة

### رسالة حفي بن يقظان للشيخ الرئيس مع شرح مختار

وما توفيقني إلا بالله وإليه أنيب، وبعد فإن إصراركم عشر إخوانى على اقتضاء شرح قصة حي بن يقظان هزم لجاجي في الامتناع وحل عقد عزمي في المماطلة والدفاع فانقدت لمساعدتكم وبالله التوفيق:

إنه قد تيسر لي حين مقامي ببلادى بربدة، برفقائى إلى بعض المنتزهات المكتنفة لتلك البقعة<sup>(١)</sup> في بينما نحن نتطاوف إذ عن لنا شيخ بهي قد أوغل في السن وأختن عليه السنون وهو في طراعة العز، لم يهين منه عظم ولا تضعف له ركن وما عليه من المشيب إلا رواء من يшиб<sup>(٢)</sup> فترعت إلى مخاطبته، وابعث من ذات نفسي متراض لى بمداخلته ومحاورته، فملت

(١) (في بينما نحن نتطاوف ..... إلا رواء من يшиб) أي ما توجهوا إليه من الحركة التعلقية وجولان النفس لطلب المعقولات وتأملها إذ عن لنا شيخ أراد به ما يعرض لقوة العقل عند التأملات من هداية العقل الفعال لها وإفاضة نوره عليها والشيخ البهى هو العقل الفعال (وهو في طراعة العز) أي لم يغيره الزمان بل حاله ثابت دائم لا يتغير كما تتغير العنصريات لبراءته من مخالطة العنصر وتزهه من خروج من قوة إلى فعل إلا رواء من يшиб دل به على أنه مع بعده من النقصان الذي يحدث لمن يأتي عليه الزمان الطويل من الكائنات فقد سعد بما يوجهه تقادم العهد في المشائخ من البهجة والبهاء وحب الكمال.

(٢) (فترعت إلى مخاطبته ..... برفقائي إليه) أي عرفت المناسبة التي بين العقل الإنساني وبين العقل الفعال (وابعث من ذات نفسي) إلخ أشار به إلى ما في طباع العقل بالقوة من الميل إلى الفعل بالاتصال بالعقل الفعال إذ كان كمال العقل الإنساني الذي هو بالقوة متعلقاً باتصاله بالعقل الفعال (فملت إلخ) أي أخرجت هذه الحاجة الطبيعية التي للعقل الإنساني من القوة إلى الفعل وعنى بالاقبال عليه الغرض الاستمداد من جهته (ورفقاؤه) أراد به سائر قواه التي لابد له في مبدأ الأمر من الاستعانة بها في الخروج من القوة إلى الفعل.

برفقائي إليه<sup>(١)</sup> فلما دنونا منه بدأنا هو بالتحية والسلام وافتر عن لهجة مقبولة وتنازعنا الحديث حتى أفضى بنا إلى مسائلته عن كنه أحواله، واستعلامه سنته وصناعته، بل اسمه ونسبة وبلده<sup>(٢)</sup> فقال أما اسمي ونبي فحي بن يقطان، وأما بلدي فمدينة بيت المقدس وأما حرفتي فالسياحة في أقطار العالم حتى أحطت بها خبراً ووجهي إلى أبي وهو حي وقد عطوت

(١) (فلما دنونا منه لخ ..... بل اسمه ونسبة وبلده) أي أنه وإن كان الإقبال منا عليه أولاً فإن الإفادة التي دل عليها بقوله (السلام والتحية) تكون منه ابتداء فإن الاستعداد يكون من المنفعل والتكميل يكون من الفاعل (واستلامه سنته لخ) أي أردنا مع معرفة حقيقته الذاتية أن نعرف أيضاً الأشياء العرضية له الخاصة به وغير الخاصة وأراد سنته وصناعته الأمور التي تجري مجرى العرضيات وباسمه وبلده الأمور التي تجري مجرى الذاتية.

(٢) (قال أما اسمي ..... حتى زويت بسياحتني آفاق الأقاليم) فقوله (حي) أراد به ما جبل عليه من العقلية المجردة وصدور ما بعده عنه إذ كان معنى الحي يتعلق بالحس والحركة فجعل الحس مشاراً به إلى العقلية وجعل الحركة مشاراً بها إلى وجود ما بعدها عنه وقوله (ابن يقطان) أراد به أن وجوده ليس بذاته بل عن غيره إذ كان وجود الابن بوجه ما عن الأب وإن ذلك الغير هو أجل حالاً منه إذ الحي يتحمل أن يكون نائماً وأن يكون يقطان وحال اليقظة منه أجمل من حال النوم إذ النوم أشبه بالقوة واليقظة أشبه بالفعل (وأما بلدي لخ) أراد بالبلد ما يجري معنى الجنس وأراد بمدينة بيت المقدس العالم العقلي المقدس عن الدنس بأحوال الحسبيات (وأما حرفتي لخ) أي ما يتبع كنه أحواله من تعلم ما بعده من الموجودات التابع لتعلمه للمبادئ الأولى ولتعقل ذاته (ووجهي إلى أبي) أي كنه لإرادتي وحقيقة غرضي معرفة أبي ودل بقوله (أبي) على مبادئه الأولى من الحق الأول والعقول الفعالة التي هي متوسطة بينه وبين الأول (وقد عطوت منه مفاتيح العلوم) أي إني مستمد علومي من أبي وأشار بذلك إلى أن تعقله ليس هو له وهو التعقل المبدئي الخالق للصور الفعالة لا الذي يكون مفصلاً مرتبًا نفسانياً إن كان هذا النوع من التعقل هو الخاص بتلك الأمور كما قال سبحانه: ﴿وَعِنَّدَهُرْ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ (حتى زويت لخ) أي اكتفيت بهذه الهدایة عن السياحة الزمانية بل كان الموجودات كلها جمعت لي جمعاً حتى عرفتها دفعة من غير مصير من شيء منها إلى شيء بل مجموعاً بمحمله أستغني فيه عن التفصيل.

منه مفاتيح العلوم كلها فهداني الطريق السالكة إلى نواحي العالم حتى زويت بسياحتي آفاق الأقاليم<sup>(١)</sup> فما زلنا نطارحه المسائل في العلوم ونستفهمه غوامضها حتى تخلصنا إلى علم الفراسة<sup>(٢)</sup> فرأيت من إصابته فيه ما قضيت له آخر العجب، وذلك أنه ابتدأ لما انتهينا إلى خبرها فقال: إن علم الفراسة لمن العلوم التي تنقد عائذتها نقدياً فيعلن ما يسره كل من سجنته فيكون تبسيطك إليه وتقلصك عنه بحسبه وإن الفراسة لتذر منك على عفو من الخلائق ومنتقش من الطين وموات من الطبائع<sup>(٣)</sup> وإذا مستك يد الإصلاح أتقنك، وإن خرطك العار في سلك الزلة انخرطت<sup>(٤)</sup> وحولك هؤلاء الذين لا ييرعون عنك، إنهم لرفقة سوء ولن تقاد تسلم عنهم وسيفتونك أو تكتتفك عصمة وافرة<sup>(٥)</sup> وأما هذا الذي أمامك فباهت مهذار يلفق الباطل

(١) (فما زلنا .... إلى علم الفراسة) أي علم المنطق وسماه علم الفراسة إن كانت هي معرفة الأمر الخفي الغير المعلوم من أحوال الشيء بتوسيط أشياء ظاهرة من أحواله كذلك علم المنطق يتوصل به من أشياء ظاهرة هي المقدمات إلى أشياء خفية هي المطلوبات والنتائج.

(٢) (فرأيت من إصابته ..... وموات من الطبائع) أشار به إلى ما يحصل للإنسان بقوة هذا العلم من تميز الصدق من الكذب والحق من الباطل وإلى ما جبل عليه الإنسان من الاستعداد للعلوم والمعارف والتهيؤ لاكتساب الأخلاق الحميدة.

(٣) (وإذا مستك يد ... انخرطت) أشار به إلى أنه مع ذلك مستعد للرذائل وأنه يصير إلى كل واحد من الحالتين أعني حالي الفضيلة والرذيلة بموجب الدواعي من العادات والأفعال وغير ذلك مما شرح في موضعه.

(٤) (وحولك هؤلاء ... عصمة وافرة) أشار به إلى القوى البدنية التي لا تفارق القوة العقلية التي هي الإنسان بالحقيقة وهي المخاطب وحدها من العقل الفعال بقوله (وحولك) أي ما دامت مدبرة للبدن متعلقة به (أو تكتتفك عصمة إلخ) بما تكتسبه من قوة مستجدة تقوى بها على قمعها ودفعها والترأس عليها واستبعادها إياك فيسائر أفعالها كلها وهذه هي قوة الحكمة العلمية والقوة العلمية.

(٥) (وأما هذا الذي أمامك ... وربما غرك شاهد الزور) أشار به إلى قوة التخييل

تليفيقاً ويختلق الزور اختلافاً ويأريك بأنباء ما لم تزوده قد درن حقها بالباطل وضرب صدقها بالكذب على أنه هو عينك وطليعتك ومن سبile أن يأريك بخبر ما غرب عن جنابك وعزب عن مقامك، وإنك لمبتلى بانتقاد حق ذلك من باطله والتقط صدقه من زوره واستخلاص صوابه من غواشي خطائه إذ لابد لك منه فربما أخذ التوفيق يدك ورفعك عن محبط الصلاة وربما أوقفك التحير وربما غرك شاهد الزور<sup>(١)</sup> وهذا الذي عن يمينك أهوج إذا انزعج هائجه لم يقمعه النصح ولم يطأطئه الرفق كأنه نار في حطب أو سيل في صبب أو قرم مغتلم أو سبع ثاكل<sup>(٢)</sup> وهذا الذي عن يسارك فقدر

ووصفها ودل بقوله (يلفق الباطل تليفيقاً ويختلق الزور اختلافاً) على أن من سوسها وطبيعتها هذا الفعل وذلك أنها مجبرة على تشبيه الشيء بالشيء من دون أن يشبهه كما يشبه المعمول بالمحسوس وعلى محاكاة الشيء من غير أن يكون ما يحاكيه به مثلاً له كما يحاكي حرارة تحدث في البدن مثلاً بالأشياء الحمر وسوداء تحصل فيه بالأشياء السود القبيحة المنظر، (ويأريك بأنباء إلخ) أي أحکامها والأخبار التي يخبرك بها ليس مما يطابقها من خارج ما أخبرته عنها، ودل بقوله (على أنه هو عينك وطليعتك) على الحس المشترك وهو القوة التي تنادي إليها المحسوسات كلها الذي كأنه هو وهذه القوة شيء واحد وهذه القوة بالحقيقة عين وجاسوس وطليعة للنفس تأتيها بخير ما غرب عن جنابك وعزب عن مقامك أعني المحسوسات وأحوالها إذا كانت بعيدة عن مقام القوة العقلية.

(١) (وهذا الذي عن يمينك أهوج .... أو سبع ثاكل) أشار به إلى القوة الغضبية (واراد بقوله عن يمينك) إشارة إلى أن مرتبة القوة الغضبية أعلى من مرتبة القوى الأخرى الشهوانية التي وصفها بأنها على اليسار (أو سبع ثاكل) أي لبؤة تفقد أولادها وجرائها فتبتعد لطلبها فلا يقاومها مقاوم ولا يدفع في وجهها دافع.

(٢) (وهذا الذي عن يسارك) ... ثم (أرسل في الجلة) أشار به إلى القوة الشهوانية ووصفها، بما طبعت عليه من القذارة والقرم والشقق التي شتمت إبي لصكوح والمطعمون.

شهر قرم شبق لا يملاً بطنه إلا التراب ولا يسد غرته إلا الرغام، لعقة لحسه طعمه حرصه كأنه خنزير أجياع ثم أرسل في الجلة<sup>(١)</sup> ولقد الصفت يا مسكين بهؤلاء الصادقًا لا يبريك عنهم إلا غربة تأخذك إلى بلاد لم يطأها أمثالهم وإذا لات حين تلك الغربة ولا محيس لك عنهم فلتطلهم يدك، وليغلبهم سلطانك وإياك أن تقبضهم زمامك أو تسهل لهم قيادك بل استظهر عليهم بحسن الإيالة وسمهم سوم الاعتدال فإنك إن متنت لهم سخرتهم ولم يسخرونك وركبتهم ولم يركبوك<sup>(٢)</sup> ومن توافق حيلك فيهم أن تتسلط بهذا الشكس الزعر على هذا الأرعن النهم تزيره زيراً فتكسره كسراً وأن تستدرج غلواء هذا التائه العسر بخلابة هذا الأرعن الملقب فتخفضه حفظاً<sup>(٣)</sup> وأما هذا

(١) (ولقد أصقت ... ولم يركبوك) أراد بذلك ما عليه القوة العقلية من شدة ملازمة هذه القوى والضرورة في محاورتها إياها لأجل البدن ولأنه لا مبرئ لها ولا مخلص منها ما دامت مع البدن بل إنما يتوقع الخلاص لها بالغربة إلى (بلاد إلخ) مفارقة البدن بالكلية والمصير إلى العالم العقلي الذي هو منزه عن أن يكون موطنًا لأمثال تلك القوى (وإذ لات حين تلك الغربة) أي مادامت لم تحن لك حين تلك الحالة ولا معدل لك بعد من هذه القوى فديرك من نفسك بتدبير تسلم معه من غائلة من غواهلها و معراجتها وذلك بأن تكون يدك فوق أيديهم وسلطانك وقوتك عالية على سلطانها وقوتها.

(٢) (ومن توافق حيلك فيهم ... فتخفضه خفظاً) أراد به أن وجه تدبيرك حتى تصل إلى المراد المقصود منها أن تستعين بالقوة الغضبية الموصوفة بالشकاسة والزعارة على التسلط على القوة الشهوانية الموصوفة بالرعونة والنهم فتدفع غائلتها (فتكسر بذلك من قوتها إلخ) أي وأن تستعين بالقوة الشهوانية على إبطال القوة الغضبية فتخضع لك خصوحاً وتستكين لتدبيرك.

(٣) (وأما هذا المموه إلخ ... جدير باستثنائه وتحققه) أشار به إلى الطريق التي يجب أن يسلك في تدبير القوة المتختلة لجمعها إلى السلامة من الضلال الاستفادة بأحكامها وأفعالها وذلك بأن لا تشق بها كل الثقة حتى تصير بحيث تتميز صدقها من كذبها وباطلتها من حقها بوضعك قانوناً ترجع إليه في ذلك وميزاناً تزن به أحوالها وهذا هو إيتاؤه موئلاً من الله غليظاً ويجوز أن يكون أراد بذلك القوانين

المموه المتحرص فلا تج奴ج إليه أو يؤتيك موئلاً من الله غليظاً فهنا لك صدقة تصديقاً ولا تحجم عن إصاحة إليه لما ينهيه إليك وإن خلط فإنك لن تعدم من أنبائه ما هو جدير باستشهاده وتحققه به<sup>(١)</sup> فلما وصف لي هؤلاء الرفقة وجدت قبولي مبادراً إلى تصديق ما قرفهم به، فلما استأنفت في امتحانهم طريقة المعتبر، صحق المختبر منهم الخبر عنهم، وأنا في مزاولتهم ومقاساتهم فتارة لي اليد عليها وتارة لها علىٰ - الله تعالى المستعان - على حسن محاورته هذه الرفقة إلى حين الفرقه<sup>(٢)</sup> - وثم إني استهديت هذا الشيخ سبيل السياحة استهداء حريص عليها ومشوق إليها فقال إنك ومن هو بسبيلك عن مثل سياحتي لمصدود، وسبيله عليك وعليه لمسدود أو يسعدك التفرد وله لذلك موعد مضروب لن تسبقه فاقنع بسياحة مدخلة بإقامة تسريح حيناً وتخالط هؤلاء حيناً فمتى تجردت للسياحة بكته نشاطك وافتنتي وقطعتهم وإذا حننت نحوهم انقلبت إليهم وقطعتني حتى يأتي لك أن تتولى برأتك منهم،

المنطقية وإذا فعلت ذلك وقويت وعلوت على مثل هذا الموثق (فهنا لك إلخ) فلا تتسع من الاستماع لما ينهيه إليك وإن كان بعضه مختلطًا مشوّبًا فإنك لا تعدم فيما يورده عليك ما لابد من استشهاده وتحصيله في خاص أفعالك من التعقلات.

(١) (فلما وصف لي .... صحق المختبر منهم الخبر عنهم) أراد به لما تأملت أحوال هذه القوى وجلتها موافقة لما وصفها به فازدادت بما شرحه من أحواها بصيرة وامتثلت أمره فيما هداني إليه من تدبير أمرها.

(٢) (ثم إني استهديت .... مشوق إليها) أي إني لما وجدت العقل على هذا الكمال وبحيث هو مستمد العلوم والمعارف حرست على سلوك مثل سبيل واقتباس العلم وتحصيله ففرزت إليه إلى أن يهديني سهل السعي في ذلك أراد به تعقلًا غير خالص من شوب التخييل والحس وغير موصوف بالدوام والاتصال إذا انقطعت إليه كنت مصاحباً لي ومرافقاً وإذا انقطعت إلى غيره كنت مصاحباً لقوى البدن وموافقاً لا يزال هذا دأبك وديدنك إلى حين انفرادك منها بالكلية وذلك يكون بعد الموت ومقارفة النفس البدن.

فرجع بنا الحديث إلى مسائلته عن إقليم إقليم مما أحاط بعلمه ووقف عليه خبره فقال لي إن حدود الأرض ثلاثة، حد يحوزه<sup>(١)</sup> الخافقان وقد أدرك كنهه وترامت به الأخبار الجلية المتواترة والغربية يجعل ما يحتوي عليه وحدان غرييان<sup>(٢)</sup> حد المغرب وحد قبل المشرق ولكل واحد منهما<sup>(٣)</sup> صقع قد ضرب بينهما وبين عالم البشر حد محجور لن يعوده إلا الخواص منهم المكتسبون منه لمن تأت للبشر<sup>(٤)</sup> بالفطرة وما يفيدها الاغتسال بعين حرارة في جوار عين الحيوان الراكدة إذا هدى إليها السائح فتظهر بها وشرب من فراتها سرت في جواره منه مبتعدة يقوى بها على قطع تلك المهمة ولم يترسب في البحر المحيط ولم يكاده جبل قاف ولم تهددهه الزبانية هدهة إلى الهاوية، فاستزدناه شرح هذه العين فقال سيكون قد بلغكم حال الظلمات المقيمة بناحية القطب فلا يستطيع عليها الشارق في كل سنة إلى أجل مسمى إنه من خاصها ولم يحم عنها أفضى إلى فضاء غير محدود قد شحن نوراً فيعرض له أول شيء عين حرارة تند نهرأ على<sup>(٥)</sup> البرزخ من اغتنس منها حف على الماء فلم يرجحن إلى الغرق وتقدم تلك الشواهد غير منصب حتى<sup>(٦)</sup> تخلص إلى أحد الحدين المنقطع عنهما، فاستخبرناه عن الحد الغربي

(١) أي المركبات المحسوسة في عالمي الأرض والسماء وهي التي يجمعها الخافقان اللذان لهم الأرض والسماء.

(٢) أي الهيولي والصورة أما ما وراء المغرب فالهيولي وأما الذي من قبل المشرق فالصورة.

(٣) أي لكل الهيولي والصورة كنه وحقيقة قد ضرب بينهما وبين عالم البشر حد محجور.

(٤) أي لم يؤت الإنسان بالفطرة والطبع دون الاكتساب، أي علم المنطق.

(٥) (على البرزخ) أي يصير مددًا للعقل الهيولي المستعد للمعارف ومدة الماء استفادته من الحسن في الأوليات والمعقولات.

(٦) أي بلغ درجته في علم المنطق إلى أن يصير بحيث يطلع على الحقائق من غير

لمصادفة بلادنا إياه (فقال) إن بأقصى المغرب بحرًا كبيراً حامئاً قد سمي في الكتاب الإلهي عيناً<sup>(١)</sup> حامئاً وإن الشمس تغرب من تلقاءها وممد هذا البحر من إقليم غامر فات التحديد<sup>(٢)</sup> رحبه لا عمار له إلا غرباء يطرأون عليه والظلمة معتكفة على أديمه<sup>(٣)</sup> وإنما يتم محل المهاجرون إليه لمعة نور مهما جنحت الشمس للوجوب وأرضه سبخة كلما أهلت بumar نبت بهم فابتني بها آخرون يعمرون فينهار وينبون فينهال وقد أقام الشجار بين أهله بل القتال فأينما طائفة عزت استولت على عقر ديار الآخرين وفرضت عليهم الجلاء، تتبعني قراراً فلا يستخلص إلا خسارة<sup>(٤)</sup> وهذا ديدنهم<sup>(٥)</sup> لا يفترون، وقد تطرق هذا الإقليم كل حيوان ونبات لكنها إذا استقرت به ورعته

تعب يلحقه ولا نصب يرده عن وجهه (حتى تخلص إلى أحد إلخ) أي ينظر في الحقائق وكنه الموجودات فيلحظ منها أول شيء من الهيولي والصورة اللذين ساهموا الحدين المحجوب عنهم.

(١) أشار إلى الهيولي وغروب الشمس فيها مصير الصورة إليها وملابستها إياها.

(٢) (فات التحديد ... أديمه) أي أنه من إقليم واسع مشتمل على أصناف المتكونات والاسطقطات التي منها يتربك الكائنات والصورة طارئة عليها من موضع آخر بعيد من موطن الهيولي إن من حق الهيولي أن تكون بلا صورة فهناك تكون الظلمة معتكفة أي مستولية والصورة نور من واهبها التي صورتها تزول الظلمة من الهيولي المجردة.

(٣) أي أن الكائنة الفاسدة تمحلت نورها من صورها المستفادة عند أفال الصور في هيولاها واقترانها بها وأن هيولي هذه الكائنة لا تستقر فيها الصور ولا تنبت فيها كما لا ينبت في الأرض السبخة أشكالها وقواتها (كلما أهلت بumar نبت لهم فابتني بها آخرون) أي من شأنها أن تعاقب عليها الصورة لا تستقر فيها صورة بل تستبدل بخلافها أو ضدها في حالة.

(٤) أي أن هذه الأحوال طبيعية بهذه الكائنة الفاسدة لا يتغير في حال من الأحوال من طبائعها هذه.

(٥) أي أعراض تلزمها بسبب الهيولي.

وشربت من مائه غشيه غواش غريبة<sup>(١)</sup> من صورها فترى الإنسان فيها قد جلله مسك بهيمة ونبت عليه أثيث من العشب وكذلك حال كل جنس آخر فهذا إقليم خراب سبخ مشحون بالفتن والهيج والخصام والهرج يستعير البهجة من مكان بعيد وبين هذه الأقاليم وإقليمكم<sup>(٢)</sup> أقاليم أخرى لكن وراء هذا الإقليم مما يلي محطة أركان السماء إقليم شبيه به في أمور<sup>(٣)</sup> منها أنه صفصف غير آهل إلا من غرباء وأغلىين ومنها أن يسترق النور من شعب غريب وإن كان أقرب إلى كوة النور من المذكور قبله<sup>(٤)</sup> ومن ذلك أن مرسي قواعد السماويات كما أن الذي قبله مرسي قواعد هذه الأرض ومستقر لها لكن العمارة في هذا الإقليم مستقرة لا مغاصبة بين واردها للمحاط ولكل أمة صقع محدود لا يظهر عليهم غيرهم<sup>(٥)</sup> غالباً فأقرب معamura منها بقعة سكانها أمة صغار الجثث حاث الحركات ومدنها ثمانية مدن<sup>(٦)</sup> ويتلوها مملكة أهلها أصغر جثثاً من هؤلاء وأنقل حركات يلهجون

(١) أي أن الصورة الإنسانية إذا حصلت في المادة اقترن بها أعراض غريبة ولا يكاد يختص بشكل ما دون شكل ولا قدر دون قدر ولا وضع دون وضع وكذلك كل واحد من الأنواع.

(٢) أراد بالأقاليم الأنواع المعدنية والنباتية والحيوانية (وإقليمكم) أي النوع الإنساني.

(٣) أشار بها إلى الأجرام السماوية التي ما يلينا فلك القمر وآخرها الفلك التاسع وجعلها إقليماً آخر وراء الإقليم المتقدم ذكره إذا كانت طبيعته مبادنة لطبيعة الكائنات الفاسدة وإن كانت مشابهة لها على ما ذكره في أمور.

(٤) أي معدن النور الذي هو الأمر العقلي بالجملة يأتي منه النور إلى هذه الأجرام السماوية بلا واسطة ويأتي منه إلى الكائنة الفاسدة بتوسط السماوية وكذلك السماوية أقرب إلى المعدن أي أشد تقرباً.

(٥) أي صورها صور لا تفارقها ولا تتبادل بأضدادها فلا يغصب بعضها محطة بعض على ما عليه الأمر في الكائنة الفاسدة.

(٦) أشار بذلك إلى (فلك القمر) وعنى بسكانها القمر ووصفه بصغر الجثة إذ كان جرمها جزاً من جرم الأرض وأشار بشماني مدن إلى الأجرام التي ينقسم إليها فلكه =

بالكتابة والنجوم والنيرنجات والطلسمات والصنائع الدقيقة والأعمال العميقة مدنها سبع<sup>(١)</sup> ويتلوها وراءها مملكة أهلها متمتعون بالصباحة مولعون بالقصف والطرب مبرأون من الغموم لطاف لتعاطي المزاهر مستكثرون من ألوانها تقوم عليها امرأة قد طبعوا على الإحسان والخير فإذا ذكر الشر اشمازوا عنه ومدنها ثمانية مدن<sup>(٢)</sup> ويتلوها مملكة قد زيد لسكنها بسطة في الجسم وروعة في الحسن .

ومن خصاهم أن مفارقتهم من بعيد عزيزة الجدوى ومقاربتهم مؤذية ومدنها خمس مدن<sup>(٣)</sup> ويتلوها مملكة تأوي إليها أمة يفسدون في الأرض حب إليهم الفتوك والسفك والاغتيال والمثل مع طرب وهو يملكهم أشرف مغرى بالنكب والقتل والضرب وقد فتن كما يزعم رواة أخبارها بالملكة الحسنى المذكور أمرها قد شغفته حبًا ومدنها سبع مدن<sup>(٤)</sup> ويتلوها مملكة عظيمة أهلها غالون في العفة والعدالة والحكمة والتقوى وتجهيز جهاز الخير إلى كل قطر واعتقاد الشفقة على كل من دنا وبعد وازلال المعروف إلى من

ويشتمل عليها بموجب ما وجد له من الحركات ووجد له ثانية حركات ووجب أن يكون لكل حركة منها جرم على حد ما شرح أمره في كتب الهيئة.

(١) أشار به (إلى فلك عطارد) وأوجب أن يكون ساكنها الذي هو عطارد أصغر جثثًا وأبطأ حركة مما تقدمه وأنت تعرف ذلك وصحته كما أورد في ذكر مقادير الأجرام ومقادير الحركات ووصفه باللبيج بالكتابة والنجوم والطلسمات والنيرنجات والصنائع الدقيقة والأعمال العميقة وهذا على مذهب أصحاب النجوم واعتقادهم دلالة عطارد على هذه الأمور.

(٢) أشار به إلى (فلك الزهرة) ووصف الزهرة بهذه الأوصاف فهو أيضًا على مذهب أحكام النجوم.

(٣) أشار به إلى (فلك الشمس) ووصف الشمس بأنها أوتت بسطة في الجسم أراد به عظم مقدارها التي خصت بها دون غيرها.

(٤) أشار به إلى (فلك المريخ).

علم وجهل وقد جسم حظهم من الجمال والبهاء ومدتها سبع مدن<sup>(١)</sup> ويتوها مملكة يسكنها أمة غامضة الفكر مولعة بالشر فإن جنحت للإصلاح أنت نهاية التأكيد وإذا وقعت بطائفة لم تطرقها طروق متهر بل توختها بسيرة الدهلي المنكر لا تجعل فيما تعمل ولا تعتمد غير الآناة فيما تأتي وتذر ومدتها سبع مدن<sup>(٢)</sup> ويتوها مملكة كبيرة<sup>(٣)</sup> منتزة الأقطار<sup>(٤)</sup> كثيرة العمار بقعة لا يتمدنون<sup>(٥)</sup> إنما قرارهم<sup>(٦)</sup> قاع صفصصف مفصول باثني عشر حدًا<sup>(٧)</sup> فيها ثمانية وعشرون محطة لا ترجع طبقة منهم إلى محط طبقة إلا إذا خلا من أمامها عن دورهم فسار عنه إلى خلافها وإن أمم الممالك التي قبلها

(١) أشار به إلى (فلك المشتري).

(٢) أشار بها إلى (فلك الزحل).

(٣) أشار به إلى (الفلك الكواكب الثابتة) وإلى عظم مقدار بعده من الأرض وعظم مقدار دور سطحه.

(٤) أشار به إلى الكواكب الثابتة التي لا تعرف عددها ولا تصل قوة البشر إلى تحصيلها في جملة إلا أن الذي أمكن قياسه وعرف منها عددها ألف واثنان وعشرون.

(٥) أي بقعتهم لا تنقسم إلى مدن أي أجزاء يختص كل جزء منها بحركة واحدة غير مختلفة عرف ذلك لأنها لا يقرب بعضها من بعض ولا يبعد بعضها عن بعض بل هي محفوظة الأبعاد كأنها كلها مركوزة في جسم واحد يتحرك من هو فيه فيحركها بحركته.

(٦) أي فضاء واحد مستوى غير منقسم إلى بقاع مختلفة.

(٧) أشار به إلى منطقة هذا الفلك التي تسمى فلك البروج وقد قسموه في التوهم على اثنى عشر قسمًا سمي كل قسم منها باسم وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسبنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وجعلها محطة إذ كان مقدار سير كل سائر من الكواكب الثابتة والمتغيرة مقيساً إلى فلك البروج ودل بقوله (لا ترجع طبقة منهم لخ إلى خلافها) على ما ذكرته فيما تقدم من حفظ أبعاد ما بينها فلا يلحق واحد منها الآخر حتى يجتمع معه في محط بل لا يحل واحد منهم محطة إلا إذا سار عنه الذي تقدمه.

لتسافر إليها وتتردد فيها<sup>(١)</sup>.

ويليها مملكة لم يدرك أفقها إلى هذا الزمان<sup>(٢)</sup> لا مدن فيها ولا كور ولا يأوي إليها من يدركه البصر<sup>(٣)</sup> وعمارها الروحانيون من الملائكة لا ينزلها<sup>(٤)</sup> البشر ومنها ينزل على من يليها الأمر والقدر<sup>(٥)</sup> وليس وراءها من الأرض معمور<sup>(٦)</sup> فهذا الإقليمان بها يتصل الأرضون والسموات ذات اليسار من العالم التي هي المغرب، فإذا توجهت منها تلقاء المشرق رفع لك إقليم لا يعمره بشر، بل ولا نجم ولا شجر ولا حجر<sup>(٧)</sup> إنما هو بر رحب

(١) أشار به إلى مسیر الكواكب المتحيرة المذکورة فيما تقدم في فلك البروج ومسير كل واحد منها من برج إلى برج وأشار بقوله (فتردد فيها) إلى حركاتها المستديرة التي تبتدئ من موضع وتنتهي إليه بعينه فكأن الكواكب بدورانها وانتقالاتها إليها بأعيانها متربدة فيها.

(٢) أشار بذلك إلى الفلك التاسع الفلك المسمى المستقيم لم يعرف مقدار جرم هذا الفلك لأنّه لا يوجد سهل إلى معرفة ذلك كما سيُوجَد سهل إلى معرفة مقدار سائر الأفلاك والكواكب بخلوه عن الكوكب الذي عرف مقدار فلكه بتوسيط قربه وبعده من الأرض أعني انحطاطه إلى الخضيض وارتفاعه إلى الأوج فلم يوجد لذلك سهل إلى معرفة مقداره لعظم قوته الواقية بتحريك ما دونه على سبيل القهر الحركة البالغة في السرعة التي بلغت من غاية سرعتها واستوائتها واتصالها إلى أن جعل الزمان المطلق من متعلقاتها دون غيرها من الحركات.

(٣) أي لا كوكب فيها يجري مجرى العمار والأوين إلى المساكن.

(٤) أي ليس فيها كوكب جسماني يصح أن يوصف بوجه من الوجوه أنه بشر لاتهاء جسمه إلى سطحه المحيط به.

(٥) أي أمر الله الذي هو الأمر المطلق وقدره الذي هو موجب القضاء والختم ينزل على سائر الموجودات بتوسيط هذا الفلك ونفسه وعقله على ما عرف ذلك من موضعه.

(٦) أشار به إلى تناهي الأجسام عنده لأخلاقه وإلاملاء يلي هذا الفلك بل عنده ينقطع الأجسام وسطحه ينتهي إلى لا شيء.

(٧) أي يظهر لك أن أول الصورة الملابسة للهبيولي ليس بصورة الحيوان ولا النبات ولا المعادن بل تجد أول الصورة أعني الصور الجسمانية صور الاسطقطاس الأربع التي عبر عنها ودل عليها بقوله (إنما هو بر رحب ويم غمر) أي صورة

وبيم غمر، ورياح محبوسة، ونار مشبوبة وتجوزه إلى إقليم تلقاءك فيه جبال راسية، وأنهار ورياح مرسلة وغيوم هاطلة<sup>(١)</sup> وتجد فيها العقبان واللجنين والجواهر الثمينة والوضعية أجناسها وأنواعها إلا أنه لا نابت فيه، ويؤديك عبوره إلى إقليم مشحون بما خلا ذكره إلى ما فيه من أصناف النبات<sup>(٢)</sup> نجمة وشجرة مشمرة وغير مشمرة محبة ومبرزة لا تجد فيه من يضيء ويضفر من الحيوان، وتبعدها إلى إقليم يجتمع لك ما سلف ذكره إلى أنواع الحيوانات العجم<sup>(٣)</sup> سابحها وزاحفها ودارجها ومدومها ومتولداتها إلا أنه لا أنيس فيه، وتخلاص عنه إلى عالمكم هذا وقد دلتكم على ما يشتمله عيائنا وسماعاً، فإذا قطعت سمت المشرق وجدت الشمس تطلع بين قرني الشيطان<sup>(٤)</sup> فإن للشيطان قرنين قرن يطير وقرن يسير<sup>(٥)</sup> والأمة السيارة منها قبيلتان قبيلة في

الأرض والمياه (والرياح المحبوسة) أي الهواء (ونار مشبوبة) أي صورة النار.

(١) أشار به إلى صور المعادن التي أولها صورة الجبال وإلى صور العيون والأنهار وإلى الهواء المتحرك وإلى السحاب الحادث المتولد من البحار الرطب وأصناف الغيوم التي تهطل بها من المطر والثلج والبرد.

(٢) أشار به إلى صور النبات فإن النبات له في تركيبه ومزاجه صور المعادن وزيادة الصور النباتية التي تجري منها مجرى الفصل المميز بها هو نبات عام ثم ينقسم إلى أنواعه التي دل عليها.

(٣) أشار به إلى الحيوان غير الناطق.

(٤) أي إذا نظرت من هذا الإقليم في صورته وملت في اعتبار أمره إلى هذا الجزء منه وجدت الصورة الإنسانية التي هي العقل الإنساني هي طالعة مجردة من المادة بقوع ذاتها قائمة بنفسها صالحة لذلك البقاء بعد فساد البدن فإنه دل على هذا المعنى بقوله (طلع) كما دل ( بالأفول ) في موضع آخر على الانغماس في المادة والانطباع بها بل فسر ذلك بقوله سبحانه حكاية عن إبراهيم عليه السلام ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلَى ﴾، وجعل القرنيين جميعاً من الشيطان لبعد عما وصف به العقل الإنساني من التجريد والبقاء والشيطان هو البعد.

(٥) أراد بالقرن الذي يطير القوى المدركة من الإنسان وبالقرن الذي يسير القوى الحركة منه وشبه الإدراك بالطيران وشبه التحرير بالسير لشدة حركة الطيران

خلق السباع وقبيلة في خلق البهائم<sup>(١)</sup> وبينهما شجار دائم قائم وما جمِيعاً ذات اليسار من المشرق، وأما الشياطين التي تطير فإن نواحِيها ذات اليمين من المشرق<sup>(٢)</sup> لا تحصر في جنس من الخلق بل يكاد يختص كل شخص منها بصيغة نادرة فمنها خلق لمس في خلقين أو ثلاثة أو أربعة كإنسان يطير وأفعوان له رأس خنزير ومنها خلق هي خداج من خلق مثل شخص هو نصف إنسان وشخص هو فرد رجل إنسان وشخص هو كف إنسان أو غير ذلك من الحيوان ولا يبعد أن يكون التمايل المختلطة التي يرقصها المصورون منقولة من ذلك الإقليم، والذي يغلب على أمر هذا الإقليم<sup>(٣)</sup> وقد رتب سكاكاً خمساً للبريد<sup>(٤)</sup> جعلها أيضاً مسالخ لمملكته فهناك يختطف من يستهوي من سكان هذا العالم ويستثبت الأخبار المنتهية منه ويسلم من يستهوي إلى قيم على الخمسة مرصد بباب الإقليم ومعهم الأنباء في كتاب مطوي مختوم لا يطلع عليه القيم إنما له وعليه أن يوصل جميعه إلى خازن

والوصول بها إلى الأشياء البعيدة ولبطؤ حركة السير والوصول بها إلى الأشياء القرية.

(١) أراد به القوة الغضبية والقوة الشهوانية وبينهما التجاذب والتمانع وجعل محل صنفي هذا القرن السيار ذات اليسار من المشرق دلالة على خسارة مرتبتهما وقصورهما عن مرتبة القرن الآخر الطيار الذي يجعل محله ذات اليمين من المشرق.

(٢) أراد به القوة المتخيلة من الإنسان.

(٣) أراد به النفس الإنسانية التي هي أصل ومفهُوم لسائر القوى البدنية وتُرتَب إليها في مراتبها الخاصة بها.

(٤) أراد بها الحواس الخمس الظاهرة التي جعلت في البدن ك أصحاب الأجر في المملكة وجعلها مسالخ أي جعلها لمواضع الأنسنة وأصحاب الأنسنة يستهونون سكان هذا العالم أي يصيرون صورها ويستوثنون في ذواتهم بمحض عرض عن موادها ضرباً من التجريد.

يُعرضه على الملك<sup>(١)</sup> (وأما الأسرى) فيتكلفهم هذا الخازن<sup>(٢)</sup> وأما آلاتها فسيتحفظها خازنًا آخر<sup>(٣)</sup> وكلما استأسروا من عالمكم أصنافاً من الناس والحيوان وغيره تناسلوا على صورهم مزاجاً منها وإخراجاً إليها، ومن هذين القرنين من يسافر إلى إقليمكم هذا فيغشى الناس في الأنفاس حتى تخلص إلى السويداء من القلوب، فأما القرن الذي في صورة السباع من القرنين السياريين فإنه يتربص بالإنسان طروأً أدى معتبراً عليه فيسفره ويزين له سوء العمل من القتل والمثل والإيحاش والإيذاء فيربى الجور في النفس ويعث على الظلم والغشم<sup>(٤)</sup> وأما القرن الآخر منها فلا يزال ينافي بالإنسان بتحسين الفحشاء من الفعل والمنكر من العمل والفساد إليه وتسويقه إليه وتحريضه عليه قد ركب ظهر اللجاج واعتمد على الإلحاد حتى يجره إليه

(١) (فهناك يختطف إخ ... يعرضه على الملك) أي يعمل بالأشياء الواردة على عملين أحدهما: التمسك بتلك الصورة الجسمانية على ما هي عليه بعد تصيدها وهو الذي يعبر عنه بقوله (يختطف) والثاني معرفة ما يقرن بها من المعاني غير المحسوسة وإثباتها وهو الذي دل عليه بقوله (ويستثبت الأخبار إخ) وأراد بالقيم الذي يسلم إليه المستهوى الحسن المشترك فذكر أنه يسلم إليه المستهווون ومعهم آلاتها محبوسة كما هي من غير أن يطلع على ما معهم من الأبناء أو المعاني المعبرة عنها الغير المحسوسة (إنما له وعليه أن يوصل جميعه إلى خازن يعرضه على الملك) أراد بالملك النفس الذي عليه أن يدرك الجميع أي يصير من الحسن المشترك إلى القوة الحافظة وأراد بالخازن القوة الحافظة.

(٢) أي أن الصورة المحسوسة يتكلف بها هذه القوة الحافظة وهي التي تسمى الخيالية.

(٣) أي أن المعاني المقترنة بالصورة تسلم إلى خازن آخر أي القوة الوهمية أولًا ثم الذكرة، وأراد بقوله (وكلما استأسروا من عالمكم إخ) ما أشير إليه قبل من المحاكاة والتركيب والتفصيل.

(٤) أشار به إلى القوة الغضبية التي في خلق السباع أي أن القوة الغضبية تستولى على النفس تبعثها على العمل الغضبي عند لحوق مكروه ومؤذن لها فيحرکها نحو وقع ذلك من أنفسها إما بجور أو قتل أو إيذاء وبالجملة بنوع من أنواع ما يسترفع به الشر والمكر والمؤذن ثم إنها ربما تجاوزت الحد في ذلك فيبعث على الظلم والغشم.

جرأً<sup>(١)</sup> وأما القرن الطيار فإنما يسول له التكذيب لما لا يرى ويصور لديه حسن العبادة للمطبوع والمصنوع ويساود سر الإنسان أن لا نشأة أخرى ولا عاقبة للسويء والحسنة ولا قيوم على الملوك<sup>(٢)</sup> وإن من القرنين لطوائف تصاقب حدود إقليم وراء إقليمكم تعمره الملائكة الأرضية تهدي هدى الملائكة قد نزعت عن غواية المردة وتقيدت سير الطيبين من الروحانيين<sup>(٣)</sup> فأولئك إذا خالطوا لم يعثروا بهم ولا يضلواهم ويحسن مظاهرتهم على تطهيرهم

(١) أي أن القوة الشهوانية منها تستولي على النفس وتبعثها على العمل الشهوي عند لحوق حاجة إلى ملذ ومتى لها من مطعم أو منكر فيحركها إلى استجلاب ذلك إلى نفسها ثم إنها ربما تجاوزت الحد في ذلك فتبعد على ركوب الفحشاء والمنكر من الأفعال والأعمال.

(٢) أي المتخيلة فإنما تسول له التكذيب بما لا يرى أي من شأن هذه القوة إنكار الأمور العقلية والتكذيب بها إن كان إدراكتها الإدراك الجسمى وليس لها الإدراك العقلى بوجه (ويصور إليه حسن العبادة للمطبوع والمصنوع) أي أنها وإن اعترفت وأذعنـت لإثبات مبدأ أول وخلق معبود فإنما ثبت على أنه جسم طبـعـي كـفـلـكـ وـكـوـكـبـ أوـ جـسـمـ صـنـاعـيـ كـصـنـمـ وـتـمـثـلـ علىـ ماـ يـعـتـقـدـهـ عـبـدـةـ الـكـوـاـكـبـ وـعـبـدـةـ الـأـصـنـامـ (وـيـساـوـدـ سـرـ إـلـخـ)ـ أيـ يـلـقـيـ فـيـ بـالـإـنـسـانـ أـنـ لـاـ نـشـأـةـ أـخـرىـ وـلـاـ بـقـاءـ لـلـنـفـسـ وـعـبـرـ عـنـهـ بـالـنـشـأـةـ أـخـرىـ مـنـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ ﴿وَنُنـشـئـكـمـ فـيـ مـاـ لـاـ تـعـلـمـونـ﴾ـ أيـ تـبـقـيـ النـفـسـ مـنـكـمـ مـفـارـقـةـ لـلـمـادـةـ بـحـرـدـةـ عـنـ الـبـدـنـ وـأـنـ لـاـ ثـوابـ لـهـ وـلـاـ عـقـابـ عـلـيـهـ (وـلـاـ قـيـومـ عـلـىـ الـمـلـكـوتـ)ـ أيـ هـيـ مـنـكـرـةـ لـمـدـبـرـ الـعـالـمـ الـذـيـ هـوـ الـقـائـمـ بـذـاتـهـ الـغـيرـ الـمـخـاتـجـ إـلـىـ مـوـضـعـ فـيـ قـوـامـهـ وـإـلـىـ سـبـبـ فـيـ وـجـودـهـ.

(٣) أراد به من السيارة والطiarة طوائف وجماعات تهذب وتأدب بضرب من التهذيب والتأديب وهي لذلك كأنها محاورة لإقليم (وراء إقليمكم تعمره الملائكة إلخ) وشبهها في السيرة الفاضلة بالملائكة واهتدائها بهداها واستنادها بستتها ويعنى بالملائكة كل جوهر عقلي مدرك للمعقول والملائكة الأرضية هي النفوس الناطقة العاقلة البشرية (قد نزعت عن غواية المردة وتقيدت إلخ) أي انقادت لمشورة العقل وتخلىت بالأخلاق المرضية أما السيارة فبارتداعها عن الانهماك في الأفعال الغضبية والشهوانية وأما الطiarة فباتباعها أحکام العقل وقلة منازعتها ومحاذبة إياها ومعارضتها له في قضاياه.

وهو جن وحن<sup>(١)</sup> ومن حصل وراء هذا الإقليم وغل في أقاليم الملائكة فالمتصل منها بالأرض إقليم سكنه الملائكة الأرضيون<sup>(٢)</sup> وإذا هم طبقتان<sup>(٣)</sup> طبقة ذات الميمنة وهي عالمة أمارة وطبقة تحاذيها ذات الميسرة وهي مؤتمر عمالة والطبقتان تهبطان إلى أقاليم الجن والإنس هوياً وتمنعان في السماء رقياً<sup>(٤)</sup> ويقال إن الحفظة الكرام والكتابين منهما<sup>(٥)</sup> وأن القاعد مرصد اليمين من الإمارة وإليه الإملاء<sup>(٦)</sup> والقاعد مرصد اليسار من العمالة وإليه الكتاب<sup>(٧)</sup> ومن وجد له إلى عبور هذا الإقليم سبيل خلص إلى ما وراء السماء خلوصاً فلمع<sup>(٨)</sup> ذرية الخلق الأقدم<sup>(٩)</sup> ولهم ملك واحد

(١) أراد (بالجن) القوة المتعلقة من الحواس والتخيل وغير ذلك وسماها جنًا لاجتنابها واستثارها عن المعقولات من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَ عَلَيْهِ الْيَلُّ رَأَ كَوْكَباً﴾ أي لما تفرق الحسن والخيال حال الموجودات وأراد (بالجن) الغضبية والشهوانية اللتين شعبتا القوة التزويعية وعبر عن النزاع بالجن وكان القوة الشوقية حانة ونازعة إلى استجلاب اللذيد واستدفاع الموذى.

(٢) أراد به النفوس الناطقة الإنسانية أي إذا تجاوزت بنظرك رتبة هذه القوى البدنية انتهيت في النظر إلى رتبة الملائكة وذلك بعد معرفة الإدراك الحسي انتهيت إلى معرفة الإدراك العقلي.

(٣) أراد به القوة العلمية والعملية وجعل العملية ذات الميمنة لشرفها وفضلها على الأخرى العقلية.

(٤) أشار بما إلى جهتي نظرهما فإنهما تارة تقبلان على العقل الفعال مستمدتين منه وتارة تقبلان على البدن مدبرتين له.

(٥) أراد (بالحفظة الكرام والكتابين) قوة العقل من قوله سبحانه ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَفِظِينَ ﴾ ﴿كِرَاماً كَتِبِينَ ﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ وذلك لأن العقل هو الذي يحفظ الإنسان ويدبر أمره وهو الذي يستثبت في ذاته ما يدركه من المعقولات.

(٦) أي للعلمية منها المبدأ للهداية لما يجب أن يعلم.

(٧) أي أن العملية منها هي التي يتوجه ويتنهي الأمر فيعمل ما يجب أن يعمل به.

(٨) أي أن المرتبة الإنسانية والعقل والخاص بها متاخمة ومحاورة للمرتبة السماوية والعقول الخاصة بها.

(٩) أراد بها القدم أي المفارقة للمادة المتقدمة بالذات والصلة على الأمور الملائبة لها.

مطاع<sup>(١)</sup> فأول حدوده معمور بخدم ملوكهم الأعظم عاكفين على العمل المقرب إليه زلفى<sup>(٢)</sup> وهم أمة بررة لا تجib داعية نهم أو قرم أو غلمة أو ظلم أو حسد أو كسل قد وكلوا بعمارة ربيض هذه المملكة ووقفوا عليه وهم حاضرة متمدنو<sup>(٣)</sup> يأوون إلى قصور مشيدة وأبنية سرية تتوف في عجن طينتها حتى انعجن ما لا يشاكل طينة إقليمكم<sup>(٤)</sup> وإنه لأجلد من الزجاج والياقوت وسائر ما يستبطأ أمد بلائه وقد أملى لهم في أعمارهم وأنشى في آجاهم فلا يحومون دون أبعد الآماد ووتيرتهم عمارة الريض طائعين<sup>(٥)</sup> وبعد هؤلاء أمة أشد احتلاطاً بملوكهم مصرون على خدمة المجلس بالمثلول وقد صنعوا فلم يتبدلوا بالاعتمال<sup>(٦)</sup> واستخلصوا للقريبي ومكثوا من

(١) أي أن هذه المفارقات تنتهي في مراتبها إلى مبدأ أول واجب الوجود والكل فائض منه موجود به وسبب له فهو الملك الغني عنهم وهم المملوكون المقتصرةون إليه.

(٢) أشار به إلى النفوس الفلكية المباشرة للتحريك فإن القرب منه هو الاستكمال وقرب كل شيء منه كونه على كماله الخاص به (وهم أمة بررة) منزهة من القوى الأرضية والغضبية والشهوانية.

(٣) أي ليست هي مجردة عن المادة كل التجريد بل ملابسون لها ضرباً من الملابسة يأوون إلى قصور أي هي صور الأفلاك التي شبها في علوها وارتفاع محلها بالقصور المشيدة.

(٤) أي أن المادة الفلكية مبادنة للمادة الأرضية وكأنها نوع آخر من المادة مباديتها لها أنها لا يفارقها صورها ولا يتعاقب عليها الصور كما يتعاقب على المادة الأرضية الأسطقسية.

(٥) أي أن هذه القوة لا تبطل ولا تفسد كما تبطل سائر القوى المعايرة للنوع الآخر من المادة لا يتغيرون عما هم بصدده من عمارة الريض أي ملازمين الفلك والطاعة أي التحرير للفلك.

(٦) أشار به إلى العقول الفعالة المفارقة للمادة أصلاً وعنـي بقوله (أشد احتلاطاً بملوكهم) ما عليه هذه العقول من الاختصاص بالتعقلات دون غيرها من التحريريات كما عليه النفوس المتقدم ذكرها (مصلرون على خدمة) لخ أي من شأنهم الثبات على الأحوال التي هم عليها لا يلحقهم عنها تغير ولا انتقال لأنهم منزهون عن مباشرة الأعمال والتصرف في المواد.

رموق المجلس الأعلى والحفوف حوله ومتعوا بالنظر إلى وجه الملك وصالاً لا فصال فيه<sup>(١)</sup> وحلوا تخلية اللطف في الشمائل والحسن والثقافة<sup>(٢)</sup> في الأذهان والهداية في الإشارات<sup>(٣)</sup> والزواء الباهر والحسن الرائع والهيئة البالغة<sup>(٤)</sup> وضرب لكل واحد منهم حد محدود ومقام معلوم ودرجة مفروضة<sup>(٥)</sup> لا ينazuء فيها ولا يشارك فكل من عداه يرتفع عنه أو يسمح نفساً بالمقصور دونه وأدنهم منزلة من الملك واحد هو أبوهم وهم أولاده وحفدته<sup>(٦)</sup> وعنده يصدر إليهم خطاب الملك ومرسومه<sup>(٧)</sup> ومن غرائب أحوالهم أن طبائعهم لا تستعجل بهم إلى الشيب والهرم وأن الوالد منهم وإن كان أقدم مدة فهو أسبغ منه وأشب بهجة<sup>(٨)</sup> وكلهم

(١) أي أنهم أقرب الخلائق رتبة من الأول الحق والقربة بالحقيقة لهم دون غيرهم.

(٢) (وحلوا تخلية لخ) شرع في هذا الكلام في ذكر أوصافهم التي خصوا بها وهي اللطف في الشمائل إذ لا شيء في الشمائل ألطف حقيقته من شائليهم أي هي التعقلات.

(٣) إذ كل مدرك إنما يدرك ما يدرك بهداية هذه العقول.

(٤) إذ لا شيء أروع حسناً من حسنهم الذي هو الحسن الحقيقي الذاتي دون الحسن العرضي المستعار الذي لغيرهم ولا شيء من الهيئات أكمل من هياتهم التي لا يشوهها نقص ولا يشبهها قصور.

(٥) أشار بذلك إلى ترتيبهم في مراتبهم وحصول كل واحد منهم في رتبة ما مفروضة من جهة القرب والبعد من الأول لا ينazuء واحد منهم الآخر في تلك الرتبة ولا يشاركها فيها إذ كان لكل واحد مخل من القرب ليس للأخر ذلك المخل بل إما دونه أو فوقه.

(٦) أراد به العقل الفعال الأول الذي هو المبدأ الأول بالحقيقة وسماه آبا لهم إذ كان وجود ما سواه عن الأول بتوسطه.

(٧) أي كما أن وجودهم بتوسط وجوده كذلك ما أكرموا به من الفيض الإلهي والتعقيلي الأولى إنما يصل إليهم بتوسطه ومن جهته.

(٨) أشار به إلى إحالة وصول تأثير الزمان إليهم وامتناع لحقوق النقصان بهم الحال لغيرهم من تطاول المادة وذلك لبراءتهم عن ملابسة المادة والقوى الجسمانية وأشار (بأن الوالد منهم لخ) إلى التقدم الذاتي إلا إنه رمزه بالقدم الزماني فقال إن الذي هو أقدم في الذات هو أسبق وأتم قوة.

مسخرون قد كفوا الاكتفاء<sup>(١)</sup> والملك أبعدهم في ذلك مذهبًا<sup>(٢)</sup> ومن عزاه إلى عرق<sup>(٣)</sup> فقد زل ومن ضمن الوفاء يمدحه فقد هذى قد فات قدر الوصف عن وصفه وحدت عن سبيله الأمثال فلا يستطيع ضاربها إلا بتباين أعضاء بل كله لحسن وجه وجلوده يد<sup>(٤)</sup> يعفي حسن آثار كل حسن ويحرر كرمه نفاسة كل كرم ومتى هم بتأمله أحد من الحاففين حول بساطه غض الدهش طرفه فآب حسيراً يكاد بصره يختطف قبل النظر إليه وكان حسن حجاب حسن و كان ظهوره سبب بطونه وكان تجليه سبب خفائه كالشمس لو انتقبت يسيراً لاستعلنت كثيراً فلما أمعنت في التجلي احتجبت وكان نورها حجاب نورها، وإن هذا الملك لمطلع على ذويه بهاء لا يضن عليهم

(١) وقد كفوا الاكتفاء إشارة إلى تجرد ماهياتهم عن الهيولي البدني وبالجملة عن عنصر جسماني وقيامهم بذلك عن غير حاجة إلى موضوع.

(٢) والملك أبعدهم إلى أي لهم وإن كانوا موصوفين بما يوصف به الأول الحق من التجرد والاستغناء عن الموضوع فالملك متفرد من هذا الوصف بخاصية لا يشاركونه فيها إذ هم وإن حصلوا على هذا الوصف فلهم اختصاص ما بأمر جسماني وهو أن كل واحد منهم هو المحرك على سبيل التشويق لفلك من الأفلاك ومنسوب إلى تدبير واحد منها باستمداد خاص نفسه منه دون غيره فله نسبة ما إلى موضوع خاص فاما الملك الذي هو الأول الحق فيميز تميزاً عن ذلك من كل وجه فلهذا يوصف بأنه قيوم وهو المبالغة في القيام بالذات ولا يوصف واحد منهم بذلك.

(٣) (ومن عزاه إلى عرق الخ) شرع هنا إلى ذكر نبذ من صفات الأول الحق فقال إن من نسبة إلى أصل من مادة أو صورة أو فاعل أو غاية فقد زاغ عن الحق إذ هو لا ينسب إلى شيء من هذه الأصول لأنه ليس بمركب فيكون له مادة أو صورة ولا سبب فيكون له فاعل أو غاية لكنه البسيط الذي لا تركيب فيه بوجه والسبب الأول لا سبب قبله في الوجود والموجود الأول الذي لا أولية لغيره متقدم عليه ليس في وسع أحد من واصفيه أن يصفه بكله ما عليه.

(٤) (فلا يستطيع الخ وجلوده يد) لا بتقسيم على وجه من الوجوه القسمية لا المعنية المقدرة ولا مبادنة بين جزء من ذاته لجزء آخر بل هو واحد من كل جهة.

بلقائه، وإنما يؤمنون من دنو قواهم دون ملاحظته وإنه لسمح فياض واسع البر غمر النائل رحب الفناء عام العطاء، من شاهد أثراً من جماله وقف عليه لحظه ولا يلفته عنه غمرة ولربما هاجر إليه أفراد من الناس فيتقاهم من فواضله ما ينوه بهم، ويشعرهم احتقار متاع إقليمكم هذا فإذا انقلبوا من عنده انقلبوا وهم مكرهون.

قال الشيخ حي بن يقطان لولا تقربي إليه بمخاطبتك منبهأً إليك لكان لي به شاغل عنك وإن شئت اتبعني إليه والسلام.

تمت رسالة حي بن يقطان بحمد الله ومنه والصلاحة على محمد خير خلقه وعلى آله وأصحابه.

## الرسالة العاشرة

### رسالة الطير للشيخ الرئيس

هل لأحد من إخواني في أن يهرب لي من سعده قدر ما ألقى إليه طرفاً من أشجاني عساه أن يتحمل عنني بالشركة بعض أعبائها فإن الصديق لن يهذب عن الشوب أخيه ما لم يصن في سرائك وضرائك عن الكدر وصفاءه. وأنى لك بالصديق المماحض وقد جعلت الخلة تجارة يفرز إليها إذا استدعت إلى الخليل داعية وطر وترفض مراعاتها إذا عرض الاستغفاء فلن يزار رفيق إلا إذا زارت عارضة، ولن يذكر خليل إلا إذا ذكرت مأربه، اللهم إلا إخوان جمعتهم القرابة الإلهية وألفت بينهم المجاورة العلوية ولا حظوا الحقائق بعين البصيرة وجلوا الوسخ ورین الشك عن السريرة فلن يجمعهم إلا منادي الله، ويلكم إخوان الحقيقة تحابوا وتصافوا وليكشفن كل واحد منكم لأنجيه الحجب عن خالصه لبّه ليطالع بعضكم بعضاً وليستكم بعضكم ببعض، ويلكم إخوان الحقيقة تقنعوا كما يتقنع القنافذ وأعلنوا بواطنكم وأبطنوا ظواهركم فبالله إن الجلي لباطنكم وإن الخفي لظاهركم.

وילكم إخوان الحقيقة انسلخوا عن جلودكم اسلامخ الحيات ودبوا ديب الديدان وكونوا عقارب أسلحتها في أذناها فإن الشيطان لن يراوغ الإنسان إلا من ورائه وتجروا الدفاع تعيشوا واستحبوا الممات تحيا وطيراً، ولا تخذوا وكرأ تنقلبون إليه فإن مصيدة الطير أو كارها، وإن صدكم عوز الجناح فتلخصوا تظفروا فخير الطلائع ما قوي على الطيران كانوا نعاماً تلتقط الجنادل الحميات وأفاعي تسترط العظام الصلبة وسمادل تغشى الضرام على ثقة وخفافيش لا تبرز نهاراً فخير الطير خفافيشها.

ويلكم إخوان الحقيقة أغنى الناس من يجترئ على غده وأفشلهم من قصر عن أمده، ويلكم إخوان الحقيقة لا عجب إن اجتب ملك سوء

وارتكبت بهيمة قبيحًا بل العجب من البشر إذا استعصى على الشهوات وقد ضيع على استئثارها صورته، أو بذل لها الطاعة وقد نور بالعقل جبلته ولعمر الله بذ الملك بشر ثبت عند زيال الشهوة ولم تزل قدمه عن موطنها فيه وقصر عن البهيمة إنسى لم تف قواه بدرء شهوة تستدعى، وأرجع إلى رأس الحديث فأقول: برزت طائفة تقتنصل فنصبوا الحبائل ورتبوا الشرك وهيئوا الأطعمة وتواروا في الحشيش وأنا في سربة طير إذ لحظونا فصفرروا مستدعين فأحسسنا بصحب وأصحاب ما تخلج في صدورنا ريبة، ولا زعزعتنا عن قصدنا تهمة، فابتذرنا إليهم مقبلين وسقطنا في خلال الحبائل أجمعين، فإذا الحلق ينضم على أعناقنا والشك يتثبت بأجنحتنا، والحبائل تتعلق بأرجلنا ففرزعننا إلى الحركة فما زادتنا إلا تعسيراً فاستسلمنا للهلاك وشغل كل واحد مما خصه من الكرب عن الاهتمام لأن فيه، وأقبلنا نتبين الحيل في سبيل التخلص زماناً حتى أنسينا صورة أمرنا، واستأنسنا بالشرك واطمأننا إلى الأقفاص، فاطلعت ذات يوم من خلال الشبك، فلحوظت رفقة من الطير أخرجت رءوسها وأجنحتها عن الشرك، وبرزت عن أقفاصها تطير وفي أرجلها بقايا الحبائل لا هي تؤودها فتعصبها النجاة، ولا تبينها فتصفو لها الحياة، فذكرتني ما كنت أنسيته ونفست على ما ألفته فكدت أنحل تأسفاً أو ينسل روحي تلهفاً فناديتهم من وراء القفص أن اقربوا مني توقفوني على حيلة الراحة فقد أعنقني طول المقام فتذكروا خداع المقتنصين بما زادوا إلا نفراً فناشذتهم بالخلة القديمة والصحبة المصنونة والهد المحفوظ ما أحل بقلوهم الثقة ونفي عن صدورهم الريبة، فوافوني حاضرين فسألتهم عن حالمهم فذكروا أنهم ابتلوا بما ابتليت به فاستيأسوا واستأنسوا بالبلوى ثم عاجلوني فتحيت الحبال عن ربتي والشرك من أججحتي وفتح باب القفص

وقيل لي اغتنم النجاة فطالبتهم بخلصي رجلي عن الحلقة فقالوا لو قدرنا عليها لابتدرنا أولاً وخلصنا أرجلنا وأنى يشفيك العليل فنهضت عن القفص أطير فقيل لي أمامك بقاعاً لن نأمن المذور إلا أن نأتي عليها قطعاً فاقتفي آثارنا ننج بك ونهدك سواء السبيل فساوى بنا الطيران بين صدفي جبل الإله في واد معشب خصيب بل مجده خريب حتى تخلف عنا جنابه وجزنا جيزته ووافينا هامة الجبل فإذا أمامنا شامي شواهد تنبو عن قللها اللواحظ فقال بعضنا لبعض سارعوا فلن نأمن إلا بعد أن تجوزها ناجين فعانيا الشد حتى أتينا على ستة من شواخمنا وانتهينا إلى السابع فلما تغلغلنا تخومه قال بعضنا لبعض هل لكم في الجمام فقد أوهنتنا النصب وبيننا وبين الأعداء مسافة قاصية فرأينا أن نخص للجام من أبداننا نصيباً فإن الشroud على الراحة أهدى إلى النجاة من الابتات فوقفنا على قلته فإذا جنان مخضرة الأرجاء عامرة الأقطار مثمرة الأشجار جارية الأنهر يروي بصرك نعيمها بصور تقاد لبهائها تشوش العقول وتستبهت الألباب وتسمعك الحائن مطربة لآذانا وأغاني شجية وتشملك رواح لا يدانها المسك السري ولا العنبر الطري فأكلنا من ثماره وشربنا من أنهاره ومكتنا به ريث ما أطربنا الإعياه فقال بعضنا لبعض سارعوا فلا مخدعة كالأمن ولا مناجاة كالاحتياط ولا حصن أمنع من إساءة الظنو وقد امتد بنا المقام في هذه البقعة على شفا غفلة ووراءنا أعداؤنا يقترون آثارنا ويتفقدون مقامنا فهموا نبرح ونهجر هذه البقعة وإن طاب الثواب بها فلا طيب كالسلامة وأجمعنا على الرحلة وانفصلنا عن الناحية وحللنا بالثامن منها فإذا شامخ خاض رأسه في عنان السماء تسكن جوانبه طيور لم ألق أعزب الحائن وأحسن الولائ وأظرف صوراً وأطيب معاشرة منها ولما حللنا في جوارها عرفنا من إحسانها وتلطيفها

وإيناسها ما تغمنتنا به وأيادي لن نفي بقضاء أهونها وإن قصرنا عليه مدة عمرنا بل استمدنا إليه أضعافاً ولما تقرر بيننا وبينها الانبساط أو قفقناها على ألم بنا فأظهرت المساهمة في الاهتمام وذكرت أن وراء هذا الجبل مدينة يتبوأها الملك الأعظم وأي مظلوم استدعاه وتوكل عليه كشف عنه الضراء بقوته ومعونته فاطمأننا إلى إشارتها وتيمننا إلى مدينة الملك حتى حللت بفنائه متظرين لإذنه فخرج الأمر بإذن الواردين فأدخلنا قصره فإذا نحن بصحن لا يتضمن وصف رحبه فلما عبرناه رفع لنا الحجاب عن صحن فسيح مشرق استضفنا لديه الأول بل استصغرناه حتى وصلنا إلى حجرة الملك فلما رفع لنا الحجاب ولحظ الملك في جماله مقلتنا علقت به أفقدتنا ودهشنا دهشاً عاقنا عن الشكوى فوقف على ما غشينا فرد علينا الثبات بتلطشه حتى اجترأنا على مكالمته وعبرنا بين يديه عن قصتنا فقال لن يقدر على حل الحبائل عن أرجلكم إلا عاقدوها بها وإني منفذ إليهم رسولًا يسومهم إرضاءكم وإماتة الشرك عنكم فانصرفوا مغبوطين وهو ذا نحن في الطريق مع الرسول وإخوانى متشبثون بي يطلبون مني حكاية بهاء الملك بين أيديهم وسأصفه وصفاً موجزاً وافراً فأقول إنه الملك الذي مهما حصلت في خاطرك جمالاً لا يمازجه قبح وكمالاً لا يشوبه نقص صادفته مستوفى لديه، وكل كمال بالحقيقة حاصل له وكل نقص ولو بالمجاز منفي عنه كله لحسن وجه وجلوده يد من خدمه فقد اغتنم السعادة القصوى ومن صرمته فقد خسر الآخرة والدنيا، وكم من أخ قرع سعه قصتي فقال أراك مس عقلك مساً أو ألم بك لمم ولا والله ما طرت ولكن طار عقلك وما اقتنت بل اقتنت لك أنى يطير البشر أو ينطق الطير كان المرار قد غالب في مزاجك والبيوسة استولت على دماغك وسيلك أن تشرب طبخ الأفقييمون وتعهد بالاستحمام بالماء

الفاتر العذب و تستنشق بدهن النيلوفر و ترفة في الأغذية و تستأثر منها  
و تجتنب الباه و تهجر السحر و تقل الفكر فإننا قد عهدناك فيما خلا لبيباً  
و شاهدناك فطناً ذكيًّا والله مطلع على ضمائرك فإنهما من جهتك مهمة  
ولا احتلال حالك حالنا مختلفة، ما أكثر ما يقولون وأقل ما ينفع وشر المقال  
ما ضاع، وبالله الاستعانة وعن الناس البراءة، ومن اعتقاد غير هذا خسر في  
الآخرة والأولى، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.  
تمت رسالة الطير والله الحمد كثيراً.

## الرسالة العادية عشرة

### جواب الشيخ الرئيس على سؤال أبي حسين أحمد السهلي إيه عن علة قيام الأرض وسط السماء

وهي رسالة لطيفة الحجم غزيرة العلم نظمت في سلك جواهر عباراتها فوائد كثيرة من مطالب الحكمة الطبيعية ونظرياتها العالية نفع الله بها أبناء سبيل العلم المتعطشين لزلاله آمين.

الحمد لله حمدًا بلا نهاية وصلاته على نبيه محمد وآله أجمعين، وبعد فإن الشيخ أبا الحسين أمرني بأن أشرح له المذهب الحق في علة قيام الأرض في حيزها الذي هي فيه مما يقرب تصوره، ونزول الشبهة به وأن آتى البيان في ذلك من بابه وأقدم عليه من مبادئه فتلقيت أمره بالطاعة مستعيناً بالله واهب العقل والقوة ملتمساً من قصده العزيز أن يصفح عما عسى أن يقع فيه من الخلل والزلل فيما هد عذر المحتهد فيه، وأقسم هذا البيان إلى فصول عشرة:

**الفصل الأول:** في بيان تناهي الجهات.

**الفصل الثاني:** في أن الجهات لا توجد ولا تتصور أبداً إلا أن يكون جسم موجود له إحاطة على أجسام أو فضاء.

**الفصل الثالث:** في أن لكل جسم موضعًا طبيعياً.

**الفصل الرابع:** في أن الحركة المستقيمة ليست طبيعية للجسم على الإطلاق.

**الفصل الخامس:** في أنه لا يمكن أن يكون جسم من الأجسام حركة طبيعية مستقيمة بلا نهاية.

**الفصل السادس:** في أن كل جسم إذا كان في موضعه الطبيعي فإنه لا يتحرك عنه طبعاً.

الفصل السابع: في رفع التعجب الذي يعرض للوهم من قيام الأرض في الوسط وإمكان قيام الحيوان والأجسام الثقال عليه من جميع الجوانب كلها وأنه لو كان حفيير نافذ وطرح فيه إنسان أو حجر لقام في الوسط.

الفصل الثامن: في السبب الذي به يقع في النفس التعجب والاستكار من قيام الأرض في الوسط دون مقل غير طبعه وقيام الحجر لو خلى في بئر نافذ في الوسط.

الفصل التاسع: في أنه يجب أن يكون الموضع الطبيعي للأرض الوسط الذي هي فيه وأنما قائمة فيه بطبعها وجواهرها.

الفصل العاشر: في تعدد أقوایل العلماء القدماء في هذا الباب من غير تطويل الرسالة بمناقضتهم.

وإنا مستعينين بالله نستعمل في هذه الأبواب القول الظاهر الآلين ونجتنب الطرق المطولة من إبانة أن الطبيعة مبدأ الحركة وأن كل جسم فيه مبدأ حركة وكم ينبغي أن تكون مبادئ الحركة وأن مبدأ الحركة بعينه هو مبدأ السكون وأن الأجسام البسيطة إذا كانت بالنوع واحدة فجزؤها لا ينبغي أن يكون واحداً بالنوع بل الشخص وأن أوضاع الجسم البسيطة ينبغي أن تكون على ترتيب محيط محيط حتى يتنهى إلى وسط يتنهى إلى طرف وأن لا تجوز أن تكون هذه إلا جملة واحدة مجتمعة وأنه كيف ينبغي أن يكون الجسم المحيط أو الأجسام التي تحته فإن ذلك أليق بالقول المبسوط المدقق وقد شرحناه في كتاب السماء والعالم باسم هذا الشيخ أيضاً وهو متى أحب ذلك الطريق الذي هو أكثر تحقيقاً وأشد تدقيقاً إلا أنه أعنصر مأخذاً وأصعب منالاً من هذا وجده هناك وبالله التوفيق.

## الفصل الأول

### في تناهي الجهات

إنما نعني بالجهة شيئاً إليه مأخذ حركة أو إشارة فلا يخلو إما أن تكون موجودة أو معدومة، ثم محال أن تكون معدومة لأنها غير ممكن أن تكون هذه الإشارة إلى معدوم أو هذه الحركة نحو معدوم لأن المعدوم ليس إليه إشارة ولا له جهة تخصه وبين أن الجهة موجود يقع إليه الإشارة وكل شيء مشار إليه فهو موصول إليه ضرورة في آخر الحركة إذا لم تقطع دونه فلا يخلو إما أن تكون محتملة للقسمة أو غير متحملة فإن كانت محتملة للقسمة فإذا قسمت فالجزء الذي يلي المشير والمحرك إلى الجهة له جهتان جهة تلي المشير والمحرك والأخرى تلي الجزء الثاني من تلك الجهة بعينها التي يقصدها المشير والمحرك فالجهة هي ذلك الجزء الأبعد من المشير والمحرك وحده لا مجموعه مع الجزء الآخر وكانت جملتها جهة هذا خلف وكيف تكون القرية من المحرك جهة والجهة لا تتجاوز بالإشارة بل تقف عندها الإشارات فقد وضح عن هذا أن الجهة غير منقسمة فلا يمكن إذن أن يكون لها امتداد ومقدار، ولا يمكن إذن أن تكون مأخذ الإشارات ومسافات الحركات إلى الجهات غير متناهية وأيضاً من المعلوم أنه لا يمكن أن يكون شيء أكثر من مقدار غير متناه لو وجد فلا يمكن إذن أن يكون بعد من موضع إلى جهة غير متناه لأنه لا يخلو إما أن يكون البعد من الموضع بعينه إلى خلاف جهته متناهياً أو غير متناه فإن كان غير متناه تضاعف غير المتناهي وهذا محال وإن كان متناهياً فزيادة ذلك المتناهي على ذلك البعد الذي أخذ من ذلك الموضع أكثر من ذلك البعد وحده وقد وضع إنه لا يمكن أن يكون بعد أكثر مما لا يتناهى هذا خلف محال فإذا ذكر الجهات متناهية.

## الفضيل الثاني

### في أن الجهة لا توجد ولا تتصور أبداً إلا أن يكون جسم موجود له إحاطة على أجسام أو فضاء

من البين الواضح أن الأشياء المتفقة هي التي لا توجد لها معان تختلف فيها ويكون جميع ما للواحد منها من الأحوال موجوداً للثاني وتحقيقه أنه لا يجوز أن يكون بعضها مبائناً ومتغيراً في الحقيقة لبعض فإذا تقرر هذا فنقول إنه إذا رفعت الأجسام في الوهم ولم يبق إلا فضاء أو موضع جسم متفق واحد فمن الحال أن يكون للجهات المختلفة من العلو والسفل وغير ذلك وجود وذلك لأن الخلاء متشابه جميع ما يفرض فيه ليس في موضع منه شيء ليس لآخر فلا يمكن إذن يكون موضع من الخلاء مخالف الحقيقة لموضع آخر ثم العلو والسفل والجهات الأربع الباقية متداخلة متضادة فتبين أنه إذا كان الكل خلاء فقط فليس فيه سفل ولا علو ولا سائر الجهات أبداً وأيضاً لو كان الكل جسماً واحداً غير مختلف كان القول كما ذكرنا ولم يجز أن يكون فيه جهات متضادة ولا خارجة عنه حتى تكون جهات له لا فيه لأن الخارج عنه إذا لم يكن فيه معان مختلفة متضادة بل كان كل ما يوجد من الخلاء المحيط به الخارج عنه شبيه نوعه بالآخر غير مضاد الذات والحقيقة لم يكن فيه تضاد جهات فلا يخلو إذن إن وجدت الجهات من أن تكون متصرفة بوجود موضع تصير مختلفة بمعان لها من أجسام مختلفة تكون فيها أو تصير مختلفة لأن ذواتها بالقياس إلى شيء واحد بعينه تصير مختلفة اختلافاً ناشئاً من القرب والبعد عنه، أما القسم الأول أعني اختلاف الموضع بأجسام تحل فيها إذ لا اختلاف للموضع إلا بأجسام تحلها وهي بما هي موضع فقط متفقة فليس بحق لأن العلو على أي جسم حلها والسفل سفل أي جسم حلها فبقي أن الحق والعلة هو القسم الثاني حتى تكون الموضع التي

هي في حالة البعد عن جسم مخالفة بالحقيقة لما هي في حال القرب منه فلا يخلو من وجہين إما أن يكون تحدد الجھتين أعني القرب والبعد خارجاً عن ذلك الجسم أو داخلاً فيه فإن كان خارجاً منه فالقريبة منه في جميع أطرافه إحدى الجھتين المحدودتين فينبعي أن تكون البعيدة محدودة أيضاً إذا قيل وبينَ أن الجھات محدودة وإذا كانت محدودة فحدها عند شيء من الأجسام ضرورة لأن الخلاء الصرف غير متناه ويكون من أي جزء أخذت من الجسم الأول بعد واحداً بعینه فيكون الجسم المحدد لتلك الجهة محیطاً بالجسم فيكون الجسم الأول وسطاً والجسم الثاني محیطاً وإن كان ذلك داخلاً فيه ففي داخل الجسم شيء هو في غاية البعد عنه وشيء هو في غاية القرب منه وذانك هما المركز والمحيط لأن أبعد شيء في داخل الشيء عن الشيء هو مركز في تجويفه وذلك ما أردنا أن نبين من وجوب مركز ومحيط إذ وجب اختلاف الجھات المتضادة علواً وسفلاً، وأما اليمين والشمال والقدام والخلف فجھات غير حقيقة غير عامة لجميع الأجسام ولا فيها تضاد إلا من الحيوان فقط ونحن لا نحتاج إلى تطويل القول فيه في هذا الكتاب.

### الفَضْلُ لِلثَّالِثِ

#### في أن لكل جسم مكاناً طبيعياً

الجسم لا يوجد إلا وأن يكون له حيز وأن يشار إليه ثم يرفع الأسباب القاسرة والعارضة عن الجسم لا يوجب إبطال الجسم وإعدامه فجائز أن يتوهם الجسم موجوداً ولم يقسره قاصر عن حال ذاته لأنه من المبين أن دوام الشيء غير متعلق بما ليس ذاتياً له أو ملازم لذاته فإذا وجد كل جسم وكان كما قلنا وكان إذن في أين وفي حيز لا محالة لم يخل من أن يكون إما وجوده فيه بطبيعة فيكون الذي أردناه، وإما أن يكون بسبب من خارج فإذا رفعنا الأسباب الخارجية وذلك جائز بقي إما لا في حيز وهذا محال وإما في حيز بوجه طبعه وهو الذي يبقى في بين أن كل جسم فله مكان طبيعي.

## الفصل الرابع

### في أن الحركة المستقيمة لا تكون طبيعية للجسم على الإطلاق

بيان ذلك إنها كيف تكون طبيعية وكل حركة طبيعية فإنها متقضية متصرمة وليس شيء من الحركات بثابت غير متصرم وكل طبيعي ثابت غير متقض ما دام الطبع موجوداً ولم يقع عائق بين أنه ليس شيء من الحركات الطبيعي على الإطلاق وأيضاً كل حركة طبيعية إنما تكون عند وجود حالة غير طبيعية فليس وجودها الطبيعي على الإطلاق إنما يقال لها طبيعية من جهة أن الطبيعة التي للجسم توجها في حال يعرض لها غير ملائم لتعود إلى الحالة الملائمة فهي طبيعية لأن مبدأها طبع الشيء وليس طبيعية لأنها لا تكون عن طبع الشيء ما لم يتغير مقتضاه وحكمه فالحجر إذا تحرك بطبعه فليس يتحرك إلا وقد تغير مقتضاه من وجوده في مكانه بأن وجد في غير مكانه.

## الفصل الخامس

### في أن كل حركة طبيعية مستقيمة متناهية

وذلك لأن الحركة الطبيعية مبدأها قوة في الجسم محركة وكل قوة في الجسم متناهية لأن قوة نصف ذلك الجسم نصف تلك القوة ولا نصف لما لا نهاية له إذ يلزم أن ما يقوى عليه قوة ذلك الجسم ضعف ما يقوى عليه نصف القوة من جملته ولا يمكن أن يكون ما لا ينتهي ضعفاً ولا نصفاً لشيء من جملته لأن الضعف مثل النصف الذي هو محدود بقدر يصير مرتين والتحريك مقوى تلك القوة فهو إذن متناه وأيضاً الجهة التي إليها الحركة متناهية فواجب أن الحركة ما لم يعرض عائق أن تنتهي وتصل بالمحرك إليها ولا يمكن أن لا يسكن عندها لأنه من بين أن الجسم إذا كان بالطبع يتحرك إلى جهة فإذا بلغها فليس يمكن أن يكون بطبيعة متحركاً عنها لأن الطبع الواحد لا يمكن أن يكون علة الحركة والشوق إلى شيء ثم علة الحركة والهرب عنه وأيضاً من بين كما قيل إن المحرك يهرب عن حالة غير ملائمة أو مكان غير ملائم وليس الحركة إلا هذا فإذا انتهى إلى المكان الملائم عدلت الحالة التي من أجلها كان الشيء يتحرك بالطبع فقد قيل إنها ليست تحرك إلا لوجود حالة غير طبيعية وأن الحركة ليست طبيعية على الإطلاق فين إذن أن كل حركة مستقيمة طبيعية فإنها متناهية.

## الفَضْلُ لِلصَّادِقِينَ

**في أن كل جسم إذا كان في موضعه الطبيعي  
فإنه لا يتحرك عنه طبعاً**

أما الذي يتحرك إلى موضعه الطبيعي فقد تبين أنه ينتهي إليه بحركته فيسكن فيه لا محالة من ذاته لأن فناء الحركة سكون، وأما الذي وجد فيه فالحكم فيه ذلك الحكم بعينه لتلك العلة بعينها لأنه لما كان ذلك الموضع طبيعياً فهو ملائم لطبع ذلك الجسم ومطلوب له فلو تحرك عنه بالطبع لكان المهروب عنه لذلك الطبع بعينه وهذا محال.

الفَضْلُ السِّبَاعُ

في رفع التعجب الذي يعرض للوهم من قيام الأرض في الوسط  
وإمكان قيام الحيوان والأجسام الثقال عليه في جميع الجوانب  
وأنه لو كان حفيظ نافذ وطرح فيه إنسان أو حجر لقام في الوسط

قد جاز بل وجب أن يكون للأرض موضع طبيعي فلو فرضنا موضعه الطبيعي وسط العالم ووضعنا وضعًا إلى أن تبين حقيقته لم يعرض منه في النفس شيء محال إذ لابد له من موضع طبيعي وليس توجب النفس له موضعًا دون موضع بل يجوز أن يكون ذلك الموضع أي المواقع اتفق إلى أن يقوم الدليل عليه فلنفرض للأرض على جهة الجواز لا الوجوب مكانًا طبيعياً هو الوسط أليس ينبغي حينئذ ضرورة أن تكون جميع الأجسام الثقال حيواناً كانت أو غير حيوان تميل بطبعها وتجذب من جميع الجوانب كلها إلى وسط العالم وتقوم هناك بطبعها بلا سبب من خارج يقيمهما وأنه لا يجوز سقوطها عنه كما يتوهم من الجانب الذي يقابلنا ولا يكون قيام من لو قام لمقابلتنا منكباً لأن المنكب هو الذي يرجح وتميل أعضاؤه كلها وكليته إلى خلاف جهة رجليه وأنه لو وجدنا حفيراً نافذاً وسقط فيه جسم ثقيل قام في الوسط من غير مقل وهو جائز محتمل وكل جائز محتمل فهو غير مستنكر. فجميع هذا غير منكر.

## الفصل الثامن

### في السبب الذي يقع به في النفس التعجب والاستنكار لقيام الأرض بغير مقل في الوسط وقيام الحيوان عليه من كل جانب

كل ما لم ير له الوهم مثلاً وكان جميع ما يرى بخلافه فهو مستنكر متعجب منه غير مصدق به في الوهم ولما رأى الوهم بتوسط الحس جميع الأئقال غير ثابتة في الجهة المقابلة للجهة التي إليها يتحرك وغير ثابتة إلا على معتمد مستقر ظن أنها دائمًا تتحرك على ذلك الخط بغير نهاية ولم يصدق ألبته بخلاف ذلك كما أن القوم الذين لم يروا ألبته حيوانًا يعيش في الماء ورأوا كل حيوان يغرق فيه ويموت يكذبون بوجود السمك والضفادع والقوم الذين لم يروا حيوانًا إلا وتهلكه النار وتحرقه لا يصدقون بوجود ذباب يعيش في النار وطائر يتوكر فيها وطائر يسمى السمندر يتردد في ضرامها، وبالجملة إذا رأى الوهم بتوسط الحس أشياء على هيئة رؤية مستمرة متكررة ولم ير ألبته خلافاً لذلك لم يصدق بخلافه ألبته وأشياء عند الوهم ثلاثة أقسام، شيء لا يتصوره ولا يصدق به مثل نهاية العالم، وشيء يتصوره ولا يصدق به مثل قيام حيوان مقابلنا في جوانب الأرض وشيء يتصوره ويصدق به وهذا ظاهر والقوى التي لها إدراك الأشياء أقسام منها الحس وإدراكه للحاضرات المكانية والوهم وإدراكه للمحسوسات فقط وتصديقه بما يدخل في الحس فحسب أي بما يوجد في الحس أو ما لم يوجد في عادة الحس بخلافه إلا أنه يدركها حاضرة وغائبة ومنها الرأي المحمود وتصديقه بالمعارف المشهورة منها العقل الصريح وتصديقه بما فطر عليه، أو بما أدى إليه الحس أداء صحيحاً وبما قام الدليل عليه ولا يمكن أن تغير كل قوة عن خاص فعلها ألبته بل ينبغي أن يكمل العقل وتحصل له معقولاته ولا يكلف الوهم أن يتصورها ويصدق بها بل يترك الوهم وهو لا

يصدق بها بل ينبغي أن تترك كل قوة تفعل فعلها ولكن ينبغي أن تكون أفعال كل قوة مميزة عند الذهن عن أفعال الأخرى لشلا يقع الذهن في الغلط فيحسب فعل الوهم أنه فعل العقل فيقتصر عليه ويبقى العقل غير مكمل والرأي مخالفًا لمقتضى العقل، وفي تمييز أفعال هذه القوى بعضها عن بعض صعوبة عظيمة في التحرز عن الغلط وبجانبة الزيف وقد بلغت فيما صفتته في المنطق مبلغاً في ذلك لم يبلغه أحد من الأوائل فالله المستعان.

## الفَضْلُ التَّاسِعُ

### في أنه يجب أن يكون الموضع الطبيعي للأرض هو الوسط الذي هو فيه وسائل ما يتصل به

لما كان كل ما سخن أخذ الجهة القريبة من الفلك وإن كان ذلك خلافاً لطبعه الغريزي كما أن الماء إذا سخن تحرك إلى فوق وصار بخاراً ثم إذا برد نزل والرماد الغير المنطفي كالشرر يتحرك إلى فوق ثم إذا برد عاد إلى طبعه فبین أن فوق وهو القرب من الفلك للطبيعة الحارة فواجب أن تكون لها جهة العلو والمواضع المضادة له للطبيعة المضادة للحر، والموضع المضاد للعلو وهو القرب من الفلك هو الوسط والبعد عنه فواجب أن يكون الأرض والماء البارد عند الوسط وأما أن الجهتين المتضادتين فيما دون الفلك مما في القرب منه والبعد فقد قيل ذلك في فصل تقدم فإذا الحرارة تطلب الموضع الذي هو قرب الفلك والبرودة تطلب الموضع الآخر بالطبع وأيضاً إذا كان الخفيف يطلب القرب من الفلك والثقيل يطلب البعد عنه وكانت الأرض أثقل الأجسام فقد ثبت أن مكانها الطبيعي في غاية البعد عن الفلك وهو الوسط ولا يمكن أن يكون مكانها خارج الفلك ولا أن يكون متحدداً بجسم آخر خارج محيط بالفلك كما بين في باهه فكانت تحرك إليه قاصدة أن تقطع الفلك فكانت تحرك بحركة إلى الفلك لا عن الفلك وبين أن الأرض في موضعها الطبيعي وبين أن قيامها به وسكنها فيه بطبعها كما قيل، وبين أن كل شيء ساكن في موضعه الطبيعي بالطبع ما لم يتحرك من خارج وبين أنه لو وجد المنفذ إلى الجانب الآخر لكن إذا حصل في الوسط إذ بين أن كل حركة مستقيمة متناهية وأن كل جهة متناهية وبين أن ذلك موضعه الطبيعي وبين سائر ما يتصل بهذا وبالله التوفيق.

## الفصل العاشر

### في اقتصاص آراء العلماء وتعديل أقاويل القدماء من غير تطويل الرسالة بمناقضتهم استغناه بما تقرر

ذهب طوائف من القدماء إلى آراء أخرى غير ما سبق، فمن أصحاب فيشاغورث من قال أن الأرض متحركة دائمة على الاستدارة ومنهم من قال إنه هابطة إلى أسفل ومن غيرهم من ذهب إلى سكونها فالذين قالوا بسكونها منهم من قال إنها تقوم على الهواء بضغطها وانحصر الهواء تحتها حتى لا يجد منفذًا فيضطر إلى إقلالها وهذا ينمي إلى (ديمقراطيس) وفرقة قالوا إنها واقفة على الهواء وقف الحياة عليه وقال بعضهم إنها لعظمها تطفو على الهواء كما أن الصفيحة من الرصاص إذا كانت عظيمة واسعة طفت وإن صارت رسيت وذهب طائفة إلى أنها إنما تقف في الوسط لتساوي استحقاق الجهات في أن تتحرك إليها إذا لينت بجهة أولى بذلك من جهة ورأى البعض أن السبب هو إدارة الفلك وحركته وأقصاه الأرض من كل جانب إلى الوسط كما أنه لو جعل تراب أو حجر في قارورة ثم أديرت بقوة قام التراب والحجر في الوسط وقرر البعض أن السبب في جذب الخلاء وحكم البعض بأن أجزاء الأرض إنما تتحرك إلى الوسط عشقًا لكتلاتها فهذا ما حضرنا في هذه الساعة من آراء القدماء في الأرض ولنختتم الرسالة متضرعين إلى الله واهب العقل والحياة.

إلى هنا وقف يراعي الشيخ عن الجولان فانطفأ سراج البيان وطلع فجر العيان والصلوة والسلام على ملاك الهدایة والدلالة وخاتم فلك النبوة والرسالة وآلها ومن جمعتهم به جامعة العناية والسعادة آمين.

## الرسالة الثانية عشرة

### فِي جواب أَبِي الْفَتْحِ عَمَّرْ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخِيَامِ<sup>(١)</sup> عَنْ كِتَابِ الْقَاضِيِ النَّسُوْيِ

الرسالة الثانية عشر في جواب السيد الأجل حجة الحق فيلسوف العالم نصرة الدين سيد حكماء المشرق والمغرب أبي الفتح عمر بن إبراهيم الخيامي<sup>(١)</sup> عن كتاب القاضي الإمام أبي نصر محمد بن عبد الرحيم النسوى تلميذ الشيخ الرئيس يسأله فيه عن حكمة الخالق في خلق العالم خصوصاً الإنسان وتکلیف الناس بالعبادات.

الحمد لله ولي الرحمة والإنعم، والسلام على عباده الذين اصطفى خصوصاً سيد الأنبياء محمد وآلـه الطاهرين، كتب أبو نصر محمد بن عبد الرحيم النسوى وهو الإمام القاضي بنواحي فارس سنة ثلث وسبعين وأربعين إلى السيد الأجل حجة الحق فيلسوف العالم نصرة الدين سيد حكماء المشرق والمغرب أبي الفتح عمر بن إبراهيم الخيامي قدس الله نفسه رسالة منطقية على المباحثة عن حكمة الله تبارك وتعالى في خلق العالم وخصوصاً الإنسان وتکلیف الناس بالعبادات وضمنها أبياتاً كثيرة لم يحفظ منها إلا هذه الأبيات.

فَأَقْرَى السَّلَامَ عَلَى الْعَالَمَةِ الْخِيَامِيِ	إِنْ كُنْتَ تَرْعِينَ يَا رَيْحَ الصَّبَّا ذَمَمِي
خَضُوعَ مِنْ يَجْتَدِي جَدْوِي مِنْ الْحَكْمِ	بُوسِي لِدِيهِ تَرَابُ الْأَرْضِ خَاضِعَةٌ
مَاءُ الْحَيَاةِ رَفَاتُ الْأَعْظَمِ الرَّمِمِ	فَهُوَ الْحَكِيمُ الَّذِي تَسْقِي سَحَابَهُ

---

(١) هو عمر بن إبراهيم الخيامي أبو الفتح، عالم حكيم شاعر، كان عالماً بالقراءات وبالجبر والمقابلة والرصد وكذلك المنطق له شرح ما يشكل من مصادرات إقليدس في الجبر والمقابلات، والاحتياط لمعرفة مقداري الذهب والفضة، ومسائل نجومية وميزان الحكمة. توفي سنة ٥١٥ هـ، وقيل سنة ٥١٧ هـ، انظر تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي (١٢٣-١١٩) معجم المؤلفين (٥٤٩/٢).

عن حكمة الكون والتکلیف يأتی بما تغنى براهینه عن أن يقال لم فأجایه بهذه الرسالة: إن علمك أیها الأخ الرئيس الفاضل الأوحد الكامل أطال الله بقاءك، وأدام عمرك وعلاقك، وحرس عن المکاره والغير فناءك أوفر من علوم أقرانی وفضلك أغزر من فضلهم ونفسك أزکى من نفوسيم فانت إذاً أعرف منهم بأن مسألي کون والتکلیف من المسائل المعاصرة المعتذر حلها على أكثر الناظرين فيها والباحثين عنها وإن كل واحدة منها منقسمة إلى عدة أقسام كل قسم منها مفتقر إلى عدة ضروب من المقاييس الوعرة المبنية على أصناف من القضايا المختلفة فيها بين أهل النظر وإن هاتين المسألتين من أواخر العلم الأعلى والحكمة الأولى وإن آراء المتكلمين فيما متباعدة جداً وإذا كان الأمر كذلك فالحربي أن يكون الكلام فيما صعباً جداً إلا أنك شرفتني بالمباحثة عنهما والمحاورة فيما؛ لذا لم أجد بدأ من أن أسلك في تعديد أقسامهما واستيفاء أصنافهما وتبيين جمل براهينهما بحسب ما انتهى إليه بحثي وبحث من تقدمني من معلمی على سبيل الإيجاز والاختصار لضيق الوقت وعدم احتمال البسط والتطويل والإطباب والتفصيل، ولمعرفتي بأن ذكاءك وحدسك خرس الله مجدك يكتفيان من الكثير بالقليل وبالإشارة عن العبارة ويكون كلامي فيما كلام المستفيد لا المفید والمتعلم لا المعلم استرواحاً إلى ما يصدر عن جنابك الشـرـيف واعترافاً من بحرك الزاهر أدام الله فضلك ولا أعدمنا ظلك واعتصم بفضل التوفيق من الله تعالى إنه ولـي كل خـير وـمفـيض كل عـدل.

### **المطالب الحقيقة الذاتية المستعملة في صناعة**

### **الحكمة ثلاثة وهي أمـهـاتـ المـطـالـبـ الأـخـرـ**

أحدـهاـ: مـطلـبـ هلـ هوـ وـهـوـ السـؤـالـ عـنـ إـنـيـ الشـيءـ وـثـبـوـتـهـ كـقـولـنـاـ هـلـ العـقـلـ مـوجـودـ أـمـ لـاـ فـيـكـونـ الجـوابـ نـعـمـ أـوـ لـاـ،ـ وـالـثـانـيـ:ـ مـطلـبـ مـاـ هـوـ وـهـوـ

السؤال عن حقيقة الشيء وماهيته كقولنا ما حقيقة العقل فيكون الجواب عنه إما تحديداً أو ترسيناً وإما تشريحًا وتبيناً للاسم ولا يكون هذا المطلب حاصراً لجواب المجيب بين طرفي النفي والإثبات بل يكون الجواب إلى المجيب يأتي بما يشاء مما يراه حداً لذلك الشيء أو معرفاً له، والثالث: مطلب لم وهو السؤال عن السبب الذي لأجله وجد الشيء ولو لا وجود ذلك الشيء كقولنا لم العقل موجود وهذا المطلب أيضاً لا يكون حاصراً لجواب المجيب بين طرفي النقيض بل يفوض إليه الجواب من غير أن يتعرض لشيء من أجزاء جوابه المسئول عن لميته اللهم إلا في السؤال الثاني وبين مطلب ما ومطلب لم مناسبات قد استوفى الكلام عليها في كتاب البرهان من كتب المنطق وكل واحد من هذه المطلوبات منقسم إلى أقسام شتى لا حاجة بنا إلى ذكرها في مطلوبنا هذا إلا أن مطلب ما ينقسم بحسب القسمة الأولى إلى قسمين لابد من ذكرهما لاختلاف وقوع لأصحاب الصناعة فيه (في هذا المطلب) أحدهما: مطلب ما الحقيقي وهو الباحث عن حقيقة الشيء وهذا متأخر عن مطلب هل في الترتيب لأننا مالم نعرف أن الشيء موجود ثابت لم يمكننا أن يتحقق ذاته إذ لا يكون المعدوم ذات حقيقي، والثاني: مطلب ما الرسي وهو الباحث عن شرح الاسم المطلق على الشيء وهذا متقدم على مطلب هل في الترتيب لأننا ما لم نعرف شرح قول القائل هل عنقاء مغرب موجود أم لا لم يمكننا أن نحكم عليه بنفي ولا إثبات فيجب أن يكون هذا الجواب الشارح للاسم قبل مطلب هل، ولما لم يتفطن جماعة من المنطقين لقسمي ما تبللووا وتحيروا فذهب بعضهم إلى أن مطلب ما متأخر عن مطلب هل وأراد به القسم الحقيقي وذهب بعضهم إلى أنه متقدم وأراد به القسم الشارح، وأما مطلب لم فهو متأخر عن المطلوبين الآخرين لأننا ما لم نعرف حقيقة الشيء وإناته لم يمكننا أن نعرف السبب الذي لأجله وجد ذلك

الشيء، ولهنا مطالب أخرى مثل أي وكيف وكم ومتى وأين وهي عرضية باحثة عن حقيقة الأعراض الطارئة على الشيء وإثباتها له فهي إذن بالحقيقة عند التفكير الشافي داخلة تحت المطالب الذاتية الحقيقة ولا حاجة بنا إلى ذكرها وليس يخلو موجود عن هلية ما أي إنية وثبتت فإن الحال عن الإنية والثبوت يكون معدوماً وقد فرضناه موجوداً وهذا محال وكذلك ليس يخلو عن حقيقة وماهية بها تعين وتميز عن غيره إذا الحال عن التعين والتميز عن غيره يكون معدوماً وقد فرضناه موجوداً هذا محال وقد يكون من الموجودات ما هو الحال عن اللمية وهو الأشياء الواجبة التي لا يمكن أن لا تكون موجودة وإن فرضت غير موجودة لزم منه محال والشيء الذي يكون بالحقيقة على هذه الصفة لا يكون له سبب ولمية فيكون إذن واجب الوجود بذاته وهو الواحد الحي القيوم الذي عنه الوجود لكل موجود وبجوده وحكمته فاض كل خير وعدل جل جلاله وتقديست أسماؤه وهذه مسألة مفروغ عنها في مطلوبنا هذا وأنت إذا أمعنت النظر في جميع الموجودات ول Miyatها أداك النظر إلى أن تتحقق أن لميات جميع الأشياء منهية إلى لميات وعلل وأسباب لا لمية لها ولا علل ولا أسباب، برهان ذلك إذا قيل لم (أب) قلنا لأنه (ج) وإذا قيل لم (أـ حـ) قلنا لأنه (دـ) وإذا قيل لم (أـ هـ) قلنا لأنه (هـ) وهكذا فلابد من أن يتنهى بنا البحث عن العلل إلى علة لا علة لها ولا فيلزم فيها التسلسل أو الدور وهم حالان فقد صح أن جميع علل الموجودات تنتهي إلى سبب لا سبب له وقد تبين في العلم الإلهي أن السبب الذي لا سبب له هو واجب الوجود بذاته وواحد من جميع جهاته وبرئ من جميع أنحاء النقص وإليه تنتهي جميع الأشياء وعنه توجد فتبين أن سؤال الله لا يعرض على كل موجود بل على موجودات إذا فرضت غير موجودة لم يلزم منه محال وأما على الموجود الواجب الواحد فلا، وإذا قدمنا وتكلمنا

فيها على سبيل الاختصار فلنرجع إلى الغرض المقصود نحوه وهو الكلام في الكون والتکلیف، فنقول إن لفظة الكون تقع على عدة معان باشتراك الاسم فلنخرج الخارج عن الغرض ونقول أن الكون المقصود في هذا الموضوع هو وجود الأشياء الممكنة الوجود التي إن فرضت غير موجودة لم يلزم منه محال، وأما مطلب هل فيه مثل قول القائل الموجودات التي هي على الصفة المذكورة حاصلة أم لا فيكون الجواب عنه بنعم فإن طالبنا بالبرهان على حصول هذه الموجودات فإن ذلك ظاهر جداً يغنينا الحس والمشاهدات الضرورية والقضايا العقلية عن الاستدلال عليه بشيء آخر غيرها إذ جميع الموجودات والصفات التي قبلنا هي من هذا القبيل لأن أبداننا وأحوالنا مسبوقة بالعدم، وأما لمية الكون المطلق وهو فيضان هذه الموجودات منتظمة في ترتيب السلسلة النازلة من عند المبدأ الأول الحق عز وجل طولاً وعرضًا فهي جوده الحق المحس التام الذي يفيض عنه كل ممکن فجود الباري تعالى سبب هذه الموجودات فإن طالبنا بالجواب عن لمية وجوده قلنا لا لمية له لأنه واجب وكما أن ذات واجب الوجود لا لمية له فكذلك جوده وجميع أوصافه لا لمية لها وقد تشعب من هذا القبيل مسألة هي أطم المسائل وأصعبها في هذا الباب وهي في تفاوت هذه الموجودات في الشرف، فاعلم أن هذه مسألة قد تثير فيها أكثر الناس حتى لا يكاد يوجد عاقل إلا ويعترى في هذا الباب تحرير ولعلى ومعلمى أفضل المتأخرین الشیخ الرئیس أبا علی الحسین بن عبد الله بن سینا البخاری أعلى الله درجه قد أمعنا النظر فيها وانتهى بنا البحث إلى ما قنعت به نفوسنا إما لضعف نفوسنا القانعة بالشيء الرکيك الباطل المزخرف الظاهر وإما لقوة الكلام في نفسه وكونه بحيث يجب أن يقنع به وسنأتي بطرف من ذلك على سبيل الرمز، فنقول إن البرهان الحقيقي اليقيني قائم على أن هذه الموجودات لم يدعها الله تعالى معًا بل أبدعها نازلة من

عنه في سلسلة الترتيب فالمبعد الأول هو العقل المحس وهو أشرف الموجودات لقربه من المبدأ الأول الحق، ثم هكذا أبعد الأشرف فالأشرف نازلاً إلى الأنس فالأنس حتى بلغ في الإبداع إلى أنس الموجودات وهو طينة الكائنات الفاسدات، ثم ابتدأ الإيجاد صاعداً عنها إلى الأشرف فالأشرف حتى انتهى إلى الإنسان الذي هو أشرف الموجودات المركبة وآخر الموجودات في عالم الكون والفساد فالأقرب منه في المبدعات أشرفها والأبعد من الطينة في المركبات أشرفها وقد قدر تعالى جده تكوين هذه المركبات في زمان ما لضرورة عدم اجتماع المتضادات بل المتقابلات في شيء واحد في زمان واحد من جهة واحدة معاً، فإن قال قائل لم خلق المتضادات المتمانعة في الوجود فيكون الجواب عنه إن الإمساك عن الخير الكثير من جهة لزوم شر قليل إيه شر كثير والحكمة الكلية الحقة والجود الكلي الحق أعطيا جميع الموجودات كمالها الذاتي لها من غير أن يبخس حظ واحد منها إلا أنها بحسب القرب وبعد متفاوتة في الشرف وذلك لا ليخل من جهة الحق عز وجل بل لاقتضاء الحكمة السرمدية ذلك فهذه جمل وإن أوردتها على سبيل اقتصاص مذهب قوم من الحكماء فإن تحقق أصولها بالبرهان يهديك سبيل تحقيقها باليقين، وأما مسألة التكليف فعلها أسهل من مسألة الكون وإنني أعرض عليك ما أعرفه في ذلك مستفيضاً فأقول إن لفظة التكليف لا يبعد أن يكون لها معان مختلفة حسب الاصطلاحات والحكماء يريدون بها ما ذكره، التكليف هو الأمر الصادر عن الله تعالى السائق للأشخاص الإنسانية إلى كمالاتهم المساعدة لهم في حياتهم الأولى وال أخرى الرادع إياهم عن الظلم والجور وارتكاب القبائح واكتساب النعائص والانهيار في متابعة القوى البدنية الممانعة إياهم عن اتباع القوة العقلية، وأما هدية التكليف فإنها مندرجة في ضمن نميته لأن نمية الأشياء تتضمن هليتها

فنقول في لميته أن الله عز وجل خلق النوع الإنساني بحيث لا يمكن الإمكان الأكثري أن تبقى أشخاصه ويحصل لهم كمالاتهم إلا بالتعاضد والتعاون والترافق لأن غذائهم ولباسهم وكثيرهم ما لم تكن مصنوعة وهذا أكثر ما يحتاجون إليه في التعيش لم يمكنهم الاستكمال وليس يمكن لواحد منهم أن يتولى بنفسه جميع ما يحتاج إليه من أصناف التعيش فاضطروا إلى أن يتولى كل منهم شيئاً مما يحتاجون إليه في التعيش فيفرغ صاحبه عن مهمه لو توراه بنفسه لازدحمت على الواحد أشغال كثيرة وإذا كان الأمر كذلك فالواجب أن يضطروا إلى سنة عادلة يتعادلون بها فيما بينهم وتلك السنة إنما تكون عند واحد منهم يكون أقواهم عقلاً وأزكاهم نفساً لا يهمه من أمور الدنيا إلا الضروريات وما لابد منه في الحياة وليس همه فيما يتواهه الرئاسة أو التمكن من أمر شهوانى أو غضبى بل يكون همه ابتعاء مرضاه الله تعالى فيما يأمره به من إيراد السنة العادلة لا يلتفت فيها لفت عصبية وتقضيل بعض على بعض ويمضي حكم الشرع فيهم على سواء فيكون هذا هو الحق الذي يفيض على نفسه من الوحي ومشاهدة الملائكة مما لا يفيض على نفس غيره من هو دونه في المرتبة ويكون متميزاً باستحقاق الطاعة وذلك التمييز إنما يكون بمعجزات وآيات تدل على أنها من عند ربه عز وجل، ثم من المعلوم أن أشخاص الناس متفاوتة في قبول الخير والشر والرذائل والفضائل وذلك بحسب أمزجة أجسادهم وهيئات نفوسهم معًا والأكثر من الناس يرون ما لهم على غيرهم حقاً واجباً ويبالغون في استيفائهم ذلك ولا يرون ما لغيرهم عليهم ويرى كل واحد منهم نفسه أفضل من نفوس كثير من الناس وأحق بالخير والرئاسة من غيرها فوجب أن يكون هذا الشارع مؤيداً مظفراً لا يعجز عن إمضاء حكم الشريعة في جمهور الناس بعضهم بالوعظ وبعضهم بالبرهان أو الدليل وبعضهم بتأليف القلب والبدن وبعضهم بالتحويفات

والإنذارات وبعضمهم بالزجر العنيف والقتال ولأجل أن وجود مثل هذا النبي لا يتفق أن يكون في كل زمان وجب أن تبقى السنن المشروعة مدة ما وهي إلى الوقت المقدر فيه اضمحلاتها ولا يمكن استبقاء الشرائع والسنن العادلة إلا بما يذكر الناس دائمًا صاحب الشرع ففرضت عليهم العبادة المذكورة بصاحب الشرع والحق عز وجل وكررت عليهم تلك حتى يستحكم التذكرة بالتكلير المتواتر ثم يحصل من تلقي الأوامر والنواهي الإلهية والنبوية بالطاعات ثلاث منافع، إحداها: ارتياض النفس بتعودها الإمساك عن الشهوات وزمّها عن القوة الغضبية المقدرة للقوة العقلية.

والثانية: تعويدها النظر في الأمور الإلهية وأحوال المعاد في الآخرة لتجرها المواظبة على العبادات عن جانب الغرور إلى جانب الحق والتفكير في الملوك وتحرضها على تحقق وجود الحق الأول أعني الذي عنه وجود كل موجود جل جلاله وتقديست أسماؤه ولا إله غيره الذي فاضت الموجودات عنه منتظمة في سلسلة الترتيب التي اقتضتها الحكمة الحقة بالبرهان المبني على القياس المجرد عن أصناف التمويهات والمغالطات.

والثالثة: تذكيرهم الشارع الحق وما أتى به من الآيات والإنذارات ووعده ووعيده الممضي أحكام السنة العادلة فيما بينهم فيجري بينهم التعامل والترافق ويency نظام العالم الذي اقتضته حكمة الباري جل وعلا على حاله، فهذه هي منافع التكليف ومنافع العبادات، ثم زاد لمستعمليه الأجر والثواب في الآخرة، فانظر إلى حكمة الحي القيوم ثم إلى رحمته تلحظ جناباً تبهرك عجائبها، هذا هو القدر النزر الذي لاح لي في الحال فعرضته على مجلسك الرفيع أيها الكامل الواحد لكي تسدد خلله وتصلح فاسده وتعوضني عنه ما أسكن إليه بلقائك الشريف وكلامك اللطيف والله تعالى أعلم بالصواب، والحمد لله أولاً وآخرًا وباطناً وظاهراً.

### الرسالة الثالثة عشرة

## فِي جواب الشِّيخ أَبْنَى الْفَتْح عَمْر بْن إِبْرَاهِيم الْخِيَام عَنْ ثَلَاثَةِ مُسَائِلٍ

الرسالة الثالثة عشر في جواب السيد الأجل حجة الحق فيلسوف العالم نصرة الدين سيد حكماء المشرق والمغرب أبي الفتح عمر بن إبراهيم الخيام عن ثلاثة مسائل سئل عنها، إحداها: كيف صدر ملازم التضاد والشر عن الواجب مع البت بأنه عز وجل تعالى عن أن يكون مصدر شر أو ظلم وجور مع القول بامتنان تعدد الواجب، الثانية: أي الفريقين أقرب إلى الصواب قوله أشبه بالتحقيق الجبرية القائلين بالجبر ونفي الاختيار عن الممكن أم القدرة الناسبين إلى العبد خلق أفعاله الاختيارية، الثالثة: إن قوماً يقولون بأن البقاء من صفات المعاني أي إنه صفة زائدة على ذات الباقي في الخارج فكيف يصح قولهم وما سبيل المناقشة معهم، هذا ولم يورد في الأصل الذي نسخنا منه هذه النسخة تعين السائل ولا نصوص أسئلته بحروفها هـ أـ عـ.

والرسالة تحتوى مباحث متفرقة عديدة ومطالب عالية شريفة وإشارات إلى دقائق عويصة قل من يفطن لها وقد عينا والحمد لله مواطن جملة منها خدمة للأذكياء وتسهيلاً على القراء النباء وفتحاً لباب الترقى الحق ومعرفته ومن الله سبحانه لا من غيره نلتمس الأجر فإنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً وهو يتولى إرسال أشعة الرحمة على الجميع وهو حسبنا ونعم الشفيع، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

حمدًا لمن اقتضى بذاته كل كمال ورشد وخير وتنزه عن كل نقص وشر وضير، واصطفى عباداً أوحى إليهم الحكمة، وأكمل لهم السعادة والغبطه وأتم النعمة فأيقنوا بوحدته، وفروا في عزته، وعلموا أن الشرور

والنقوص ليست من نسبته، واستدر من ثدي فيضه وفضله أفضل الصلوات المباركات وأمثل التحيات الزاكيات الطيبات على أهل السعادة والعناء والدراءة والهدایة زمرة النبوة والرسالة وبني الحكمه والولایة الذين عرفوا الحق والخير لأهلهما والشر والباطل فجانبوا أسبابهما أولئك السعداء حقاً والنجاء النباء صدق اللهم ألحقنا بحسبهم، وأيدنا بروح من روحهم حتى تندمج في نظمهم وتحتمي بظلمهم وسلم تسليماً، وبعد هذه شعاعة درية أضاء بها نبراس نجابة الجيب القدير والفلكي الشهير النازل في منازل السعادة الواعص إلى مواصل أبناء الكرامة والسلطنة والسيادة حجة الحق واليقين نصرة الحكمة والغبطة والدين صفي الفلسفة خليل العالم والمعرفة (أبي الفتح عمر بن إبراهيم الخياط) عليه الرحمة والرضوان والإكرام كشف فيها الحجاب عن مسألة ضرورة التضاد وأن الحق هو ينبع الخير المطلق بالذات إلى غير ذلك من الغوامض التي أجلاها على منصة البحث والتحقيق وجاء بالقول الفصل الذي ليس هو بالهجر ولا بالهزل قال قدس الله نفسه وروح رمسه وصب عليه شأيب رحمته.

وبعد .. فإن مباحثته إباهي عن مسألة ضرورة التضاد رفعت من ذكري وعظمت من أمري واستوجبت لله تعالى خالص شكري إذ لم يخطر بيالي أن أسأل عن أمثلها خصوصاً على ذلك النمط مردفاً بذلك الشك القوي وهو أن ضرورة التضاد إن كانت ممكنة الوجود كان لها علة وتنهي إلى الواجب الوجود بذاته وإن كانت واجبة الوجود بذاتها كان في واجب الوجود بذاته كثرة، وقد قام البرهان على أن واجب الوجود بذاته واحد من جميع جهاته ثم إن كانت ممكنة كان سببها وموجدها هو الواجب الوجود الواحد وقد قطعتم بأن الشرور لا تقىض من عنده، فأقول في الجواب إن الأوصاف للموصفات على ضربين ضرب يقان له الذاتي وهو الذي لا يمكن أن

يتصور الموصوف إلا ويتصور له ذلك الوصف أولاً ويلزمه أن يكون للموصوف لا لعنة كالحيوانية للإنسان ويكون قبل الموصوف بالذات أعني أن يكون علة الموصوف لا معلوله كالحيوان للإنسان والناطق له، وبالجملة جميع أجزاء الحد للمحدود أوصاف ذاتية وهذه معان مفروغ عنها، وضرب يقال له العرضي وهو الذي يكون بخلاف ما تقدم من أنه يمكن أن يتصور الموصوف ولا يتصور حصول ذلك الوصف له ولا يكون ذلك الوصف علة للموصوف ولا قبله في المرتبة والطبع وهذا الضرب ينقسم قسمين فإنه إما أن يكون لازماً غير مفارق البتة كون الإنسان متفكراً أو متعجباً أو ضاحكاً بالقوة وإما أن يكون مفارقًا بالوهم لا بالوجود ككون الغراب أسود فإن السواد يفارق الغراب في الوهم لا في الوجود أو مفارقًا بالوهم والوجود جميعاً ككون الإنسان كاتباً أو فلاحاً، فهذه هي الأقسام الأولية للأوصاف ثم اللوازم التي تلزم الموجودات لا تخلو من وجهين في القسمة الأولية العقلية فإنها إما أن تكون لازمة لها بواسطة وعنة كلزوم الضاحك بالفعل للإنسان فإنه يلزمها بسبب لزوم التعجب له ثم إن كان لزوم التعجب بسبب آخر أيضاً فذلك السبب الآخر إما أن يكون لازماً وأما أن يكون مفارقًا ومحال أن يكون الوصف المفارق سبيلاً لوصف لازم فبقى أن يكون ذلك السبب الآخر لازماً أيضاً فإن كان لزوم ذلك السبب بسبب آخر عاد الكلام جذعاً فتكون هذه الأسباب إما متسلسلة إلى ما لا نهاية له والبرهان قائم على استحالته وإنما دائرة أي المسبب سبب لسيبه وهذا أظهر استحالته وإنما أن تكون في السببية منتهية إلى سبب لا سبب له فيكون ذلك السبب أي الوصف واجب الوجود لذلك الموصوف كالمتفكر للإنسان مثلاً وإذا تقدم هذا وبيان أن بعض الأوصاف واجب الوجود للموصوفات فلنرجع إلى مطلوبنا ونقول إن الوجود أمر اعتباري ينطلق على معنيين على سبيل التشكيك لا على سبيل

التواطؤ الصرف ولا على سبيل الاشتراك الصرف والفرق بين الأسامي الثلاثة ظاهر في أوائل المنطق وذاته المعنian هما الكون في الأعيان الذي اسم الوجود أحق به عند الجمهور، والثاني الوجود في النفس كالمتصورات الحسية والخيالية والوهمية والعقلية وهذا المعنى الثاني هو بعينه المعنى الأول إذ المعاني المدركة المتصورة من حيث هي مدركة متصورة موجودة في الأعيان إذ المدرك عين من الأعيان والموجود في عين من الأعيان موجود في الأعيان إلا أن الشيء الذي هو المدرك المتصور مثاله ورسمه ونقشه ربما يكون معدوماً في الأعيان كتعقلنا آدم فإن المعنى المعقول من آدم هو معنى موجود في النفس وفي الأعيان إذ النفس عين من الأعيان ولكن آدم الذي هذا المعنى الوجود في النفس مثاله ونقشه معدوم في الأعيان، فهذا هو الفرق بين الوجودين وتبيّن أن الفرق بينهما بالأحق والأولى والتقدم والتأخر الذي يسمى بالتشكّيك لا بالمعنى الذي سمي الاشتراك وهذه المسألة وإن كانت عميقه جداً وتحتاج إلى فضل تنقير فإنها لا تخفي على فلان وإذا قيل إن صفة الحيوان موجودة للإنسان أو كل مثلث فإن زواياه الثلاث متساوية للائمتين فإنما يعني بهذا الوجود لا الوجود في الأعيان بل الوجود في النفس وذلك أن التصور العقلي لا يمكنه أن يتصور الإنسان إلا ويتصور معه أنه حيوان إذ حصول معنى الحيوان لمعنى الإنسان أمر ضروري وكذلك الفردية للثلاثة لأن الثلاثة لا يمكن أن تعقل وتتصور إلا فرداً وكل ما لا يمكن أن يتصور ويعقل إلا بصفة من الصفات فإن تلك الصفة تكون واجبة له أي تكون له لا بعلة فتكون واجبة الوجود له، فالفردية واجبة الوجود للثلاثة، والحيوانية واجبة الوجود للإنسان وكذلك جميع الأوصاف الذاتية الواجبة الوجود للموصفات، منها ما يكون واجب الوجود للشيء بسبب تقدم وصف آخر واجب الوجود له، ومنها ما يكون واجب الوجود للشيء لا

بسبب تقدم وصف آخر له، وكذلك جميع اللوازم تكون واجبة الوجود للملزوم، منها ما هو بسبب لازم آخر متقدم، ومنها ما هو بلا سبب شيء إلا ذات الملزوم والبرهان ما قدمناه آنفًا ثم الفردية للثلاثة وإن كانت صفة لازمة واجبة الوجود لها لا يجب أن تكون في نفسها موجودة في الأعيان فضلاً عن أن تكون واجبة الوجود في الأعيان أو ممكنة الوجود للشيء فإن الحاصل له شيء والموجود الحاصل في الأعيان شيء آخر فإن الأوصاف المعدومة في الأعيان ربما تكون موجودة في النفس والعقل لموصفات معدومة في الأعيان ولا يجوز أن يقال إنها موجودة في الأعيان كقول من يقول إن الخلاء بعده مفظور ممتد يسعه الأجسام وتخرقه وتحرك فيه من موضع إلى موضع فإن هذه الأوصاف موجودة في العقل للخلاء الموجود المتصور في العقل المعدوم في الأعيان فوجود الأوصاف للموصفات إنما هو بالقصد الأول في النفس والعقل لا الحصول، والكون في الأعيان وإذا قيل إن الصفة الفلانية واجبة الوجود لكتاب وإنما يراد به الوجود في العقل والنفس لا في الأعيان، وكذلك إذا قيل إنها ممكنة الوجود فإنما يعني به الوجود في النفس والعقل وقد علمت الفرق بينهما على أي صفة يكون فالوجود في الأعيان هو غير وجود شيء لشيء غيرية التشكيك على ما حققناه، ثم البرهان قام على أن واجب الوجود في الأعيان وقد علمت أن الوجود في النفس هو أيضًا وجود في الأعيان بوجه ما من وجوه التشكيك فهو جل جلاله سبب لجميع الأشياء الموجودة، ثم الإعدام وعللها ظاهرة عند فلان (هو السائل) لا أريد أن أطول بها الكلام فقد بان من هذا أنه إذا قيل إن الفردية واجبة للثلاثة فإنما يعني به أنها للثلاثة لا بسبب مسبب ولا يجعل جاعل، وكذلك جميع الذاتيات واللوازم وقد يمكن أن يكون ذاتي سبيلاً لذاتي آخر، وأن يكون لازماً أيضاً سبيلاً لازم آخر إلا أنه يوشك أن يتنهى إلى

ذاتي أو لازم لا سبب لهما فيكون ذلك الذاتي سبباً بوجه من الوجوه وإن هذا الحكم لا يلزم القضية القائلة بأن واجب الوجود بذاته واحد من جميع جهاته إذ الوجود هناك الكون في الأعيان وواجب الوجود في الأعيان واحد كما قد بيّناه في موضع آخر وهذا الوجود هو الحصول للشيء من غير التفات إلى وجوده في الأعيان أو في النفس، وبالجملة فإن جميع الموجودات في الأعيان ممكنة لا غير سوى وجوب الوجود الواحد وتحليل المسألة على الوجه الكلي هو أن الموجودات الممكنة فاضت من الوجود المقدس على ترتيب ونظام ثم من الموجودات ما كان متضاداً بالضرورة لا يجعل جاعل وإذا وجد ذلك الموجود وجد التضاد بالضرورة وإذا وجد التضاد بالضرورة وجد العدم بالضرورة، وإذا وجد العدم وجد الشر بالضرورة، وأما من قال إن واجب الوجود أوجد السواد أو الحرارة حتى وجد التضاد لأن (أ) إذا كانت (علة لـ بـ و بـ) علة (لحـ) فيكون (أ) علة (لحـ) فإنه قال صواباً حقاً لا بمحاجة فيه لكن الكلام في هذا الموضع ينساق إلى غرض وهو أن واجب الوجود أوجد السواد فوجد التضاد بالضرورة فيكون واجب الوجود قد أوجد التضاد في الأعيان بالعرض لا بالذات هذا لا شك فيه إلا أنه لم يجعل السواد مضاداً للبياض وإنما أوجد السواد لا لمضادته للبياض بل لكونه ماهية ممكنة الوجود وكل ماهية ممكنة الوجود فإن واجب الوجود يوجبها لأن نفس الوجود خير لكن السواد ماهية لا يمكن إلا أن تكون مضادة لشيء آخر فكل من أوجد السواد لأجل كونه ممكناً الوجود فهو الذي أوجد التضاد بالعرض ولا يكون الشر منسوباً إلى موجود السواد بوجه من الوجوه إذ القصد الأول (وجل عن القصد) بل العناية السرمدية الحقة توجهت نحو الخير إلا أن هذا النوع من الخير لا يمكن أن يكون مبرئاً حالياً عن الشر والعدم فليس الشر منسوباً إليه إلا بالعرض، وليس الكلام هنا فيما بالعرض

بل فيما بالذات وإنني أوصي كل من أعرفه من الحكماء بتقدیس ذلك الجناب عن الظلم والشر وھنَا من التفصیل والتحصیل مالاً تفهمه العبارۃ ولا یقدر المخبر عن الإخبار به لقصور البیان عنه والخدس المصیب ینال من ذلك الروح ما تقنع به النفس الكاملة وتذوق به اللذة العقلية القصوى وھنَا سؤال آخر رکیک جداً عند معنی النظر في باب الإلهیات وهو أنه لم أوجد أمرًا كان یعلم أنه یلزمہ العدم والشر فيكون الجواب عنه إن السواد مثلاً فيه ألف خیر وشر واحد والإمساك عن إیراد ألف خیر لأجل لزوم شر واحد إیاه شر عظیم على أن النسبة بين خیر السواد وشره أعظم من نسبة ألف ألف إلى واحد، وإذا كان هذا هكذا فقد بان أن الشرور موجودة في مخلوقات الله بالعرض لا بالذات، وبان أن الشر في الحکمة الأولى قلیل جداً لا نسبة له في الكمية والکیفیة إلى الخیر وأما سؤاله عن أي الفریقین أقرب الصواب فلعل الجبری أقرب الحق في بادئ الرأی وظاهر النظر من غير أن يتلجلج في هذیانه ويتغلغل في خرافاته، فإنه حينئذ یبعد عن الحق جداً هذا وأما الكلام الجاری في البقاء والباقي فإنه أمر قد شغف به جماعة من الأغبیاء حيث لم یعقلوا ولم یتفطنوا للحق إذ البقاء ليس هو إلا إنصاف الموجود بالوجود مدة ما فكان الوجود غير ملتفت فيه إلى المدة، والبقاء وجود يتضمن معنی المدة فالوجود معنی أعم من البقاء فليس الفرق بين الوجود والبقاء إلا بالعموم والخصوص، ثم العجب أن قائل هذا القول اعترف بأن الوجود والموجود هما معنی واحد في الأعيان وإن كانوا مفترقین في النفس، فلما بلغ إلى البقاء ضلّ، وأما الكلام الجدلی المُلجمي إیاهم إلى ارتکاب الحالات الأولى فهو هذا یسألون هل هنَا شيء موصوف بالبقاء فإن أجابوا بلا قيل لهم إذن ليس هنا باق فما الذي یوجد الموجودات ويستبقيها على زعمکم بالتعاقب والإیجاد في الآنات المتواترة على أن البرهان قام على

بطلان الآنات المتواالية ولكن سلمنا قولكم مسامحة فإن أجابوا بأن هذا الموجد بالتعاقب غير باق يلزمهم أشد الحالات استحاله وأقبحها وأظنهم يتحاشون عن هذا، وإن أجابوا بأن هنا شيئاً باقياً سئلوا وقيل لهم إن ذلك الباقي يكون باقياً ببقاء زائد على ذاته فذلك البقاء لا يخلو إما أن يكون باقياً وإما أن لا يكون باقياً فإن كان باقياً ببقاء وذلك البقاء بقاء آخر ويسلسل وهذا محال وإن لم يكن ذلك البقاء باقياً فكيف يكون الباقي باقياً وبقاوه الذي هو به باق غير باق لهذا محال، اللهم إلا أن يرتكعوا فيقولوا الباقي باق بقاء متصلة متشفعة في آنات متواالية فحينئذ يطالبون بشرح هذا الكلام ويقال لهم ما معنى هذه البقاءات المتواالية إن كانت معانى بها يكون الباقي باقياً، فتلك المعانى ينبغي أن تبقى مع الباقي مدة يمكن أن يوصف الباقي فيها بأنه باق وإن فلا معنى للبقاء والباقي وإن كانت وجودات متشفعة فقد بان أن الوجود والبقاء هما معنى واحد، وأن البقاء ليس هو إلا استمرار الوجود أو اتصف الموجد بالوجود ملتفتاً فيه إلى المدة إذ الوجود المطلق يجوز أن يكون في آن من الزمان ولا يجوز أن يكون البقاء إلا في مدة فهذا هو سمت الجدال معهم وقمعهم، والحق عندي أن لا يلاح من يكون عقله بحيث يخفي عليه هذا القدر من المعقولات، فهذا هو الذي سنجلي في الحال والله أعلم بكل المقال تمت هذه الرسالة بعناية من قطب فلك العدالة.

## الرسالة الرابعة عشرة

### في الضياء المقلّة في موضوع العلم الكلم

#### وتحقيق جملة من مباحثه وأحكامه

ويتنظم في قلادة هذا المختصر عدة من المباحث الشريفة كمسألة بداهة تصور الوجود، وأنه أصل جميع التصويرات ومنظرة الشيئية له في ذلك ومساوقتها إياه، واستحالة اكتسابه بالطريق النظري، وتعيينه لموضوعية العلم الأعلى، ومسألة كونه عين الموجود مع البرهنة الجمة على ذلك ومسألة زيادته على الماهية، ومسألة عسر التعقل الصريح وهو من تدبيج يراع صفي الأدب والعرفان، وفحل الحكمة والإيقان الصاعد إلى منازل السعداء، والواصل مواصل النجباء أبي الفتح عمر بن إبراهيم الخيام أعلى الله درجته في دار السلام، وأسكنه في عليين، وأولاده أسمى فراديس اليقين آمين.

الحمد لله الذي أوضح براهين وحدته بإبداع نظام الوجود، وإنشاء حقيقة كل موجود وإيجاد الجوادر الزواهر، واحتراع الأجرام الدوائر، فنطقت الموجودات بأيات وجوب وجوده، وغرقت المخلوقات في أوقيانوس فضله وجوده، وتلألأته في ظلم الليالي أنوار حكمته الباهرة، واستنار على صفحات الأكونات آثار سلطنته القاهرة، نحمده على ما أولانا من جميل الآلاء، ونشكره بما أوصلنا إلى معرفته التي هي أجل النعماء، فله أسمى حمد وأكرم مجد ولا يحصى له الثناء، ونسأله أن يفيض علينا من زلال هدایته ويوقفنا للعروج إلى معارج عنایته، ونصلى على سيد الرسل والأنبياء من لا يتصور له مثيل في الحسن والبهاء، محمد وعلى آله وخاصته الذين نمت بهم شجرة اليقين غاية النماء وبعد فهذه أشعة عرشية وأضواء حكمية أضافتها قريحة الأديب الخطير والفلكي الكبير الشهير الحكيم السعيد والسيد الفاضل المجيد، حجة الحق واليقين، نصير الحكمة والدين فيلسوف

العالمين سيد حكماء المشرقيين أبي الفتح (عمر بن إبراهيم الخيام) قدس الله نفسه وروح رمسيه في موضوع العلم الأعلى والحكمة الأولى وتحقيق مباحثه وتهذيب مسائله نفع الله بها كل من توجه بقلب راغب في الحق إلى الحق وأفاد بعوائدها المخلصين في سلوك سبل الصدق، قال أغدق المولى الكريم عليه غمام مكرمه وأغرقه في بحار مرحمته.

إن الموجود الذي هو موضوع الفلسفة الأولى أعني العلم الكلي الذي تحته جميع العلوم ظاهر التصور لا يحتاج في تصوره إلى تصور أمر آخر يسبقه لأنه أعم الأشياء وهو وما أشبهه مبدأ لتصورات جميع الأشياء والشيء أيضاً ظاهر التصور ويلزمه الوجود في النفس فإن المعدوم في الأعيان إذا حكم عليه بأمر ما وجودي لا يمكن إلا أن يكون موجوداً على ما علمت تفصيله وجوده ليس في الأعيان فباضطرار يلزم أن يكون موجوداً في النفس فالشيء يلزم الوجود فلا موجود أحد الوجودين إلا ويلزمه أن يكون شيئاً ولا شيء إلا ويلزمه أحد الوجودين فالشيئية من لوازم حقائق الأشياء وإياك أن تحاول تصوير الشيء أو الموجود، فإنك إن فعلته وقعت في الدور لا محالة والموجود والشيء وإن كانا عاميين فإن الموجود أولى بأن يكون موضوع العلم الكلي لأنه أظهر تصوراً ووجودية الشيء وجوده شيء واحد كالمضاف والإضافة لأن الوجود لو كان شيئاً زائداً على ذات الموجود لكان يلزم الوجود إما في الأعيان وإما في النفس ولو كان وجود الموجود موجوداً في الأعيان لكان موجوداً بوجود «إذ حكم أن كل موجود يحتاج إلى وجود» وتسلسل وكذلك لو كان الوجود شيئاً زائداً على ذات الموجود (ولا شك أن الوجود عرض كيما كان سواء فرضته موجوداً في الأعيان أو في النفس) لكان سبيلاً لوجودية الجوهر لأن الجوهر إنما يصير موجوداً بوجوده وما لم يوجد وجوده لم يمكن أن يوجد هو فيلزم أن يكون العرض سبيلاً لوجود الجوهر لكن من الثابت أن كل عرض فسبب وجوده

الجوهر لأن حقيقة العرض تدل على ذلك ويصير البيان دورياً، وكذلك لو كان الوجود شيئاً زائداً على ذات الموجود به يصير الموجود موجوداً لكان وجود الباري أيضاً شيئاً زائداً على ذاته أعني هذا الوجود الذي يقابل العدم الذي فيه كلامنا ههنا فلم تكن ذات الباري تعالى واحدة بل كانت متكررة وهذا محال، وإما أن يكون شيئاً اعتبارياً موجوداً في النفس، فيجب أن تتحقق أن لكل شيء حقيقة ما بها ينحصر ويتميز عن غيره وهذا الحكم أولى لا يخالف فيه عقل فإذا عقل تلك الحقيقة عقل أعني حصل أثر من تلك الحقيقة في عقل ما ثم نسب ذلك العقل تلك الحقيقة والماهية إلى الصورة الحاصلة الموجودة في الأعيان فيكون الكون في الأعيان أمراً زائداً على ذات تلك الماهية والحقيقة ولا يكون شيئاً زائداً على ذات الموجود أنه الموجود في الأعيان ليس تلك الماهية فإن تلك الماهية لا يمكن أن توجد بعينها في الأعيان إذ العقل ليس له أن يحكم على شيء إلا إذا عقله مجرداً عن العوارض الشخصية ولا يمكن أن يوجد هذا المجرد من حيث هو كذلك في الخارج ثم إذ كان الأمر على هذه الصفة وكان يظن بعض ضعفاء الظن أن الماهية المعقولة بعينها صارت موجودة في الأعيان رسخ في قلبه أن الوجود والموجود هما شيئاً كائنان في الأعيان ولم يتفطن لهذه الحالات، ومن الحالات الالزامة لهذا الحكم وهو أن الوجود شيء زائد على ذات الموجود إنه يلزم أن يكون الموجود في النفس موجوداً بوجود ذلك الوجود يكون موجوداً في النفس بوجود آخر ويتسلسل إلى ما لا نهاية له، ومن الحجج الجدلية في هذا المبحث للمذهب الحق أن يقال للخصم إن هذا الوجود الزائد على ذات الموجود هل هو موجود في الأعيان أو ليس بموجود في الأعيان فإن قال إنه ليس بموجود في الأعيان فقد حق الخبر بعض المذهب ثم يسأل فيقال له هذا الوجود الزائد على ذات الموجود الذي سلمت أنه ليس بموجود في الأعيان هل هو موجود في النفس أو ليس بموجود في النفس

فإن قال إنه موجود في النفس فقد حق الخبر كله وإن قال إنه ليس بموجود في النفس وكان من قبل يقول إنه ليس بموجود في الأعيان فيكون حينئذ هو المعدوم المطلق والمعدوم المطلق لا يكون عنه خبر ولا يكون عليه حكم والضرورة تشهد ببطلان هذا الحكم فقد صح وتبين أن الوجود هو صفة زائدة على ذات الماهية المعقولة موجودة في النفس غير موجودة في الأعيان يعني أن وجود الموجود في الأعيان هو بعينه ذاته ولا معنى لوجوده الزائد عليه إلا بعد أن عقل وإنما اعتبر العقل فيه هذه الصفة بعد أن عقله وصيরه ماهية معقولة ومن الشكوك القوية على هذا الرأي الحق وهو موضع بحث عظيم للجدلي هو أنه إذا سئلنا هل الوجود المطلق ماهية معقولة أم ليس ب Maher معاقة فإن قلنا ليس ب Maher معاقة كان القول محالاً لأنه لو لم يكن Maher معاقة موجودة في النفس لكان محالاً قولنا أن الوجود في الأعيان شيء زائد على ذات الماهية وإن قلنا إنه Maher معاقة معقولة وقد حكمنا بأن الماهية المعقولة تحتاج إلى وجود زائد عليها فتكون Maher الوجود محتاجة إلى وجود آخر معقول حتى يكون موجوداً في النفس، والجواب عنه أن Maher المعقولة تحتاج إلى وجود معقول حتى يكون أمراً موجوداً في الأعيان لا في النفس لأنك إذا قلت أن Maher الموجدة في النفس محتاجة إلى وجود حتى تكون موجودة في النفس فقد صادرت على المطلوب الأول حيث قلت إن الموجود يحتاج إلى وجود، وأما كلام من يقول إذا كان وجود زيد غير موجود في الأعيان فكيف يكون زيد موجوداً فكلام مموه مزخرف سوفسطائي ويتفطن لاستحالته من وجهين، أحدهما: قوله إذا كان وجود زيد غير موجود فكيف يكون زيد موجوداً هذا يلزم إذا قيل إن الموجود موجود بوجود وهو مصادرة من المغالط على المطلوب الأول، والثاني: من الوجهين إن وجود زيد المعقول هو أمر معقول موجود في النفس فكان المغالط لا يفرق بين الوجودين الوجود في الأعيان والوجود في النفس، فإن

قال إننا نعتبر زيداً الجزئي المحسوس المعقول حتى يكون وجوده شيئاً زائداً على ماهيته في النفس أجينا بأن نقول أن حمل المحمول الكلي على الموضوعات لا يمكن إلا بعد أن تكون معقولة والوجود حكم كلي لا يمكن حمله على موضوع إلا بعد أن يعقل سواء فرضه العقل عند تعقله إياه واحداً لا تكثر فيه كالباري أو لم يفرضه كذلك وإنما ظن من ظن هذا بجهله بأن المعقول الصرف لا يكون لنا ولا يمكن بل إنما تكون مقولاتنا مشوبة بالتخيل والتخيل لا يدرك إلا الجزئي فربما تخيلنا شيئاً وعمل العقل فيه عمله أعني تجريده عن العوارض المشخصة ولا تفطن النفس لذلك بل تظن أنه جزئي لاختلاط ذلك المعقول بالتخيل أو تصاقب بعضها من بعض أو أكثر ما تعرض هذه الحالة عند فرض العقل المعقول شيئاً واحداً فمن إضافة الوحدة إلى ذلك المعقول ومخالطته للتخيل يظن أنه جزئي، فقد تبين وصح أن الموجود في الأعيان وجوده شيء واحد، وإنما يحصل هذا التكثير عند كونه معمولاً وصيروته ماهية معقولة مضافاً إليها ذلك المعنى المعقول المسمى وجوداً، ونعم ما قال فاضل المتأخرین روح رمسه وقدس نفسه في بعض مباحثاته، لعل الوجود الذي هو ماهية الحق الأول هو الواجبية، وإنما قال ذلك لأن الواجبية المطلقة لا شرکة فيها بوجه من الوجه، ثم قال إن الوجود الذي هو مقابل عدم المقول على جميع الأشياء هو من لوازم تلك الماهية، فلو كان ذلك المعنى أمراً على حدة لتكثر به ذات الباري جل جلاله وتعالى عما يقول الطالمون علواً كبيراً، وعند هذا الموقف عديد مباحثات عميقة وتحصيات كثيرة وتحقيق جمة، ومن أخذت الفطانة بيده وصحبه توفيق من الله تعالى صادف في التوحيد هنا ما يسكن إليه العقل نسأل الله التوفيق للوصول إلى الكمال والحمد لله في كل حال، تم هذا المقال الذي هو كالسحر الحلال أو كالماء العذب الزلال.

## الرسالة الخامسة عشرة

### في إثبات الصانع القدير للحكيم زين الدين

الرسالة الخامسة عشرة في إثبات الصانع القدير للحكيم الجليل والأستاذ النبيل زين الدين علم الحق واليقين الإمام صدقة بن علي روح الله رمسه.

حمدًا لولي النعم، رب الجود والفضل والكرم، جزيل العطاء جميل الطول جليل العظم مفيض الوجود على كل موجود، مربى الأمم، وصلى الله على من أُتي جوامع الكلم، وبعث لتميم عقائل الحكم، محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد .. فهذه صحفة حكمية وفكرة علوية دبع فيها البحاثة الكامل والنحرير الفاضل زين الدين وفخر المتألهين ذي الفضل الجلي صدقة ابن علي نبذة من كلمات الأمثال الأماجد في البرهنة على من لا تحصى براهين وجوده ولا تستقصى أعماله بينماه إذ الكون برمته صحفة من صحف إثباته بل حرف من حروف كتب آياته والفضلاء والعرفاء وإن رأوه سبحانه غنياً عن الإثبات متعالياً عن الحاجة إلى الشواهد والبيانات لكنهم راما إرشاد الضعفاء العاجزين عن تسنم منقبة العيان بضرورب من الدليل والبيان وفنون من الإبلاغ والتبيان أو دعواها الإشارة إلى صريح الحق الناصع وذات الواجب الأبلغ الساطع وإن فيما ألقوه وأملوه لذكرى لمن له قلب فهيم، وجدوى لكل ذي لب غواص حكيم قال قدس الله سره وأجزل أجره.

كل جملة مرتبة من علل ومعلولات فلا بد أن تنتهي إلى طرف هو علة وليس بعامل لأن تلك الجملة إما أن تكون متناهية أو غير متناهية والقسم الأخير قد أبطل في الطبيعيات حيث ذكر فيها أن كل مقدار أو عدد ذي ترتيب بالطبع أو بالوضع موجود معًا فلا بد أن يكون متناهياً ويستحيل أن

يكون غير متنه ببراهين جمة أشهرها ما يدعى ببرهان التطبيق وهو أن نفصل من الطرف الذي يلينا للمقدار الغير المتناهي جزءاً فيصير لدينا مقداران، أحدهما: ما كان قبل الفصل، والآخر: ما صار بعد الفصل ونأخذ في تطبيق أحدهما بالآخر بأن نلاحظ شيئاً من هذا بإزاء شيء من ذلك ونستمر فاما أن لا يتناهيا جميعاً فيلزم مساواة الناقص للزائد وهو محال وإما أن يتناهيا أحدهما فقط والأخر بالتناهي هو الناقص فيلزم انتهاء الآخر الزائد لأنه إنما يزيد على الناقص بمقدار متنه ولا شك أن ما زاد على المتناهي بمقدار متنه فهو متنه وهكذا يقال في العدد اللامتناهي وعلى هذا فيمكن أن يصاغ من ذلك قياس من الشكل الأول قائل العلل والمعلولات أعداداً مترتبة موجودة معًا والأعداد المترتبة الموجودة معًا متناهية فيتتج أن العلل والمعلولات متناهية وأما إذا كانت متناهية فلابد أن تنتهي إلى طرف هو علة ولا علة له لأنها إما أن تكون بجملتها مركبة من علل لا معلول فيها أو من معلولات لا علة فيها وكل القسمين باطلان بداهة وإنما أن تكون مركبة من علل ومعلولات وهذا قسمان لأنه إما أن تكون الأوساط علا من وجهه ومعلولات من وجه آخر وأحد الطرفين علة ليس بمعقول والآخر معلول ليس بعلة وإنما أن يكون الأمر في الجملة على العكس من هذا أعني أن تكون الأوساط علا مطلقة أو معلولات مطلقة والطرفان كل واحد منها علة من وجهه ومعلول من وجهه وهذا القسم الثاني ظاهر الإحالة إذ معنى الطرف هنا ما لا يتعلق بغيره إلا من جانب واحد فلا تعلق له بشئين فلابد أن يكون أحدهما علة فقط والآخر معلول فقط فظاهر أن الحق هو القسم الأول من هذين القسمين الآخرين وهو أن الوسائل علل معلولات وأحد الطرفين معلول ليس بعلة والآخر علة ليس بمعقول فكل جملة مرتبة من علل ومعلولات فلابد أن تنتهي إلى طرف لا علة له وهو علة كل ما سواه

وموجده ومبدعه ومخترعه جل مجد وتعالى جده.

### طريق آخر

فإن قيل إن هذه الجملة لا تنتهي إلى طرف فتنفسخ هذه الأقسام التي ذكرتها كان الجواب عنه من وجهين، أحدهما: أنه إذا لم تنته الجملة إلى طرف لرم التسلسل أو الدور المستحيلان والآخر أنه إن لم يكن لهذه الجملة طرف لم يصلح واحد من آحاد الجملة لعلية ولا لمعولية لأنها بأسرها ممكنة ولا مزية لأحد الممكنتات على الآخر من حيث إن كليهما ممكناً بخلاف ما إذا كانت ذات طرف إذ يكون ما هو أقرب إلى الطرف مستحقاً لفضيلة التقدم على ما هو أبعد منه فيكون علة له وإذا لم يكن لها طرف خارج عن الممكنتات واجب الوجود بذاته متقدم فلا يكون للممكنتات نسبة قرب ولا بعد ولم يتميز من تلك الجملة شيء هو علة وشيء هو معلم.

### طريق آخر

العلل والمعلولات كثرة وكل كثرة فالواحد موجود فيها لأن كل كثرة لا يوجد فيها الواحد لا تنتهي أبداً بيانه أن كل واحد من أجزاء الكثير لا يخلو إما أن يكون واحداً فإن لم يكن واحداً لم يدخل إما أن يكون كثيراً أو لا شيئاً فإن كان لا شيء لزم أن لا يجتمع منها كثرة وإن كان كثيراً كان الكلام باقياً لأننا نفرض في هذا الكثير ما فرضناه في الكثير الأول فإما أن يعتمد إلى غير نهاية فيكون هذا الكثير غير متناه وهو جزء من الكثير الأول فيمكن أن يكون ما لا ينتهي من الأعداد المرتبة الموجودة معًا جزءاً مما لا ينتهي أو يكون لا فرق بين هذا وبين الكثير الأول فيكون لا فرق بين الجزء والكل وكلاهما باطلان فحصل من هذا القول أن الواحد موجود في الكثرة لكن لا شيء من المعلولات من جملة هذه الكثرة بوحد إذ كل معلم فيه تركيب من وجه فهو واحد من وجه لا واحد من وجه وإذا لم يكن في

المعلومات واحد ولا بد من أن يكون في تلك الكثرة واحد فيكون الواحد في الكثرة وليس في المعلومات فذلك الواحد هو العلة وهو الواحد الحق الذي يفيد سائر الأشياء الواحدية وهذا برهان من كلام أرسطو أراد أن يتخذه حجة مفيدة لإثبات الصانع القديم جل ذكره ولوحدانيته جميعاً، أما البراهين الآخر التي تؤثر عن الأوائل فأكثرها على الإثبات المحسن وعلى الوحدة ببراهين خاصة فهذا خاصية هذا البرهان والله أعلم.

## الرسالة السادسة عشرة

**فِي طَفْوَةِ الْكَلَامِ عَلَى طَفْفَةِ الْعِلْمِ إِلَهُكُمْ**

لسلطان النظار والمتكلمين واسطة عقد أبناء الإرشاد والتلقين الأستاذ صدقة بن علي سقى الله تعالى شريف تربته غوث رحمته آمين.

سبحان من امتنع في علاء كبرباء ذاته عن صعود طيور الأفكار والأوهام، وتعالى في عزة هويته عن ارتقاء نسور الأنظار والأحلام، جل عن الذكر والتوصيف، وعز واعتصم عن الشرح والتعريف، علم ذاته بذاته، ثم علم بحقائق الأشياء من عين ذلك العلم فظهرت الواحدية بعد الأحادية وثبتت الأعيان والأسماء كامنة في الحضرة العلمية، ثم سالت تلك الثوابت مولاها أن يظهر كمالاتها ويبرز وجوداتها، فأجاهها إلى البغية ومنحها تلك المنية، وانبسط الفيض على القوابل وامتد ظل التكوين على الهياكل والصلوة والتسليم المقرونان بالتأيد والتكريم على خير الورى، وسيد من وطئ الشرى بلا شك ولا امتراء، وعلى آله وأصحابه ما تغنت ب مدحه الأكون وتهيجت بعاظر ذكره الأشجان، وبعد فهذه تبصرة وجيزة هي أنموذج من تحقيق القول في مسألة العلم التي هي من أعوص المسائل وأعقد المشاكل أفادها الإمام الهمام علامة زمانه وفهمه عصره وأوانه زين الدين الإمام صدقة بن علي تغمده الله بسابع رحمته وأسكنه أعلى طباق جنته، قال وأجاد اعلم أن المعلوم ليس هو الصورة الموجودة في الخارج وجوداً عينياً لأنه لو كان كذلك في علمه لكان كل موجود وجوداً عينياً معلوماً لنا وهذا التالي محال ولكن لا نعلم المعدوم وهذا أيضاً محال، والدليل على إحالة ذلك أنا نحكم على أشياء حكمأً تصدقلياً كالخلاء مثلاً فإننا نحكم أنه غير موجود، ولو لم يكن الخلاء متصوراً لنا لم نحكم عليه بشيء أثبته وأيضاً لو كان المعدوم لا يتصور لما كان الكذب واقعاً في الأقوال لأن قولنا هذا الكلام كذب معناه

أنه ليس له في الوجود الخارجي مطابق فلو كان كل متصور في الذهن معتبر عنه بعبارة أمراً موجوداً في الأعيان لما كان لقولنا هذا الكلام كذب معنى بل كانت الأقوال كلها صادقة إذ لها مطابق في الوجود الخارجي، فقد تبين بياناً واضحاً أن المعلوم ليس هو الموجود في الأعيان بل هذا معلوم بالعرض وهكذا القول في المحسوس، ولا هو أيضاً أثر يحصل من حصول المعلوم في الأذهان بل هو نفس حصوله في الأذهان، والدليل عليه أنه لو كان أثراً يحصل منه لم يخل الأمر إما أن يكون لهذا الأثر حصول بنفسه أو لا فإن لم يكن له حصول في الذهن لم يكن له وجود فيه فإنه لا فرق بين الحصول والوجود وإذا كان كذلك لم يحصل العلم أبداً بل الذهن كما كان قبل الحصول صورة المعلوم إذ قلنا ليس للأثر الحادث منه حصول في الذهن وإن كان للأثر حصول فيه فأي فرق بين الحصول الأول والثاني فإن لم يكن العلم هو حصول الصورة الأولى بل أثر يحصل منه وهذا الأثر أيضاً حصول فيجب أن لا يكون العلم هو نفس حصول الصورة الثانية كما لم يكن هو نفس حصول الصورة الأولى بل هو أثر يحصل من حصول الصورة الثانية ويتسلل فبقى أن العلم هو حصول الصورة المعلومة وهو مثال مطابق للأمر الموجود وراء الذهن وهذا أمر مطرد في العلم القديم والعلوم الحادثة، ثم اعلم أن العلم ينقسم قسمين أحدهما ما هو حادث من وجود الشيء الخارج مثل علمنا بوجود البناء بعد حدوثه، والثاني: ما هو متقدم على وجود الشيء مثل علم الباقي بالبناء قبل وجود البناء وعلم الباقي تعالى من قبيل القسم الثاني لأنه متقدم على وجود المعلومات وقد قلنا إن العلم هو نفس مثل المعلومات وصورها لا أثر يحصل منها وإذا كان كذلك فصور المعلومات حاصلة عنده قبل أن أبدعها وأوجدها إذ لما ثبت تقدمه على المعلومات ولم يكن هو نفس الموجودات الخارجية إذ بينما أن المعلوم ليس الموجود وجوداً عيناً ولم

يجز أن يكون في موضوع آخر مفارق للموجودات الخارجة ولذات الباري عز اسمه لأنه يحتاج إلى سبب لكونه في ذات ذلك الشيء وإن كان السبب ذات الباري تعالى كان ذلك سبب الذي هو صور تلك الموجودات قبل كونها في ذلك الموضوع موجوداً إذ قلنا إن مثل ذلك العلم متقدم على ذات الموجودات الخارجة وكما احتاجت الموجودات الخارجة إلى علم متقدم عليها فكذلك احتاج كون معلوميتها في ذات خارجة عن ذات الباري عز اسمه إلى علم متقدم عليه أيضاً فإن كان ذلك العلم المتقدم عليه في موضوع مفارق أيضاً لذات الباري تعالى كان الكلام باقياً وهكذا إلى غير النهاية فيكون الكلام فيه كالكلام في الأول ويتسلسل الأمر، ويلزم التسلسل من وجه آخر وهو أن العلم المتقدم على كون هذه الصورة في موضوع هو وجود تلك الصورة فيلزم أن يكون علم فعلم أو وجد فوجد وهذا محال لأنه يؤدي إلى أن لا يكون شيء معلوم أبنته وإنما أن تكون صور تلك الأشياء أجزاء للذات وهذا يؤدي إلى تكثير في الذات تعالى الأحد الحق عن ذلك فلم يبق من الأقسام إلا أن تكون الصور لوازم الذات إذ لما ثبت وجود تلك الصور وتقدمها وثبت أنها غير الموجودات الخارجية وغير موجود في موضوع آخر وبطل أن تكون موجودة مفارقة للموجودات الخارجية والموضوع الآخر ولذات الباري عز اسمه فتكون في صنع من الربوبية إذ هذا المعنى هو المعنى بالمثل الأفلاطونية المزيفة في محلها، وهب أنها ليست عين الذات للأحد الحق تعالى عن ذلك بل هي غيره فبقى أنها لازم الذات إذ بطلسائر الأقسام بعد أن لم يبق في التقسيمات العقلية شيء إلا وهو محصور هنا فلابد من تعين هذا الباقى، وإن لم تدرك أنت حقيقة هذا الشيء فلا بأس لأن خطو العلم أضيق من أن يكون له إلى مثل ذلك الجناب العالى مطعم نظر لا سيما في دار الغربية، فلا تستحسن من نفسك شيئاً عجز عنده الملائكة

المقربون والأنبياء المرسلون بل جاحد وفکر في خلواتك، وفرغ زوايا قلبك  
عما سواه ليحدث لك في أثناء الخلوات وتوطين النفس على المواجهات  
أنموذج من علوم الأنبياء والملائكة وتتخلص من ظلمات العلوم المدونة في  
بطون الصحف المستخرجة بالأفكار النظرية وينكشف لك حينئذ معنى قوله  
عليه السلام «إن الله في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها» اللهم أنت  
المرجوع إليه والمعلول عليه في تيسير هذا الأمر العظيم والإنزال في هذا  
المنزل المبارك الكبير وإيواء الغافلين من عبادك إلى محل الشوق إلى مثل ذلك  
العالم والمستيقين منهم إلى مرتبة العشق إنك أنت الرحيم الرؤوف الكبير،  
وصلى الله على جميع الأنبياء والأولياء خصوصاً على محمد وآلـه الطيبين.

## الرسالة السابعة عشرة

### آيات الصنعة في الكشف عن مطالب الهوية سبعة

أصله وجله للفيلسوف الراقي أشرف مرقى أفضل الدين الملقب بالموقي والباقي من ترصيع بعض أعلام الزمان قدس الله أسرارهما هذه إفاده وجيزة، ممنون بها على من فاز بالتركية مضنوون بها على من ذل في التدسيه وقعت عليها لوحيد ذوي الهمم العلوية ويتيم أولى النفوس الأبية، الذي أصبح بفضل الإخلاص من الجهالة منقى الإمام الهمام أفضل الدين الموقى فهالني مغزاها، وأعجبت بمعناها وفحواها، بيد أنني رأيتها لطيفة الجرم على علو كعبها في العلم لذا تاقت نفسي المغمرة بالمعرفة والصفا الشيقه لمرتبة الفتوة والوفا إلى ضم كلمة أخرى إليها وتوسيع ما بين حاشيتي هلاليها، فيرتفع صوتان من قلب واحد وعظم الفوائد والعوائد، ويصبح ذلك أدعي إلى قبول أخوة الشهامة وعشاق دار الكرامة والله يدعوك إلى دار الوحدة والامتزاج ويهدي من يشاء إلى مقاعد العز والابتهاج فجاءت بذلك سباعية الكمية عظيمة القدر والأهمية ولما امتلاك مكيال قلبي من نور سرورها واتحدت روحي بعرائس حورها هتف بي هاتف الإقبال والقبول الوارد عند هبوب نسمات الوصول أن سماها (آيات الإبداع في الصنعة) لتنطبق ديباجة عنوان الطلعة على أرواح مطالبتها السبعة وتكميل نغمات محاسن هاتيكم السجعة ومن ملكي الهدى حسن التوفيق والإسعاد في عالمي النشأة والرجعة قال ذلك السلطان المتعال بأبهى بيان.

### المطلب الأول في الهوية

المعنى بالهوية هو الشيء من حيث هو هو دون الالتفات إلى أنه ذو صفة ما فإذا اعتبرت الهوية من حيث إنها عالمه بذاتها تكون مبدعة للعقل وإذا اعتبرت من حيث إنها تقتضي أو صافاً فهي فاعلة أو خالفة لها.

### **المطلب الثاني في العقل**

اعلم أن العقل ليس بجوهر ولا عرض لأن المعنى بالعقل هو الشيء الذي يعقل ذاته وذات كل شيء وكل من يعقل ذاته يكون التعقل ذاتياً له ويكون وجوده تعقله والجوهر بما هو جوهر لا يكون التعقل ذاتياً له لأنه لو كان التعقل ذاتياً للجوهر لكان كل جوهر عاقلاً ذاته وغيره وليس كل جوهر كذلك فليس العقل بجوهر وبمثل هذا البرهان يتبيّن أنه ليس بعرض.

### **المطلب الثالث في النفس**

يراد بالنفس في هذا المقام أمر هو ذو جنبتين، إحداهما وجهة إلى العقل الفعال والأخرى جهة التي تلي البدن وبعبارة أخرى هو الجامع بين الوحدة والكثرة مثال الهوية الكبرى والله المثل الأعلى، وهو في لغة أبناء التجلّي والمكاشفة البرزخ بين الوجوب والإمكان والفعل والانفعال والذات والأحوال، ومن ثم أثر عن بعض خواص الميزان قوله في تصوير الوجود إنه مبدأ الفعل والانفعال فافهم ووقع في تعريف آخرين إنه مصدر الآثار ومنشأ الأحكام كأنهما يعنيان جامعيته بين لطيفتي الفاعلية والقابلية ونسبتي العلوية والسفلية والسماوية والأرضية فافهم.

### **المطلب الرابع في الجوهر والعرض**

الجوهر هو الموجود لا في موضوع أعني ماهية إذا وجدت كانت لا في موضوع والعرض هو الموجود في موضوع أعني ماهية إذا وجدت كانت في موضوع والموضوع هو المخل المتقوم بنفسه المقوم لما يحل فيه وبين لفظة الموضوع ولفظ المخل العموم المطلق ومن المهم الانتباه إلى الفرق بينهما.

### **المطلب الخامس في الهيولي والصورة**

الهيولي جوهر وهو محل جوهر آخر متocom به وبعبارة أخرى هو الجوهر القابل للاتصال والانفصال والوحدة والكثرة وليس في حد نفسه بوحد

منهما فهو في حق نفسه لا متصل ولا منفصل ولا واحد ولا متعدد بل قابل فحسب والصورة هي الجوهر الحال في جوهر آخر المقوم له وبعبارة أخرى هي المتصل في حد نفسه، وإن شئت قلت الهيولي ما به يكون الشيء بالقوة من حيث هو بالقوة والصورة ما به يكون الشيء بالفعل من حيث هو بالفعل وهي إما صورة جسمية وهي ما كان به الجوهر جسماً بالفعل وإما نوعية وهي ما قوم النوع وصيده نوعاً بالفعل كصور العناصر.

### **المطلب السادس في الجسم**

اعلم أن بالماهية الجسمية تتم حقيقة الثالوث الحكمي الذي اتفقت الكلمة القوم على تحقيقه وذلك أن الحكماء قاطبة أجمعوا أن العوالم ثلاثة عالم العقل الفعال وعالم الأجسام وما بينهما وهو القلب في لغة والنفس الناطقة في أخرى وهذا البرزخ هو حقيقة الإنسان الكامل أعني الإنسان بالفعل وإذا كان الجوهر الإنساني صورياً فقط وهو الإنسان الأعمى كان هذا البرزخ موجوداً بالقوة فقط والسعادة قوة وفعلاً منوطه به قوة وفعلاً، هذا وقد اشتهر في تعريف الجسم أنه الجوهر القابل لفرض الأبعاد الثلاثة المتقطعة على زوايا قوائم فيه بالفعل ويتألف من الهيولي الأولى والامتداد الجوهري فيصير منه الهيولي الثانية للصور النوعية كما يتكون عن النوع الهيولي الثالثة وعن أجزاء المركب الخارجية الهيولي الرابعة.

### **المطلب السابع في الذات البسيط**

البسيط هو الذي يلتفت إليه من حيث هو موجود فحسب ولا يكون مع هذا الوصف وصف آخر.

ولى هنا بلغ اليراع بعدما انكشف عن المطلوب القناع فتم بدر التمام وفاح مسلك الختام.

خاتمة الكتاب

اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلًا وأهمنا اجتنابه  
برحمتك يا أرحم الراحمين.

يعلم نشاد المعرفة من الناطقين بالضاد ما نشرناه سابقاً من الكتب والجاميع في الفنون العلمية المتشعبة والشجون العرفانية المتوعة أملاً في تجديد سعادة العالم العربي لما علمنا وعلم كل ذي علم بأن تقدم الأمم ونجاحها منوطان بترقيتها في العلم والإدراك ولم يزل هذا الحكم يتجلّى لنا من وقت لآخر فتتبعث بنا الرغبة إلى البحث عن زبر الحكمة ومزامير المعرفة لنشرها وإفادة أبناء الناطق بها حتى أسعدها المقدار بمعرفة حضرة الهمام الأديب واللوزعي الأريب سعادة نور الدين بك مصطفى صهر صاحب السعادة عبد الحليم باشا عاصم فألفيت في مكتبه النفيسة الفاخرة التي هي بأتم الدرر عammerة من دواوين العلم والأدب الشيء الجم ووقع نظرنا على بجموعتين سنتين وحاويتين بهيتين، إحداهما خطبة مؤرخة بعام ٦٩٩هـ مخطوطة بخط أحد مجيدي خطاطي ذلك القرن وهو المدعو بابن العلام محتوية في عقدها على دراري درر الرسائل الشمية في فنون شتى لأعيان العلم وأساطين الحكمة اختص منهم بالذكر علامه القوم الشيخ الرئيس أبي علي ابن سينا والعلامة الطائر الصيٰت في المشرقين والمغاربيين الحكيم الراهد الكامل عمر الخياٰم ولضيق المجال في هذه الأيام أح لنا القراء في معرفة ترجمة الأول إلى كتاب النجاة الذي نشرناه عام ١٣٣١هـ وأرجانا ترجمة الثاني إلى فرصة أخرى على أنه أشهر من أن يذكر والمجموعة الأخرى من هاتين المجموعتين منشورة في ليدن في سنة ١٨٩٤م وفيها من رسائل الشيخ الرئيس ونفائس إفاداته ما لا يخفى على من تصفحها وصرف شطرًا من الاهتمام إليها فالتمسنا من سعادته أن يأذن لنا في نشر رسائل المجموعتين ضمن

مجموعة واحدة تخرجها إلى ساحة الظهور بعد كمال خدمتها تصحيحاً وتنقيحاً في أهلى لباس فبدل سعادته لنا الإذن بذلك عن طيب خاطر وكرم باهر فشكراً لنا جنابه هذه اليد البيضاء ودعونا الله تبارك وتعالى أن يكثراً من سرة الأدباء أمثاله وأن يوفق أعياننا كما وفقه إلى تزيين قصورهم بالمكاتب الفاخرة بدل الإسراف في الزخارف والزركشة الظاهرة، وقمت بنشر هذه المجموعة الكلية في كمال النشاط والإريجية وما فيها من جليل المطالب وأرقى المواضيع وأدق المباحث لأنبع الحكماه والنجباء لا يخفى على كل ذي بصر فإلى هذه المشاريع الإصلاحية الكبرى والمواضيع التحريرية المثلى أفت أنظار الشيقين إلى الحكمة المغرمين بجمال المعرفة والقطنة الحر يصين على اقتناء الآداب والكمال المعنوي الباحثين عن فنون العلوم العالية كحكمة التشريع وفن التفسير والتأويل وأخواتهما، وإنني أتضرع إلى الله سبحانه أن يهسي لأولى القطنة وعشاق الكرامة من أمرهم رشدًا إلى معرفة الوسائل والمرافق التي رقى عليها أسلافنا إلى نهضتهم الكبرى في القرون الفارطة إذن يتسعن لهم تجديد مجد عفت آثاره الأزمان وطمس أعلامه الدوران فيصبحون وقد حموا من صفحة تاريخهم الأخيرة ما سقطوا فيه من أوهام وخرافات وتعصبات حمقاء وتقاليد جاهلية عمباء وأن يهدى لهم سبل الاشتغال بمنفعتهم الحقيقة ومصلحتهم القومية المعنوية إنه سميع مجتب وآمين ذيل هذه الخاتمة بهذه المناجاة.